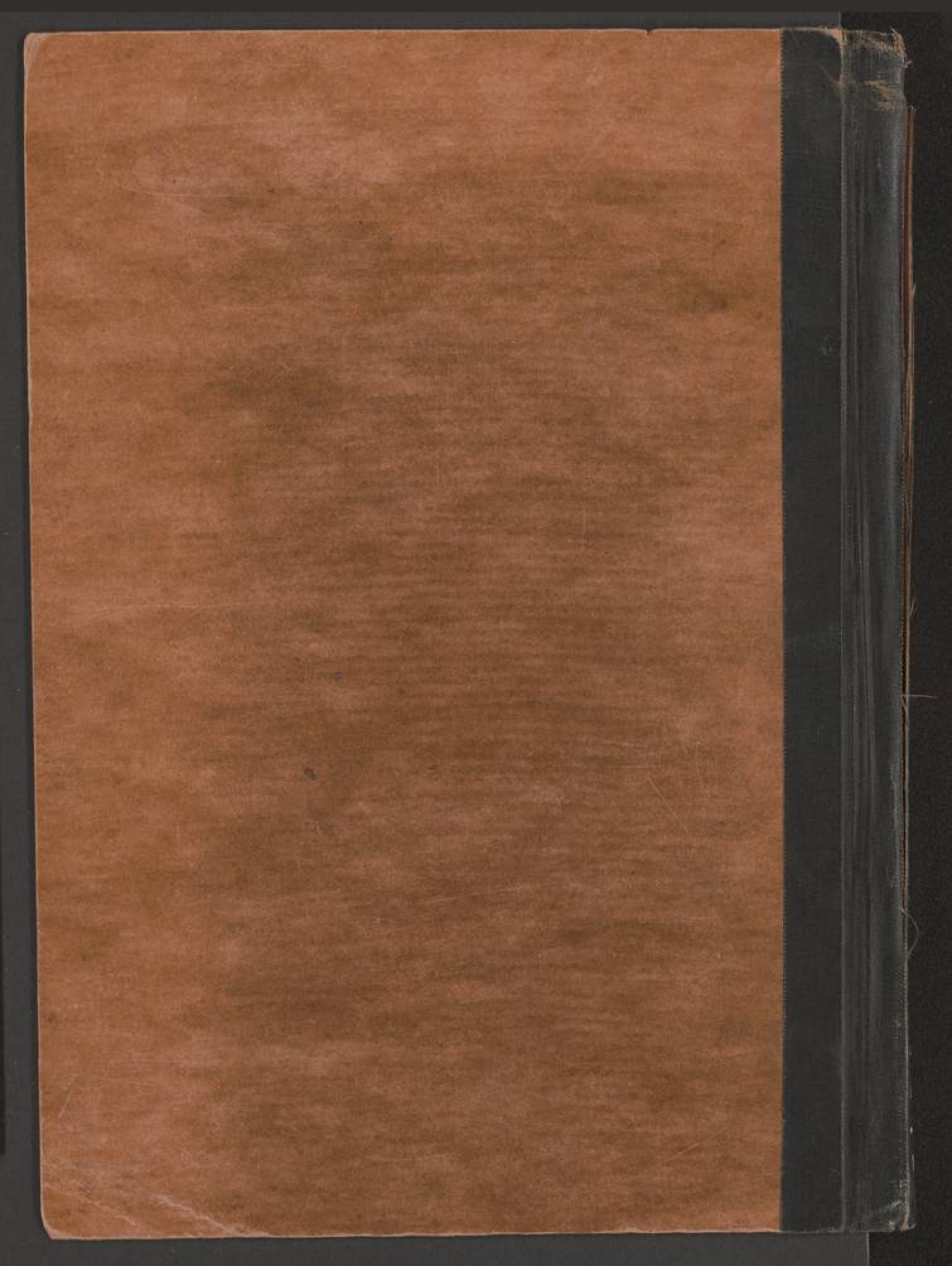
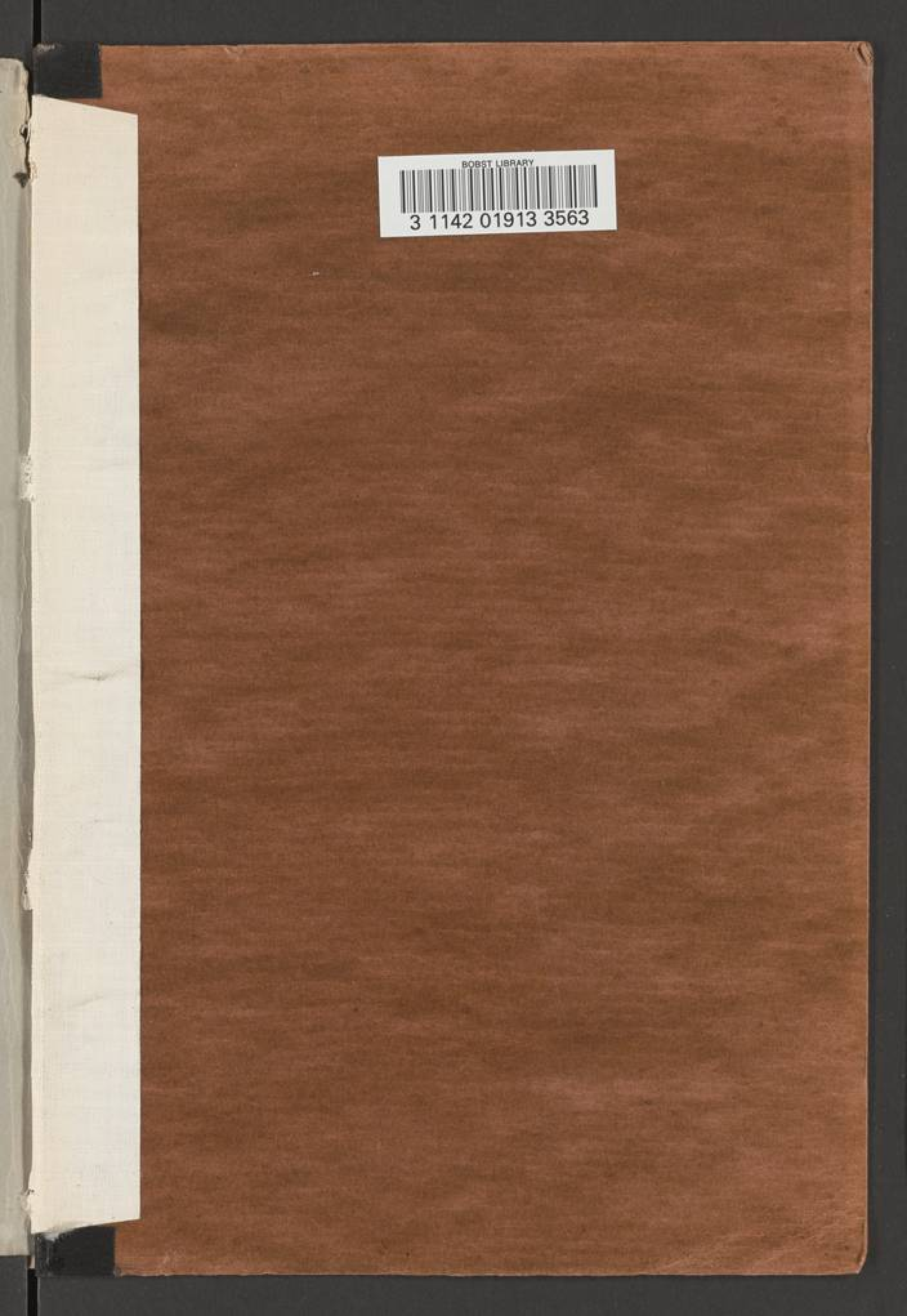
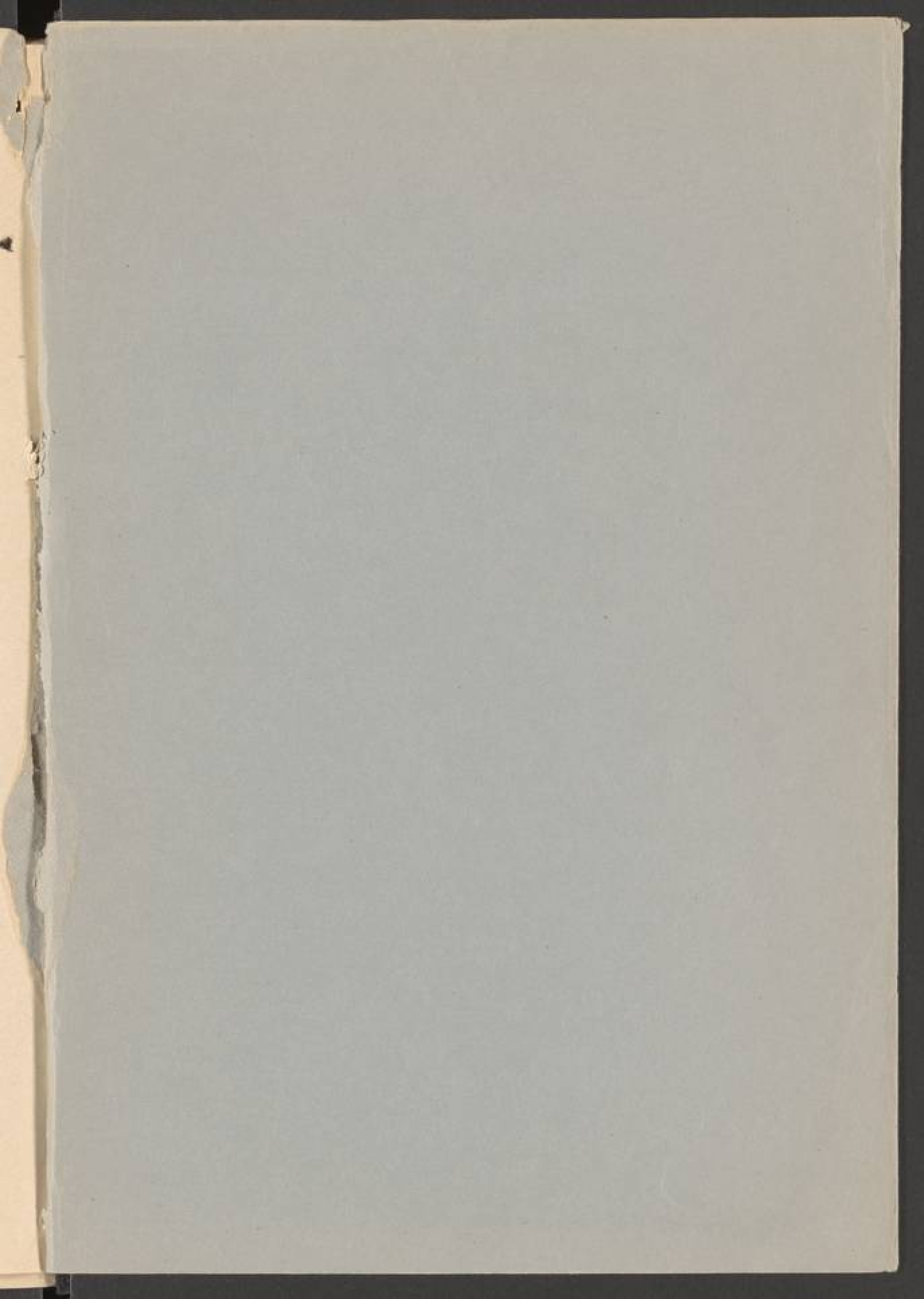


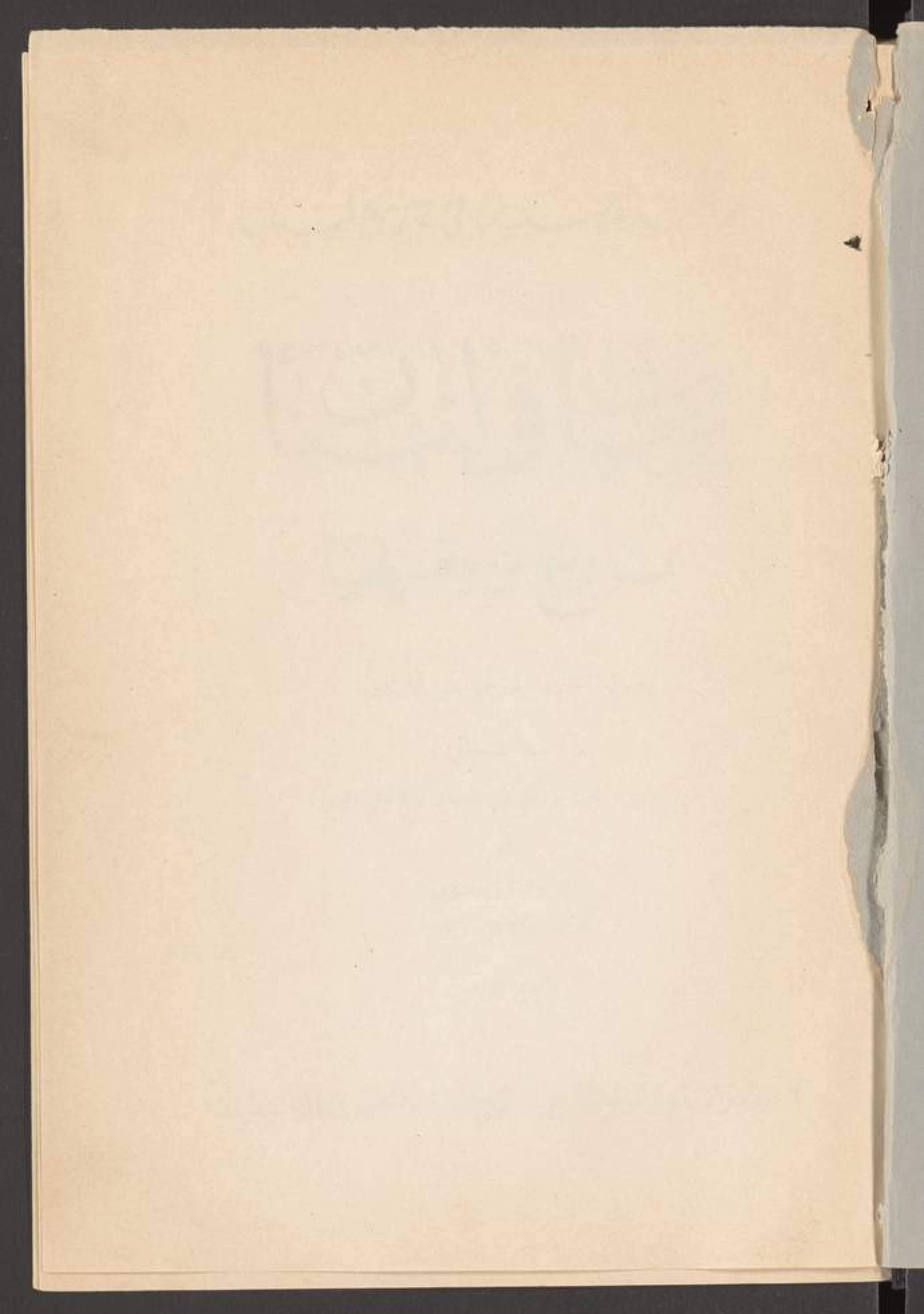


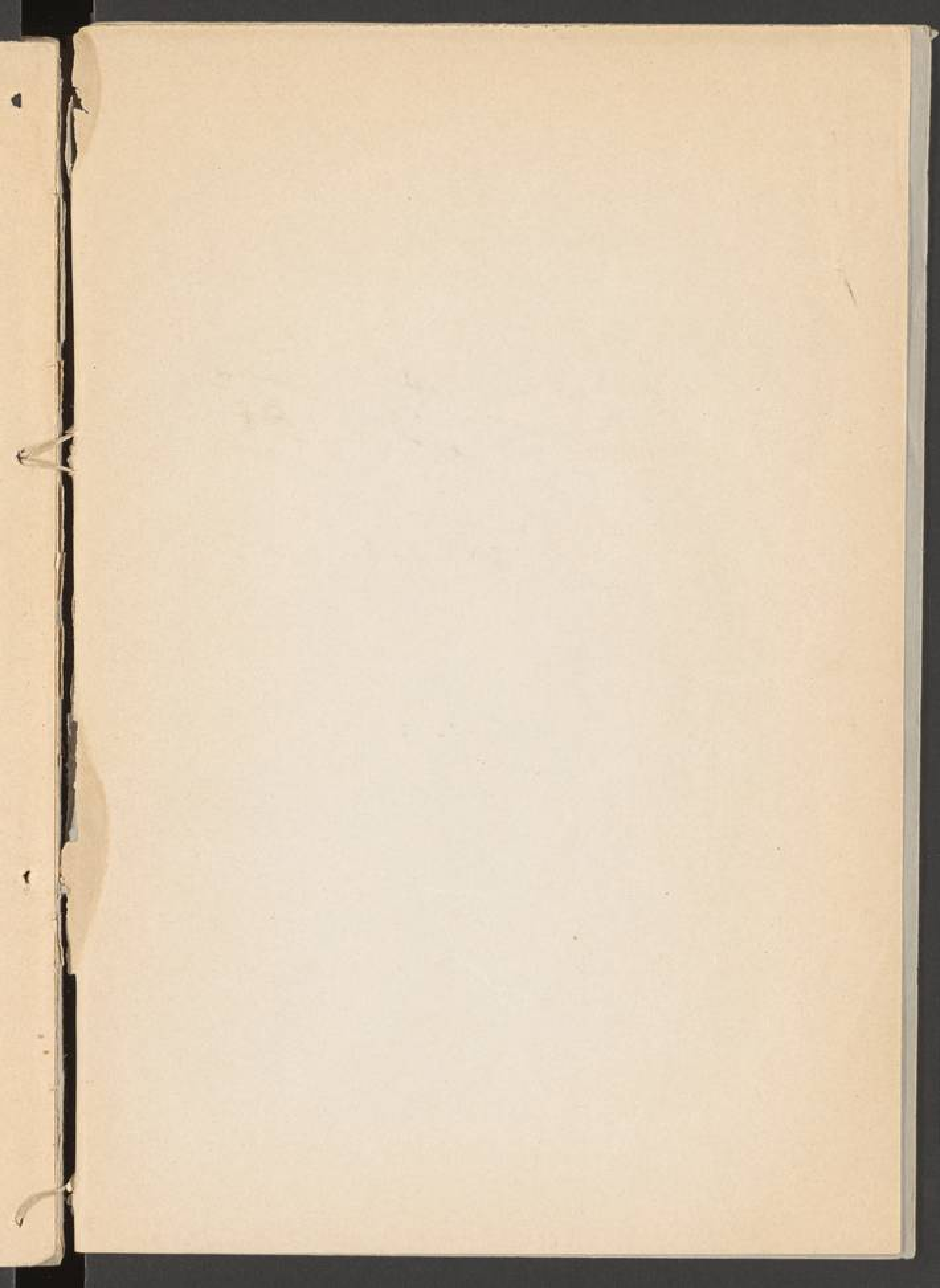
مباحث أجنبية في تاريخ لبنان

المجاورة

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة







مباحث اجنبية في تاريخ لبنان

يوميات في لبنان

تاريخ وجغرافيا

فصول اختارها وترجمها عن الانكليزية

اسد شيخاني

من كتاب : بحث توراتي عن فلسطين والاقاليم المجاورة

بقلم

ادوارد روبنصون

الدكتور في اللاهوت والفلسفة

الجزء الاول

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

عنوان الكتاب بالانكليزية

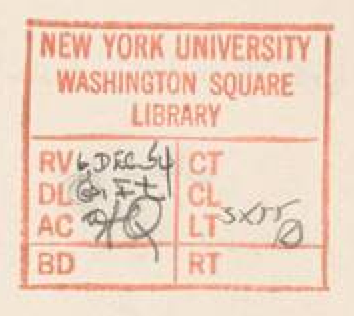
BIBLICAL RESEARCHES IN PALESTINE AND IN THE ADJACENT REGIONS

A JOURNAL OF TRAVELSIN THE YEAR 1838

By

E. ROBINSON and E. SMITH

LONDON, 1860



الطبعة الاولى ، بيروت — لبنان ، نيسان ١٩٤٩

مقدمة المعرب

يقال ان التاريخ شاهد عدل ، وهو قول لا يعدو الحقيقة لو توافرت للمؤرخ المستندات الوثيقة والمصادر الصحيحة يستمد منها مادة لموضوعه ، على ان يكون هو نفسه على إصالة في الرأي ، وقوة في الاستنتاج ، وتعمق في البحث والتمحيص ، وسلامة في المنطق تكفل له التمييز بين غث المعلومات وسمينها ، ينشد الحقائق مجردةً دون مهاواة او استسلام للعواطف الشخصية والاهواء السياسية التي كثيراً ما تطغى على المؤرخين والكتاب . اما اذا حابى فانه يطعن الحقيقة بالصميم ، ويضل سواء السبيل ، ويُضل معه قرّاءه ، ويضيع الفائدة المتوخاة من درس التاريخ ، وهو مرآة الامة يعكس وجهها على حقيقته او يشوهه . والكتاب الذي نضعه بين يدي القرّاء يجمع بين دفتيه كل مستلزمات التاريخ الحق . ولا غرو فمؤلفه الدكتور ادورد روبنصن ، الدكتور في الفلسفة واللاهوت ، كان استاذاً في آداب الكتاب المقدس في معهد الجمعية اللاهوتية في نيويورك ومعهد اندوفر اللاهوتي . وقد أنتدب اكثر من مرة للبحث عن الآثار المقدسة وكل ما يتصل بالكتاب المقدس . فزار فلسطين ولبنان والاقطار المجاورة العام ١٨٣٨ ، ثم العام ١٨٥٢ . فبحث ونقب واستقصى ولم يترك شاردة او واردة مما وقع عليه

نظره او سمعت به اذنه إلا محصها ودوّنها . ثم اخرج كتابه بعد ايابه على شكل مذكرات او يوميات مطولة شرح فيها ما شاهده وسمعه في رحلاته ساعة فساعة ، وخطوة فخطوة ، حتى ليخيل للقارىء انه رفيق رحلاته . هذا خلا المصادر العديدة والمستندات الوفيرة الوثيقة التي استقى منها ورجع اليها . ولم يتقيد بمعلومات لا تنطبق على منطق سليم ، بل قابل بينها وعلق عليها ، مخالفاً بعضها حيناً ، مفنداً اخطاءها احياناً ، مثبتاً ما يقرّه العقل ويسلّم به المنطق . فهو نقادة لا يماري في ما يراه حقاً . ويمتاز مؤلفه هذا بجمعه بين التاريخ والجغرافية ، ويقع في ثلاثة اجزاء ، اخذنا منها ما له علاقة بتاريخ لبنان وجغرافيته — كما هو الآن في حدوده الحالية لا كما كان سابقاً زمن المتصرفية ، حده الجنوبي نهر الاوّلي الى الارز شمالاً ، ومن شاطىء البحر — خلا بيروت وضواحيها — الى البقاع ، فبدأنا برحلته من صفد الى صور كي لا يضيع على القارىء وصف ما مرّ به نظراً لتشابك الحدود بين فلسطين ولبنان .

فعسى يكون حافزاً لنا على اقتفاء آثار السلف الصالح الذي تدرج بلبناننا العزيز من فجر التاريخ وخرج به من ظلمات الجهل مذللاً الصعاب التي اعترضت سبل عيشه ، جاعلاً من صخوره الصماء ، وجباله الوعرة ، ومنحدراته الخطرة ، واوديته الكثيرة الغائرة ، اراضي خصبة تغدق عليه الخيرات والبركات . فعاش في قراه عزيزاً غير متوكل ، واسلمنا نتاج عقله ويده وديعة نحتفظ بها وننسج على منوالها ونسير بها قدماً في معارج التقدم والفلاح ، لا ان نتركها او ندفنها كما دفن العبد وزنتيّ سيده .

اسد شيخاني

ترجمة موءلف اليوميات

ولد ادورد روبنصن Edward Robinson في سوثنغتن Southington كونكتكت Connecticut (الولايات المتحدة الاميركية) في العاشر من نيسان ١٧٩٤ . تخرج في كلية هملتون Hamilton ١٨١٦ . نقح اناشيد الالياذة ١ – ٩ و ١٨ و ١٩ . ذهب الى اندوفر ١٨٢١ لطبعها ونشرها . ساعد موسى ستيورت بتحضير الطبعة الثانية من كتابه اصول اللغة العبرية (صرف ونحو) ١٨٢٣ وترجمه الى الانكليزية ١٨٢٥ . درس في اوروبا في جامعتي هاله Halle وبرلين Berlin ١٨٢٦ – ١٨٣٠ . عين استاذاً فوق العادة للآداب المقدسة في معهد اندوفر اللاهوتي Andover Theological Seminary ١٨٣٠ – ١٨٢٣ ، ثم في معهد الجمعية اللاهوتية في نيويورك Union Theological Seminary ١٨٣٧ الى ان وافاه الاجل .

زار فلسطين ١٨٣٨ و ١٨٥٢ مع العالم المرسل ايلي سمث Eli Smith : وبعد الدرس والبحث نشر مؤلفه « البحث عن الآثار المقدسة في فلسطين والاقاليم المجاورة » Biblical researches in Palestine and the adjacent Regions في انكلترا والمانيا واميركا في آن واحد في ثلاثة اجزاء ١٨٤١ ، ثم لخصها في جزئين. ونشر الثالث ١٨٥٦ فمنحته الجمعية الملكية الجغرافية Royal Geographical Society الوسام الذهبي تقديراً لبحوثه . كان العضو المتفوق في الجمعيات الاميركية الاثنولوجية الجغرافية والشرقية American Ethnological, Geographical & Oriental Societies . كان عالماً شهيراً في الكتاب المقدس وضليعاً في تفسير نصوصه . مهد الطريق لدرس جغرافية الكتاب المقدس . الف جغرافية الكتاب المقدس واضافها الى كتابه المذكور اعلاه ١٨٥٦ . ثم باشر تنسيق دروسه وبحوثه عن الاماكن التي زارها وجغرافيتها ، ولكن

اصابته كتركتا (موي زرقاء) ١٨٦١ وعاجلته المنية في السابع والعشرين من كانون الثاني ١٨٦٣ . وله مؤلفات كثيرة دينية وعلمانية منها المكتبة المقدسة Bibliotheca Sacra ١٨٤٣ ، وما تضمنه الكتاب المقدس Biblical Repository ١٨٣١ – ١٨٣٤ ، ومعجم الكتاب المقدس ، ومعجم العهد الجديد في اللغتين الانكليزية واليونانية ، واتفاق الاناجيل Harmony of the Gospels وصرف ونحو اللغة اليونانية باليونانية .

من صفد الى بيروت

الجمعة ، ٢٢ حزيران ١٨٣٨ . — اما وقد أجبرنا على العدول عن زيارة دمشق ، واستكشاف منابع الاردن ، فلم يبق امامنا ، اذ قمنا بالمهمة التي انتدبنا لها خير قيام ، واصبحت الغاية الرئيسية من رحلتنا هذه في حكم المنتهية ، سوى استئناف السير الى صور ومنها الى صيدا فبيروت . سمعنا الكثير عن الطريق التي سندرج عليها . فهي ، كما وُصفت لنا مراراً ، طريق عامة مألوفة لا جديد فيها جديراً باهتمامنا ، خلا المراكز التجارية المشهورة في فينيقيا القديمة . ولكني آسف كثيراً على ضياع هذه الفرصة الثمينة ، ونادم على ما فرط منا ، لأننا لم نعر الطريق التي سرنا عليها ولا الاشياء التي مررنا بها التفاتاً دقيقاً ، خلافاً لما تعودناه من قبل . فقد اسفرت النتيجة عن ان البلاد ، الواقعة بين صفد وصور ، لم تكن معروفة . وحتى الطريق الساحلية بين صفد وبيروت ، مع انها طريق المسافرين والسياح ، لم توصف وصفاً دقيقاً . والحق يقال ان هذا الجزء من الساحل السوري لم يخطط تماماً ، ولا حددت مراكز مدنه بالدقة المطلوبة . ومع ان البواخر والسفن الحربية لا تنقطع عن المجيء اليه في الوقت الحاضر (١٨٥٦) فلا يوجد

له مخطّط صحيح ولا مواد ومراجع لعمل خارطة يعتمد عليها .

اعتاد اصدقاؤنا المرسلون في بيروت السفر بين صفد وصور . وقد سافروا منذ بضعة اسابيع على طريق تختلف قليلاً من الطريق التي سرنا عليها ، وهي طريق عامة ويعرفها الكثيرون . ولكني دهشت كثيراً ، بعد رجوعي الى اوروبا ، اذ علمت انها غير مذكورة تقريباً في الكتب ، او غير مذكورة مطلقاً . وبعد البحث والتدقيق ، وجدتُ ان نو Nau سافر سنة ١٦٧٤ م من مصب القاسمية ، شمالي صور ، الى صفد ، ولكنه لم يذكر سوى اسماء بضع قرى واقعة على طريقه [١] . وفي العام ١٨٣٣ م سافر مونرو Monro من صفد الى صور ثم رجع الى صفد ، ولكن معلوماته واهية على كثرتها . ويظهر مما كتبه ان الطريق التي سار عليها تختلف في جزء كبير منها عن الطريق التي سلكناها [٢] . وكذلك درج المستر طومسون Thomson على هذه الطريق الى صفد ، بعد زلزال ١٨٣٧ ، وهو يذكر اسماء بضعة امكنة فحسب [٣] . هذا كل ما عثرت عليه من المعلومات « المطبوعة » المدوّنة عن الاقليم الواقع بين صفد وصور .

من صفد الى صور

تركنا مخيمنا في صفد الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة وسرنا عن شمالي التلة باسفل القلعة ، فبدأنا فوراً بالانحدار

١ خصصنا المصادر بصفحات مستقلة في آخر الكتاب يمكن القارىء ان يراجعها عليها وفقاً للارقام المتسلسلة .

الى الوادي الواقع في الشمال الغربي ، ولا يقل عمقه في هـذا المكان عن ثلاثماية الى اربعماية قدم . وصلنا الى اسفله حوالى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، فاذا الى يميننا في الوادي قرية عين الزيتون وكرومها الجميلة الخضراء ، وهي واقعة الى شمالي صفد . وقد ظهرت لنا عن بعد عامرة ، مع ان الزلزال تركها انقاضاً .

وهذا الوادي الكبير ، كما رأينا ، يجري اولاً الى الجنوب فالجنوب الغربي . وبعد ان يتصل بالوادي الشرقي ، يجري الى بحيرة طبريا باسم وادي العمود . عبرنا سلسلتين منخفضتين بين اودية صغيرة ، فكانت ميرون عن يسارنا ، في اسفل الجبل . ثم بدأنا نصعد في واد جانبي ضيق ، منحدر من الشمال الغربي . رأينا قرية قاديشا فوق المرتفع عن يسارنا . وفي الساعة الواحدة والدقيقة اربعين اصبحت فوقنا مباشرة ، وتكثر بجوارها كروم العنب والتين ، وقد اوقع بها الزلزال ضرراً كبيراً . ورأينا طيطبة على مسافة نحو نصف ساعة عن يميننا .

نحن الآن في ارض حجارتها بركانية سوداء كالتي حول بحيرة طبريا . وصلنا الى سهل فسيح مرتفع ، بموازاة قاديشا او اعلى قليلاً . كانت الحجارة البركانية تتكاثر كلما تقدمنا ، حتى لم نعد نرى سواها . وعدا انها كانت تغطي وجه الارض ، فقد ظهرت وكأن الصخور مركبة منها . وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين شاهدنا ، وسط السهل ، كوماً من الحجارة السوداء وحمماً تحيط بفرجة كبيرة كانت سابقاً ، ولا ريب ، فوهة بركان . والفوهة حوض بيضوي الشكل ، غارق في

السهل باتجاه الجنوب الغربي فالجنوب ، والشمال الغربي فالشمال . طوله يراوح بين ثلاثماية واربعماية قدم ، وعرضه نحو مئة وعشرين قدماً تقريباً . جوانبه كالرفوف ، ولكنها منحدرة ووعرة ، ويتضح للناظر انها مركبة من الحمم ، وقد ميّز منها صديقنا هبرد Hebard ثلاثة انواع او عصور مختلفة . وبالقرب من الطرف الشمالي الغربي ، فسحة عرضها بضع اقدام ، انحدارها يتدرج من اسفلها الى اعلاها ، مخلفاً فتحة او باباً في جدار الفوهة . والحوض غالباً ما يكون مملوءاً ماء فيكوّن بركة . اما الآن فهو جاف تقريباً ، ولا يوجد فيه غير الوحل . وكل ما حوله آثار تدل على سابق هيجانه . وهذا ظاهر من طبقة الحمم وكوم الحجارة البركانية الكثيرة . وليس من المستبعد انه كان النقطة المركزية لزلزال ١٨٣٧ . وقد مرّ المستر طومسون من هنا بعد مرورنا ، وذكر هذا المكان في تقريره [٤] ، ولكنه لم يبحث امكانية علاقته بالزلزال . ورآه اصدقاؤنا ايضاً من بضعة اسابيع . وفي رسائلهم لنا لفتوا انظارنا اليه [٥] . وهذه البركة تسمى بركة الجش ، وهو اسم القرية التي بعدها [٦] .

تقدمنا قليلاً في السهل ، فاذا بطريق الى صور تتجه يساراً ، سار عليها اصدقاؤنا الذين تقدمونا ، وزاروا مكاناً يكثر فيه نوع من العقيق الابيض . تابعنا طريقنا فوصلنا في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين الى طرف السهل المرتفع . فأشرفنا على سهل آخر منخفض على شكل حوض مخروث تحيط به تلال مغطاة بالعلّيق . ومياه هذا السهل تجري الى الشمال الغربي ، فتصب في وادٍ ضيق . امامنا كانت الجش على تلة مخروطية

الشكل ، والى اليسار ، سعسع ، على تلة مشابهة ، الى شمالي سلسلة الجبال المذكورة آنفاً ، والممتدة من جوار صفد الى الشمال الغربي ، حاجبة ما وراءها عن النظر [٧] .

وصلنا الى سفح التلة الواقعة عليها الجش في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين ، فاذا بنا شمالي السهل الجميل المار وصفه ، والى الشمال الشرقي منه وادٍ عميق وضيق ، يجري شمالاً فشمالاً بغرب . والجش دمرها الزلزال فلم يبقِ منها بيتاً قائماً . وكان المسيحيون وقتئذ يقيمون الصلاة في كنيستهم ، فسقطت عليهم ، وقتلت اكثر من مئة وثلاثين شخصاً . ولم يتصل بالحكومة سوى اسماء مئتين وخمسة وثلاثين شخصاً من الذين قتلوا في القرية . وبعد ثلاثة اسابيع تقريباً من الحادثة ، ظهرت الى شرقي القرية فجوة عرضها قدم وطولها خمسون ، وقيل انها كانت من قبل اكبر كثيراً منها الآن [٨] . وقد اعيد بناء قسم من القرية وبدأت تسترجع سابق عهدها .

واسم الجش هذا يمكننا من معرفة موقع جسكالا يوسيفوس ، وهو المكان الذي ذكره هذا الكاتب مراراً ، والذي حُصّن باوامر منه ، وهو الحصن الاخير في الجليل الذي ظل يقاوم الرومان ، ولكنه استسلم الى طيطس Titus اخيراً بعد مخابرات وشروط . وقد عارض هذا التسليم احدُ القواد الوطنيين المدعو جون ، الذي تراجع الى القدس وكان احد المدافعين عنها ضد طيطس [٩] . ويذكر جيروم Gerome خرافة تقول ان والدي بطرس الرسول كانا من جسكالا [١٠] . وهي المكان المذكور نفسه في التلمود باسم جش حلب ، الواقع بالقرب من ميرون والمشهور بزيته [١١] .

ويذكر بنيامين دي توديله Benjamin de Tudela ان الجش في ايامه لم يكن فيها اكثر من عشرين يهودياً ، وانها تبعد يوماً عن تبنين ، وقد أحصي في العصور التالية اكثر من قبر لحاخامين يهود ، ويقال ايضاً ان كان لهم معبد في هذا المكان [١٢] .

ومن سفح تلة الجش ، تبعد سعسع نحو ساعة ، وتقع شمالاً على ٧٧ درجة غرباً . ويقال ان في هذا المكان ايضاً اكثر من قبر واحد لحاخامين يهود [١٣] ، ولكنه الآن قرية اسلامية .

لم ندخل قرية الجش ، بل مررنا دونها عن يمين التلة ، على حافة الوادي السحيق المذكور آنفاً ، وانحدرنا اليه رويداً ، فوصلنا الى بطنه الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والخمسين ، فاذا بجدول ماء صغير يجري متهادياً . وعلى مسافة منا الى الجهة التحتانية نبعان او ثلاثة ، كان الرعاة يوردون قطعانهم اليها . هذا الوادي يدعى وادي المُعضمية ، جانباه منحدران جداً ومرتفعان ، فلم نتمكن من رؤية شيء مما حولنا إلا بعد يسير من الوقت . وبعد نصف ساعة وصلنا الى حيث يلتقي بوادٍ آخر اكبر منه آت من الجنوب الغربي . تابعنا سيرنا في هذا الوادي متجهين شمالاً مدة خمس عشرة دقيقة ، فاذا به يتجه ثانية الى الشمال الشرقي حيث يتصل بوادٍ آخر يدعى هنداج ، وهذا ينحدر الى ارض الحيط ويدخل بحيرة الحولة من طرفها الجنوبي .

تركنا هذا الوادي ، وسرنا صعداً في وادٍ جانبي منحدر ، متجهين شمالاً فشمالاً بغرب . خرجنا الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة ، فاذا نحن على صعيد متموّج صالح للزراعة ، محروث الى اطرافه ، تندر فيه الحجارة ، تحيط به تلال نابتة

مغطاة بالنجوم والاشجار ، وأمامنا باتجاه الحولة بقعة ريفية متسعة ومحروثة ، عامرة ببضع قرى [14] . تابعنا طريقنا في بقعة ارض مرتفعة تغطيها شجيرات من السنديان . ثم هبطنا قليلاً فاذا حوض ارض قليل الغور عن يسارنا حيث الحاصدون يجمعون الغلال الوافرة . اما مياه هذا الحوض فتنزح الى الجنوب الغربي ، وتكوّن رافداً ، كما قيل لنا ، لوادي العيون الذي يجري الى البحر الغربي الى الشمال من الراس الابيض . وفي سيرنا على طول ضفة الحوض الشمالية الشرقية رأينا عن يميننا الريف الواسع المحدق بقرية فرح ، ومياه هذا الريف تجري الى الحولة .

وصلنا الى ارض اكثر ارتفاعاً فاذا الى يسارنا على مسافة نصف ساعة تقريباً قرية يارون الكبيرة [15] . وعلى تلة مرتفعة الى يميننا قرية اخرى تدعى مارون على المسافة نفسها تقريباً . ووراء هاتين القريتين رأينا غب وصولنا في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ناووساً ضخماً مطروحاً الى يسار الطريق ، مصنوعاً من حجر كلسي نحت نحتاً بسيطاً ، طوله ثمان اقدام ، وعرضه اربع اقدام ونصف القدم ، وكذلك ارتفاعه . اما غطاؤه الملقى بعيداً عنه فسماكته قدمان ، والقسم العلوي منه منحرف كالسطح المزدوج ، والاطراف تشبه المثلث المسنّم . ورأينا اعمدة وقطع اعمدة من احجام متوسطة منثورة حول الناووس . والظاهر ان هذا الناووس كان مركزاً في هذه البقعة او بالقرب منها ، يعلوه هيكل صغير كأنه قبر منفرد موحش ، لا يختلف عن قبر حيرام بالقرب من صور .

سرنا بجانب سلسلة من الاكام المنبسطة الموازية لسطح الماء

بين الحولة والمتوسط ، وهي قطعة ارض خصبة ، بعضها مزروع نوعاً من الجلبان اسمه بالعربية حمّص . في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسون ، عبرنا وادياً قليل العمق يجري غرباً ، ثم صعدنا سلسلة آكام باتجاه الشمال الغربي تغطيها شجيرات السنديان . الريف الممتد امامنا الآن تلال ناتئة شجراء واودية متتابعة ، وهو منظر طبيعي يبهج النفس ولا سيما في الجهة الجنوبية الغربية حيث يكثر السنديان الشائك . وبعد نصف ساعة وصلنا الى قمة تلك السلسلة ، فأصبح اتجاهنا شمالاً . وبعد قليل وصلنا الى وادٍ قليل العمق ، متسع يصلح للزراعة ، يسمى وادي الرُمَيش .

بنت جبيل

يجري هذا الوادي جنوباً الى القرية المسماة بالاسم نفسه ، فيتصل بوادي العيون . ثم مررنا شرقي الرميش فوصلنا الى بنت جبيل الساعة السادسة والدقيقة العاشرة . وهي قرية كبيرة تحيط بها الكروم الكثيرة . فعزمنا على قضاء ليلتنا هناك .

كنا على وشك ان نضرب خيمتنا خارج القرية ، بالقرب من البيادر ، والسكان ما برحوا يزاولون اعمالهم ، عندما وصل شيخ القرية ووجوهها واخبرونا انهم معرّضون لهجوم العصاة الدروز المسلحين ، الموجودين في حاصبيا والمحدقين بها ، ونصحونا ان نبتعد عن قريتهم لان العصاة نهبوا البارحة قرية مجاورة وقد يأتي دورهم الليلة . ولكننا لم نعبأ بما سمعناه ، بل اعتقدنا انها حجة لابعادنا . وقد رفض البغّالون السير ، لان الوقت ليل ولا

توجد قرية قريباً منا . فاقترحوا علينـا دخول القرية والمبيت بالمضافة ، فنكون في مأمن ، اذ لا بد لخيمتنا من ان تجذب اليها انظار السلاب وتثير فيهم الطمع . هذه ايضاً نصيحة رغبنا عنها تخلصاً من المضايقة التي قد نكون عرضة لها . لمسوا فينا تردداً ظاهراً ، فدعانا احد الوجوه للنزول في بيته . انهـا بادرة جريئة ، فقد خالف المألوف من عاداتهم ، فبرهن بعمله هذا على حسن نيتهم ، فوضع بيته بكامـله تحت مطلق تصرفنا ونقل الاولاد والنساء الى مكان آخر . امـا البغالون فقد نزلوا بالمضافة .

وسكان بنت جبيل كلهم او جلهم متاولة ، وهم طـائفة محمدية[١٦] . اما ميزتهم التي تفرض نفسها على الغريب فيلاحظها ، فهي عادتهم انهم لا يؤاكلون او يشاربون من ليس على دينهم . وهم شديدو المحافظة عليها . فيكون مضيفنا ، باعطائنا بيته ، قد برهن على اخلاص واريحية ، ودلّ على ادبه ولطفه في معاملته ايانا ، ولكنه واصدقاءه رفضوا مشاركتنا عشاءنا ، وتمنع الذين جاؤوا لزيارتنا عن قبول قهوتنا . اننـا لا ننكر عليهم حسن ضيافتهم ولطفهم ، ولا نبخسهم حقهم اذا قلنا ان ما اظهروه لنا من ضروب المجاملة لم يكن مجرداً عن المصلحة الشخصية . فقد صرحوا لنا ان الحكومة تحملهم مسؤولية ما يحدث لنا مما ليس بالحسبان . ولكن خوفهم من الثوار كان في غير محله هذه المرة .

اما البيت الذي قدم لنا ، فكان من احسن بيوت القرية، دلّ على ان صاحبه على شيء من الثروة . الجهة الشمالية منه

تشرف على احد الازقة ، والجهة الغربية فسحة صغيرة مجاورة للزقاق ، في زاويتها ظلة صغيرة تستعمل مطبخاً . ويُدخل الى البيت من هذه الفسحة . اما ارض البيت فمرتفعة من جانبين فقط، كالدكة الوطيئة ، تاركة نحو ثلث الداخل فسحة غير مبلطة تستعمل اصطبلاً . وفي الاصطبل حمار يتمتع بمأواه الليلي . بسطنا فرشنا في الغرفة المجاورة ، وهي نظيفة اذا قيست بغيرها من الغرف في القرى السورية . لم تكن الجدران عارية من الزخرف . ففي احدى الزوايا موقد صغير ، تعلوه خزائن صغيرة مزينة بنقوش محفورة حفراً غير متقن ، ولكنه زخرف لا بأس به . لزمنا مضيفنا وكثيرون من اهالي القرية الى ساعة متأخرة من الليل .

نحن الآن في اقليم يدعى بلاد بشاره ، يضم القريتين يارون ومارون اللتين مررنا بهما ، ويمتد الى سهل صور . يحد هذا السهل من الشمال نهر الليطاني ، ويشمل ناحيه مرجعيون . وبلاد بشاره اقليم كبير ، عليه حاكم خاص به مركزه الآن في صور ، مع ان عاصمته الخاصة هي تبنين . والاقليم يضم عدة قرى عامرة ، اكثرية سكانها متاولة ، والمسيحيون فيها اقلية ضئيلة اكثرهم موارنة . وتمتاز بلاد بشاره بعدم اهتمام سكانها بالاكثار من زراعة اشجار الزيتون وبالتالي قلة محصول الزيت . اما السمن عندهم فكثير ، وغالباً ما يستعملونه للانارة . فقد ملأوا مصباحنا سمناً عوضاً عن الزيت . اما القسم الذي اجتزناه من هذا الاقليم الريفي الجميل فقد أثار اهتمامنا واعجابنا بكثرة اشجاره . وهذه اول مرة في فلسطين نرى تلالاً مكسوة بالاشجار . الجبل :

اقليم صغير بين صفد وعكا جنوبي بلاد بشاره ، سكانه مسلمون مع اقلية درزية . الشاغور : مقاطعة صغيرة من بلاد بشاره والناصرة ، سكانها مسلمون مع اقلية ضئيلة من الدروز [١٧] .

السبت ٢٣ حزيران . — استعدينا للسفر باكراً ، لكننا تأخرنا قليلاً لمرض البغّال الصغير . فقد كان مريضاً منذ خروجنا من القدس ، ولم يتمكن من مساعدة رفيقيه بتحميل البغال . ولكنه كان يتقدم رويداً من الشفاء . وباقترابنا من صفد ، وهي مسقط رأسه ، صارت خدماته لنا جد مفيدة ، نظراً لخبرته الدقيقة بطبيعة البلاد ، ودماثة اخلاقه ، وسهولة انقياده . حقاً لم يكن اكثر نشاطاً والطف معشراً ولم نقدر ذكاءه حق قدره إلا في رحلتنا من صفد الى بنيت . ولكنه كان معرضاً للافراط اثناء الليل في صفد ، فاشتد به الضعف البارحة ، ومنعه عن المسير . فخلفناه في بنت جبيل واستأجر شريكه شاباً لمساعدته .

مشينا الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين ، دون ان نتناول طعام الصباح متجهين شمالاً فشمالاً بغرب . فعبرنا وادي الرميش ، الواقعة الى الشرق منه بنتُ جبيل . امامنا الآن ريف جميل لا يختلف عما خلفناه وراءنا . اراضٍ جميلة محروثة ، متموجة ، مشجرة ، اودية وتلال متتابعة ، وفي الافق البعيد تلال اكثر ارتفاعاً ، واكثف أشجاراً . وهذا الاقليم يصدّر كميات كبيرة من حطب الوقود الى الساحل ، فتشحن بحراً . وتستورد بيروت اكثر ما تحتاجه من حطب الوقود من هذه الناحية . في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين رأينا قرية طيرة الصغيرة على مسافة

بضع دقائق عن يسارنا . والساعة السادسة وصلنا الى قمة سلسلة من الآكام المرتفعة ، فأشرفنا منها على البحر . ألقينا النظرة الاخيرة على البلاد التي خلفناها وراءنا ، سعسع جنوباً على خمس درجات غرباً وهي وجهة سيرنا ، وترشيحه جنوباً على خمس واربعين درجة غرباً ، وكلتاهما قريتان اسلاميتان في منطقة الجبل.

بعد عشر دقائق من السير في طريق منحدرة بجانب تلة تغطيها الاشجار المتكاثفة ، وقع نظرنا على اراض منبسطة . امامنا قرية حدّاثا ، وعن يميننا قلعة تبنين على اكمة منعزلة . تقع بلدة تبنين على سفح التلة ، وهي قصبة بلاد بشاره . مياه هذه الناحية تجري الى الشمال الغربي وتصب في الليطاني . الساعة السادسة والنصف كانت حدّاثا القرية الكبيرة عن يسارنا . نحن الآن على مسافة نحو نصف ساعة من تبنين الواقعة شمالاً على ثلاثين درجة شرقاً . تبدو القلعة كبيرة وجدرانها متصدعة ، ولكنها غير مهدمة ، وهي باقية كما خلفتها الحروب الصليبية . تسكن القلعة عائلة من المشايخ ، تعتبر زعيمة المتاولة اجمع في هذا الاقليم ، وتدعى بيت علي الصغير . وهم يفاخرون بقدميتهم ويقتصرون على الزواج من بعضهم كما يفعل مشايخ الدروز . عن يميننا وادٍ يجري شمالاً فشمالاً بغرب الى الليطاني . وقرية عَيْثا الصغيرة على مسافة خمس عشرة دقيقة . وبعد خمس دقائق من السير اي في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين بدا امامنا الحصن الكبير قلعة الشقيف ، وهي واقعة شمالاً على اربعين درجة شرقاً وتبعد اكثر من ساعتين . وهذا الحصن قائم على حالق يشرف على ضفة الليطاني الغربية بالقرب من الجسر الى

الشمال الشرقي من مرجعيون ، وهو مشهور عند الوطنيين ببنائه العجيب ومناعته العظيمة . ويطلق اسمه على المقاطعة المجاورة وهي بلاد الشقيف الواقعة بين الليطاني جنوباً واقليم الامير بشير من جبل لبنان شمالاً ، والممتدة غرباً الى السهل على الساحل .

هذان الحصنان الجباران ، تبنين والشقيف ، اشتهرا كثيراً في الحروب الصليبية ، ولم يفطن لهما اي سائح ، نظراً لوجودهما في الجبال بعيدين عن الطرقات العامة . ولا يعد خروجاً عن الموضوع اذا دونّا بعض الملاحظات عنهما .

حصن تبنين

حصن تبنين ، كما يقول وليم الصوري ، شيده هوغ دي سان اومير Hugh de Saint-Omer في العام ١١٠٧ ، وهو وقتئذ حاكم طبريا . وكان هذا الزعيم معتاداً غزو مدينة صور وناحيتها ، ولم تكن قد خضعت بعد لسيطرة الافرنج ، فبنى هذه القلعة لتكون معقلاً لدعم خططه في الطريق بين المدينتين ، مختاراً لموقعه مكاناً عالياً ظاهراً للعيان ، في وسطه بقعة زراعية تكثر فيها الكروم والاثمار والغابات . والمرجح كثيراً ان هذا الحصن الجديد بني على اسس قديمة . وقد اطلق عليه بانيه اسم طورون Toron . وبهذا الاسم يعرفه الافرنج . اما الكتّاب العرب فيعرفونه باسم تبنين فقط [١٨] . وقد اصبح حصناً هاماً واطلق اسمه على عائلة اصحابه .

عيّن هونفروي دي طورون Honfroy de Toron رئيساً

لديوان الملك بولدوين Baldwin الثالث ، العام ١١٥١ ، ويقال انه كان يملك املاكاً كثيرة في فينيقيا ، وفي الجبال حول صور . وبعد ما مثّل دوراً هاماً في الحوادث التي جرت في السنين التالية ، جرح اخيراً جرحاً مميتاً في المعركة التي دارت رحاها قرب بانياس ١١٧٩ [19] . تزوج حفيده ، وهو سميه ، اخت بولدوين Baldwin الرابع الصغرى . ثم قدم له البارونات ، المجتمعون في نابلس ، تاج القدس لمعارضة غي دي لوزينيان Guy de Lusignian ، فكان اعقل من ان يقبله ، وانضوى تحت لواء Guy ، فأخذ اسيراً في معركة حطين [20] . وفي العام ١١٨٧ ، اي في السنة نفسها بعد معركة حطين بوقت قصير ، حاصر صلاح الدين بنفسه الحصن ، واستولى عليه بعد ان هاجمه ستة ايام [21] .

اما العلاقات الطبيعية بين تبنين وصور فقد انعكست الآن . فبعد ان استولى العرب على تبنين ، شرعوا يضايقون الفرنجة اسياد صور . ولكن الحجاج وجنود الصليب — واكثرهم من المانيا — الذين وصلوا حديثاً ١١٩٧ الى الارض المقدسة ، اخذوا على عاتقهم اخضاع حصن تبنين درأ لهذا الخطر . وفي الحادي عشر من كانون الاول ، حاصروا الحصن بقيادة دوق برابانت Brabant. وبالرغم من انعدام الثقة فيما بينهم وتفرّق كلمتهم ، استمر الحصار شديداً . ولكن تحدّر التلة المشيّد عليها الحصن منع اقتراب الآلات الحربية . فبث المحاصرون الالغام تحت الجدران في اسفل التلة . وقد أدى الحجاج القادمون من مدينة غوسلر Gosler في المانيا ، خدمة عظيمة باضطلاعهم بهذا العمل الذي يتقنونه جيداً

لتمرسهم في بث الالغام لاستخراج المعادن . واخيراً ، بعد اربعة اسابيع ، تفجرت الالغام ، فاحدثت شقوقاً في مواضع كثيرة من الجدران .

رغبت الحامية المسلمة في التسليم ، فارسلت سبعة من قادتها الى المعسكر المسيحي لعرض شروطها . فرحب بها الامراء ، ولكن التذمر ذرّ قرنه بين الجمهور ، وخصوصاً بين الافرنج السوريين – اي الموجودين في سوريا سابقاً – بحجة ان الحصن صار خالياً من وسائل الدفاع ، فلا تجب مهاجمته عنوة ، بل عمل ما يلقي الرعب في قلوب الاعداء . وبعد تردد طويل قبلت الشروط المعروضة ، وأستبقيَ بعض المندوبين كرهائن في المعسكر ، ورجع الآخرون الى الحصن . فاطلعوا الحامية على الانقسام بين المحاربين المسيحيين . فقررت الاحتفاظ بمراكزها ، والمضي في الدفاع بصلابة وعناد ، تاركة الرهائن للاقدار .

خشي المحاصرون وصول الملك العادل على رأس جيش من المحاربين العرب ، فجددوا هجومهم على الحصن . ثم عقدوا مؤتمراً حربياً في الواحد والثلاثين من كانون الثاني قرروا فيه هجوماً صاعقاً على الحصن واخذه عنوة . فاستقبلت الاحزاب كافة هذا التدبير بارتياح ، وتعاهدوا على التضحية ، فاما النصر او الموت . ولم تلبث غمرة السرور هذه ان تحولت الى لغط فقلق . فقد تناقلت الجماهير نبأ فرار خدم الامراء الى صور ناقلين معهم ما امكنهم نقله . فحذا الحجاج حذوهم فوراً ولاذوا بالفرار لا يلوون على شيء ، غير عابئين بالمرضى والجرحى الذين خلفوهم وراءهم . فعمت الفوضى المعسكر ، واختلط الحابل بالنابل . وزاد في طين

هزيمتهم بلة هبوب عاصفة قوية صحبها برَدٌ ومطر كأنه من افواه القرب تساقط على رؤوس المسيحيين المنهزمين، ولكنه لم يتمكن من غسل عار الهزيمة الشنعاء. وهكذا انتهى هذا الحصار الشهير، بعدما اصبحوا على قاب قوسين او ادنى من النصر[٢٢] !

في السنة ١٢١٩م جرّد السلطان المعظم حصن تبنين من وسائل الدفاع كما جرّد غيره من الحصون كيلا يتخذه المسيحيون معقلاً مرة اخرى[٢٣]، ولكن يبدو انه وقع بايديهم ثانية، لان السلطان بيبرس استولى عليه في العام ١٢٦٦م بعد ان حاصر صفد واحتلها[٢٤]. وقد جاء على ذكره بنيامين دي توديله Benjamin de Tudela وبروكاردوس Brocardus . ومنذ ذلك الحين اصبح نسياً منسياً لا ينعم بزيارة احد. غير ان نو Nau ذكر اسمه عرضاً عند مروره من هنا العام ١٦٧٤م[٢٥] .

قلعة الشقيف

قلعة الشقيف يطلق عليها مؤرخو الحروب الصليبية من الافرنج اسم بلفور Belfort او بوفور Beaufort[٢٦] . اما الكتّاب العرب فيسمونها شقيف ارنون تمييزاً لها من حصون اخرى اقل شهرة تسمى الشقيف ايضاً . اما تاريخ بنائها فغير مذكور، ولا نعلم اذا كان المسيحيون بنوها او العرب . وليس من المستبعد ان يكون المسيحيون بنوها، كما بنوا القلاع المجاورة في تبنين وصفد وكوكب وبلفوار Belvoir وغيرها . ويقول وليم الصوري في العام ١١٧٩م انها قلعة للافرنج[٢٧] لجأ اليها الكثيرون

من الفرسان وفلول الجيش بعد الاندحار الجزئي الذي مني به المسيحيون في المعركة التي دارت رحاها مع صلاح الدين قرب بانياس .

في اليوم الاخير من نيسان ١١٨٩ م ، اي بعد سنتين تقريباً من معركة حطين ، حاصر صلاح الدين على رأس جيشه قلعة الشقيف ، فلجأ قائد الحصن رينالد Raynald الصيداوي الى المراوغة لاطالة امد الحصار . وجاء الى معسكر صلاح الدين عارضاً عليه تسليم الحصن شرط ان يمنحه مهلة ثلاثة اشهر ليتمكن من نقل عائلته ومقتنياته من صور الى محل امان . فقبل السلطان شروطه ، ولكنه بعد انقضاء المهلة ، اختلق شتى الاعذار لاطالتها . وفي هذه الاثناء حاصر عكا جماعة من الصليبيين القادمين حديثاً . واذ ضاق صلاح الدين ذرعاً بمروغة رينالد ، أرسله مصفداً الى دمشق وفك الحصار عن حصن الشقيف ليتفرغ لمراقبة جيش الافرنج ، ثم عاد الى محاصرته فسُلم له في نيسان من السنة التالية ، بشرط اطلاق سراح رينالد Raynald وتسهيل انسحاب الحامية [٢٨] .

وفي العام ١٢٤٠ م ردت قلعة الشقيف مع صفد الى الافرنج بناء على معاهدة مع اسماعيل . سلطان دمشق [٢٩] ، ولكن الحامية رفضت تسليمها الى المسيحيين ، واخيراً سلمتها الى اسماعيل نفسه ، تاركة له حرية التصرف بها [٣٠] . وفي العام ١٢٦٠ م اشترى فرسان الهيكل صيدا وحصن بلفور Belfort [٣١] . وفي نيسان من العام ١٢٦٨ فاجأه بيبرس بهجوم عنيف وكان لما يزل في حوزة الهيكليين . ولكن حدث ، في اليوم الذي سبق ، ان سُحب قسم من الحامية ، فلم يتمكن الباقون من الصمود امام هجمات

العدو العنيدة . وبعد بضعة ايام من المقاومة غير المجدية ، سلم المسيحيون الحصن بمحض اختيارهم ، فوزع الرجال ارقاء على مرافقي بيبرس الظافر ، وارسل الاولاد والنساء الى صور ، واعيد بناء الحصن وُجهِّز بحامية ، وقاضٍ ، وائمة للجامع [٣٢] . وقد ذكر ذلك ابو الفدا بعد زمن قصير ، وكذلك الظاهري [٣٣] . ولكن منذ ذاك الحين الى اليوم الحاضر اصبح الشقيف في عالم النسيان ولم يأت احد من السياح على ذكره [٣٤] .

نزلنا الى حَدّاثا فاصبحت وجهة سيرنا الى الشمال الغربي ، والاصح نصف الغربي . وفي الساعة السادسة والدقيقة الخمسين [٣٥] كانت قرية الحاريص الى يسارنا ، وتبعد عشرين دقيقة من حدّاثا . سرنا خمس دقائق فوصلنا الى شفير منحدر طويل يشرف على منخفض من الآكام والاودية تفصل الاقليم الجبلي المرتفع الذي مررنا به عن سهل صور ، ولا تختلف عن تلك التي تتاخم جبال القدس غرباً . وهذه التلال تعلو – حسب تقديرنا – بين الف ومئتين والف وخمسماية قدم فوق سطح البحر ، وتمتد مسافة قصيرة شمالي نهر الليطاني – ويسمى هنا القاسمية .

وقفنا قليلاً فوق المنحدر قبل ان نهبط الى السهل لنمتع الطرف بمنظر الآكام الخضراء والسهول الضاحكة وساحل المتوسط ومياهه المتلألئة والسفن الماخرة في عبابها كأنها نقاط بيضاء في الافق البعيد . امامنا صور جاثمة مع شبه جزيرتها وسهلها الرحب وتلالها التي تزدحم سفوحها بالقرى واعاليها بالاشجار والحقول المحروثة وقد اسبغت عليها الطبيعة ألواناً تحبس عليك انفاسك . انه منظر رائع لا تملّه العين ، وهو من اجمل ما وقعت عليه انظارنا .

وتقع صور منا شمالاً على ٥٧ درجة غرباً . سجل رفيقي مواقع عشر قرى ، ولكنه لم يلبث ان اهملها اذ تبين له ان دليلنا المتوالي لم يعرف اسماءها ، وقد شعرنا بالفراغ الذي تركه البغّال المريض لانه كان اكثر اهلية واجدر بثقتنا * .

هبطنا الى وادي عاشور ، وهو وادٍ عميق وضيق لا ماء فيه . جوانبه منحدرة تكاثفت فيها اشجار السنديان الشائك ، والاسفندان ، والقرّيز ، والسمّاق وغيرها من الاشجار ، والعساليج تغطيها من اعلاها الى اسفلها . سرنا فيها مسافة طويلة بين الاشجار . وقد ذكّرتني هذه المناظر بالاودية الرومانطيقية بين جبال فرمونت Vermont الخضراء . توقفنا الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة لتناول طعام الصباح في ظلال تلك الاشجار التي تحجب الوادي عن الانظار . كان الصباح جميلاً والجو صافياً ، فقررنا ان تكون رحلتنا اليوم قصيرة ، فاستسلمنا بكليتنا الى الراحة الهانئة .

في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة استأنفنا السير الى الشمال الغربي بين اشجار الدفل الزاهرة التي ترصّع ارض الوادي . وبعد نصف ساعة انسعت الطريق امامنا وصارت التلال اقل ارتفاعاً وبدت الارض محروثة . وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين كانت قرية البياض على تلة عن يسارنا ، وقرية المزرعة على أكمة عن يميننا . وبعد مسافة قصيرة يتحول اتجاه الوادي شمالاً ويجري الى الليطاني .

* رجعنا الى هذا المكان سنة ١٨٥٢ ، ولكن الجو كان غائماً ماطراً والرؤية غير جلية .

صعدنا سلسلة الآكام القريبة المحروثة فوصلنا القمة الساعة الحادية عشرة ، ثم نزلنا الى واد آخر متسع وخصب يجري الى الشمال . عبرنا مجرى الماء في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين ، ثم صعدنا رويداً فوصلنا الى بقعة متموجة ومحروثة . مررنا على قرية قانا الكبيرة في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين ، وعلى قرية مخشيقة القريبة منها المخصصة لسبط اشير ، وتمد حدودها الى صيدا [٣٦] وقد ذكرها يوسيبوس Eusibius وجيروم Jerome ، ولا ادري اذا كان احد من الحجاج او السياح ذكر شيئاً عن المكان مذ ذاك الوقت الى يومنا هذا [٣٧] .

عندما اقتربنا من صور عرفنا ان كل الاراضي الجبلية التي مررنا بها تمتاز بكثرة انتاج التبغ ، وهو يعد من اهم صادرات صور ان لم يكن اهمها ، واكثره يصدّر الى دمياط . اما في فلسطين فيزرعونه حيث تسمح التربة في القرى للاستهلاك المحلي .

في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين كانت قرية حناويه [٣٨] على مرتفع عن يسارنا . وبعد عشر دقائق وصلنا الى نصب تذكاري من اشهر الآثار القديمة الباقية الى الآن في الاراضي المقدسة . وهذا النصب هو ناووس ضخم من حجر كلسي ، مركّز على قاعدة عالية مبنية من حجارة كبيرة منحوتة . هو قبر قديم وشهير ، تعرفه العامة باسم قبر حيران (قبر حيرام) . طول الناووس اثنتا عشرة قدماً ، وعرضه ست اقدام وكذلك ارتفاعه ، وسماكة الغطاء ثلاث اقدام ، وهو باقٍ في مكانه الاول . والناووس مثقوب من احد جوانبه [٣٩] . اما القاعدة فمركّبة من ثلاث طبقات من الحجارة الكلسية ، وسماكة كل طبقة ثلاث

اقدام ، والطبقة العليا بارزة فوق الثنتين الاخريين . حجارة القاعدة كبيرة ويبلغ طول احدها تسع اقدام . هذا النصب السنجابي اللون الصامد لعاديات الجو يقيم هنا وحيداً منعزلاً ، مثقلاً بالآثار العريقة في القدم ، ولكن اسمه وتاريخه ومن شيّده ولمن شُيّد ، كل هذا قد اندثر ، كما اندثرت رفاته الى الابد .

قد يكون اسمه الحالي وصل الينا بالنقل والتواتر . وقد يكون القول ان القبر ضمّ رفات « غبار » صديق سليمان وحليفه مجرد اجتهاد اسلامي . ففي كل ناحية من فلسطين انصاب تذكارية وقبور اولياء يعود تاريخها الى اسماء عبرية شهيرة . اما انا فلا اعرف اثراً او مصدراً تاريخياً يشير الى هذا القبر . ولم يذكره سوى سائح افرنجي مرّ بهذا المكان منذ خمس سنوات[٤٠].

راس العين

في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، انحرفنا قليلاً الى اليسار عن الطريق العام المؤدي الى صور لنتمكن من زيارة راس العين . تابعنا نزولنا الى الوادي فمررنا بعيداً قليلاً من قريتي بيت عليا ودير قانون الواقعتين عن يسارنا . دخلنا السهل ووصلنا الى راس العين في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والاربعين . هنا توقفنا ساعتين ونصف الساعة تقريباً لنتمتع بقليل من الراحة ، ونتفحص تلك الاعمال القديمة الشهيرة ، الجديرة بكل اعتبار .

اكتسبت راس العين اسمها هذا لانها كانت مصدر القنوات التي كانت قديماً تمدّ صور بالماء . والمكان يقع في السهل على

مسافة ربع الساعة من شاطىء البحر وساعة واحدة من صور على الطريق السوي . وهو مجموعة ينابيع كبيرة ، يندفع الماء منها قوياً غزيراً . وهذه الينابيع لا تختلف من ينابيع طبيغة وغيرها المتفجرة حول بحيرتي الحولة وطبريا ، بغزارة مياهها وقوة اندفاعها . لكن الماء هنا رائق صاف . بنى المتقدمون احواضاً مرتفعة حول الينابيع ، جدرانها عريضة ضخمة وحجارتها كبيرة وارتفاعها خمس عشرة او عشرون قدماً ، ليتمكنوا من دفع الماء الى علو كاف ليصب في القنوات . وفي هذا المكان اربعة احواض فقط : اثنان في الناحية الشرقية بالقرب من بعضهما ومتصلان معاً ، شكلهما غير منتظم ، لكل منها درجات يُصعد عليها ، تؤدي الى ممشى واسع يشكل حافة الجرن[٤١] . سبرنا عمق الماء في احدهما ، فوجدناه اربع عشرة قدماً .

تخرج من هذين الحوضين قناة قديمة تجري وسط السهل الى الشمال فالشمال الشرقي ، يدل بناؤها على متانة وجمال ، قناطرها مستديرة ، يعلوها افريز متصل يتضح من شكله انه من الفن الروماني . عرض القناة اربع اقدام ، وعمقها قدمان او ثلاث ، تمتد قليلاً على ارتفاع عشر او خمس عشرة قدماً فوق الارض ، ومن ثم تسير على مساواة سطح الارض تقريباً . والماء غني بالمادة الكلسية الذائبة لانه حينما يفيض فوق القناة او يرشح منها تتكون رواسب كبيرة مدلاة كالاصابع ، تملأ القناطر في بعض الاماكن . ومن الجنوب تخرج قناة اخرى قناطرها حادة يجري فيها الماء الى بعض الجنائن ، ويظهر ان هذه القناة حديثة او من بناء العرب .

اما النبع الثالث والاهم وحوضه فيقعان على مسافة بضع قصبات الى غرب الينبوعين السابقين . والحوض مثمّن الجوانب ، ويعلو عن الارض اكثر من الحوضين المذكورين ، حافته واسعة جداً ، والطريق المؤدية الى سطحه تتسع للراكب . يرتفع الماء اليه ، ويندفع منه ، باكثر قوة واغزر كمية من كل الينابيع الاخرى مجتمعة . وهذا الحوض كان متصلاً بالاثنين السابقين بواسطة قناة ، او بالحري كانت القناة الرئيسية تخرج منه وتجري شرقاً الى الاثنين الآخرين ، فتهدّم مكان الاتصال ، ولم يبق إلا كتل كبيرة من الرواسب للدلالة عليه [٤٢] . والماء في هذا الحوض دائم الفوران ، يصعب سبر غوره ، ويقول القوم هناك ان عمقه ستون قدماً . ولكن موندرل Maundrell يقول انه ثلاثون ، والارجح ان هذا ايضاً كثير جداً . اما ماء هذا الينبوع فيستعمل لادارة مطحنة واحدة واقعة الى شمال الحوض مباشرة ، دولابها على شكل جفنات كأكثر المطاحن في سوريا . كان الماء سابقاً يوزع على عدة مطاحن في هذا المكان ، اما الآن فهو يجري في جدول واحد سريع الى البحر المجاور [٤٣] ، وفي الاتجاه نفسه توجد تلة جد عالية ، ويوجد ايضاً ينبوع رابع وحوض ، ولكنهما اصغر بكثير ، والقناة بناؤها حديث .

وتكثر الاشجار حول هذه الينابيع ، والارض دائمة الاخضرار . جلسنا ظهراً للراحة تحت اشجار التين نتمتع بالمناظر الريفية المنعشة المحيطة بنا ، وعثرنا على آثار قرية دارسة [٤٤] .

باشر الباشا المصري منذ بضع سنوات بناء معامل للقماش ، فهدم مطحنتين او ثلاثاً . ولكنه لم يلبث ان عدل عن المشروع

لفداحة تكاليفه . ولم يبق من المشروع سوى اسس بنـــايتين ، والمواد التي جمعت ظلت حيث تركوها .

ساد الاعتقاد زمناً ان هذه الينابيع قد جلبت من الجبال المجاورة بواسطة قناة اصطناعية بنيت تحت الارض[٤٥] . والدليل على هذا الافتراض وحصره بهذه الينابيع مفقود ، اذ لو استعملت هذه الطريقة لا يمكن تطبيقها على سائر الينابيع الموجودة على طول الساحل ، وعلى تلك الموجودة الى شمال طبريا والحولة . فهي ليست اذاً سوى ينابيع طبيعية وغزيرة تتجمع مياهها بلا ريب تحت طبقة منحرفة في سفوح التلال فــلا تلبث القوى الكامنة فيها ان تجد لها مخرجاً فتندفع بشدة تمكنها من الارتفاع الى هذا العلو العظيم .

عزا المتدينون في العصور الوسطى ــ عصور التقوى ــ هذه الينابيع الشهيرة والاعمال الجبارة الى سليمان ، او اعتبروها البقعة المشار اليها في نشيد الانشاد : « ينبوع جنات ، بئر مياه حية ، وسيول من لبنان[٤٦] . » وكيفما كان الامر فهذا اعتبار خيالي لا يعتد به . ولكن من الراجح كثيراً ان مياه الينابيع كانت تصل الى صور القديمة بواسطة القنوات قبلما قام الرومان بالاعمال الموجودة الآن . والظاهر ان « مننذر » Menander عناها بقوله : ان سجلات صور تذكر انه عندما ارتدّ شلمناصر عن محاصرة صور الجزيرية ، أبقى وراءه حراساً لقطع المـــاء والقنوات عن الصوريين ، فحفروا الآبار وشربوا ماءهـــا طوال خمس سنين[٤٧] .

ان اول صورة واضحة عن هذه الينابيع في حالتها الحاضرة ،

هي ما ذكره رئيس اساقفة صور في مؤلفه التاريخي نحو اواخر القرن الثاني عشر ، فهو يصفها وصفاً ينطبق على حالتها الحاضرة ويذكر خصيصاً الدرجات الموصلة الى سطوح الاحواض التي تمكن الخيّال من الصعود اليها بسهولة كلية . في ذلك العصر استعملت المياه الغزيرة لري السهل المجاور حيث تكثر الحدائق وجنات الاشجار المثمرة ، ولاسيما قصب السكر الذي اكثروا من زراعته . ومع انه لم يكن معروفاً عند الصليبين الاول ، فقد صار معدوداً من ضروريات الحياة [٤٨] . وقد تكون هذه القنوات العربية بنيت لايصال المياه الى السهل جنوبي الينابيع ، لان المسلمين بدأوا يزرعون قصب السكر ، وقد يكون بناؤها معاصراً لما بني حول اريحا للغرض نفسه [٤٩] .

غادرنا راس العين في الساعة الرابعة والربع ، وجهتنا صور ، سالكين الى يمين الطريق العادية للسير بجانب القناة القديمة . وبعد عشرين دقيقة وصلنا الى ينبوعين وحوضين تشبه تلك التي في راس العين ، ولكنها اصغر ومياهها اقل غزارة ، وتستعمل الآن لري جنائن ومروج مجاورة واقعة الى جهة البحر . تقدمنا قليلاً فتبين لنا ان القناة الكبيرة تجري في السهل الى الشمال فالشمال الشرقي باتجاه المعشوق ، وهي تلة صخرية مدورة منعزلة في السهل شرقي صور ، تبعد نصف ساعة تقريباً عن المدينة ، يتوجها قبر ابيض لوليّ مسلم . والقناة مبنية على مساواة سطح الارض ، وفي بعض المواضع تستند الى قناطر مدورة وطيئة . وقيل لنا في صور ان حاكم المحلة امر بتنظيفها وترميم ما تهدم منها ، فصارت المياه تجري فيها حتى المعشوق ، فتروي المروج والجنائن وحقول القطن في السهل شرقي

صور .

وتمتد سلسلة من القناطر المخربة من المعشوق الى صور ، وهي تخص قناة قديمة ، ولكن القسم الاكبر منها مهدم . اما القسم الباقي فيظهر انه اكثر ارتفاعاً من القناة من ناحية الجنوب . فقدرنا ان مياه هذا القسم من القناة دفعت بطريقة ما الى مستوى اعلى عند المعشوق ، لامكان جرها الى المدينة . وقد يكون انحدار الارض سبباً في ارتفاع القناطر ، لان القناة بدون ريب بنيت على المستوى العالي نفسه ، وجلبت الى المدينة في قسم منها على الاقل على ارتفاع كبير . وقد أكد لنا ان لا وجود لآثار احواض او بناء من اي نوع على تلة المعشوق او حولها [٥٠] ، ولكن من العسير ادراك السبب في مرور القناة ، التي تحمل الماء من رأس العين الى صور ، على المعشوق مع بُعدِ هذه الاخيرة عن الخط المستقيم . قد يكون السبب في هذا التحوير انخفاض الارض وطبيعتها السبخة على الطريق المؤدية رأساً الى صور ، اذ يتطلب بناء سلسلة من القناطر العالية على اسس لا يعقل ان تكون متينة في ارض سبخة . اما الآن فهي مرتفعة قليلاً عن الارض إلا بين المعشوق وصور حيث القناطر عالية . وقد يكون القصد من هذه الطريق الملتفة ري اقسام السهل العالية كما هي الحالة الآن .

صور

استأنفنا السير في السهل على طريق ملتوية في ارض مستنقعة رطبة ، فوصلنا الى شاطىء من الرمل الناعم جنوبي البرزخ . سرنا

بضع دقائق على الشاطىء بمحاذاة الماء ، ثم عبرنا البرزخ الرملي عرضاً ، بالقرب من برج كبير منعزل لا يدل شكله على قديم عهده . فوصلنا الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والثلاثين الى باب المدينة الوحيد ، الواقع قرب الماء في الطرف الشمالي . اوقفنا حارس الحجر الصحي لان القدس موبوءة بالطاعون . طلبنا المأمور المكلف بالمراقبة ، وهو ايطالي رث المنظر وخسيس ، فصرح ان جوازنا الصحي مستوف الشروط ، فسُمح لنا بالدخول . ولا يمكنني ان اصف شعوري وتأثري اذ وجدت نفسي في محيط سيدة تجارة الشرق القديمة ، والأسفاه كيف سقطت !

ترددنا قليلاً بين فكرتين : أنذهب تواً الى بيت وكيل القنصل الاميركي ام ننزل في خيمتنا ؟ فضلنا الفكرة الثانية ، اذ توقعنا البقاء في صور في اليوم التالي ، فنكون اكثر حرية في عزلتنا وتجوالنا وتنقلاتنا حيث نشاء مما لو كنا في بيت رجل آخر . سرنا وسط المدينة الى شاطىء الجزيرة الغربي ، وهي الآن شبه جزيرة ، علنا نجد مكاناً مناسباً نضرب الخيمة عليه في الفسحة الواقعة بين البيوت والبحر . ولكن خاب فألنا لان الفسحة كانت مزروعة تبغاً . وبعد ان فتشنا قليلاً رجعنا ادراجنا مكرهين الى شوارع المدينة . ولكن لو تقدمنا عدة يردات ، لوجدنا مكاناً مناسباً بجانب بيدر قرب الشاطىء ، فنتمتع باستنشاق نسيم البحر العليل ، ونشنّف آذاننا بصوت الامواج الهادئة المندفعة برفق على الشاطىء الصخري .

وكلاء القناصل الاميركيين في المدن السورية يُعيّنون من قبل القنصل الاميركي في بيروت ، ويرجعون اليه في كل ما له

علاقة بالاعمال الملقاة على عاتقهم . وهم غالبــاً من الوطنيين المسيحيين ذوي الثراء والنفوذ ، وهم يعدون للحصول على هـذا التعيين امتيــازاً خاصاً بهم لانه يضمن لهم الحماية والاعفاء من رسوم وضرائب مختلفة الى حكومتهم . ولقاء ذلك يعتبرون ان للاميركيين الذين يزورون مكان اقامتهم حق الضيافة عليهم ، ومن واجباتهم اضافيهم في بيوتهم . الوكيل الحالي في صور رجل كاثوليكي مثرٍ هو يعقوب عقاد ، يعرفه رفيقي من قبل ، تراوح سنه بين الثلاثين والاربعين ، يقطن بيتاً رحباً وسط المدينة مع والدته وأخويه وعيالهم ويعيشون عائلة واحدة .

استقبلنا بمجالي الاكرام والايناس ، وأعدّ لنا أفسح واحسن غرفة لتكون تحت مطلق تصرفنا ، نهاراً وليلاً . لم نشعر بالراحة التي نتوخاها ونتوق اليها لان من مستلزمات الضيافة الشرقيـة ملازمة الضيف في النهار زيادة في احترامه وتكريمه . اودى بنا الجوع وانهكنا التعب وشعرت اني مريض ، ووددت لو يتاح لي النوم ، ولكن هذا لم يكن بامكاني لان مضيفنا لازمنا كالظل ، وكذلك جيرانه ، جاؤوا يقدمون احترامهم لضيوفه القادمين من بلاد بعيدة . اما والدته ، وهي سيدة متقدمة في السن ، حكيمة ووقورة ، فقد زارتنا زيارة رسمية . وهكذا فعلت في اليوم التالي . ولم نر من نساء العائلة سواها إلا من بعيد . امـا خدمنا وهم مسلمون فلم يسمح لهم بالنزول معنا ، بـل ارسلوا الى بيت آخر يملكه مضيفنا ، ولم يكن مأهولاً لانه قيد الترميم .

أنهكنا التعب ، وأعوزتنا الراحة ، ومرت الساعة تـلو الساعة ونحن قابعون في البيت ، لم نتمكن من عمل شيء او مشاهـدة

اية ناحية من صور . ومع كل ما احاطونا به من اللطف والاكرام ، فقد كان البون شاسعاً بين ما لاقيناه في الرملة — في ظروف مشابهة — من دقة وترتيب واعتناء .

بكّروا بدعوتنا الى العشاء فاستبشرنا خيراً لان الجوع عضّنا بنابه واستولى علينا الضجر ، ولكن طال انتظارنا وعيل صبرنا اذ لم ندعَ لمناولته إلا في الساعة التاسعة مساء .

قلّد مضيفنا الفرنجة تقليداً حقيراً بائخاً ، وذلك لصلاته الدائمة بهم . فقد جهز غرفة الطعام بخوان مستطيل غير متقن تحيط به بضع كراسٍ خشنة غليظة وحمّل عليه القصاع والسكاكين والشوك الصدئة . اما ألوان الطعام والطهاية فهي سورية ، ولم نذق في البلاد اردأ من النبيذ الاحمر الذي قدم لنا . آكلنا الوكيل واخوه ، ولكن طول الانتظار والتعب حرمانا متعة الحديث . ولم نكد نفرغ من تناول الطعام حتى نهضنا الى فرشنا فبسطناها على السجادة في الغرفة المعدّة لنا . وكم تمنيت ان افترش الارض في خيمتنا .

الاحد في ٢٤ حزيران .— وصلنا في رحلتنا الموفقة هذه الى الشاطىء الفينيقي . وها نحن الآن في قلب احد مراكزها التجارية المهمة . لقد عنيت حتى الآن بالمسائل التاريخية المتعلقة بالاماكن التي مررنا بها ، وبذلت جهداً لاطلاع القارىء على خلاصة تاريخها القديم وحالتها الحاضرة . اما فيما خصّ صور وصيدا فتاريخها حافل بالحوادث الجسام التي لو اضيفت الى ما اوجزه المؤرخون والكتّاب والسياح في الحديث عنها لملأت مجلداً ضخماً تلذ مطالعته وتفيد . ولا يتسع لي المجال في رحلتنا هذه للخوض

في هذا الخضم المتشعب الاطراف . واعتقد ان هذه الاعتبارات كافية لاعفائي من التعمق في هذه البحوث ومن تدوين الملاحظات التاريخية ، إلا ما يعرض لي مما له صلة مباشرة بالموضوع الذي اتيت من اجله .

صرفنا هذا اليوم في صور ، وهو يوم عطلة وراحة عند المسيحيين، ونحن ابعد ما نكون عن الانشراح والفائدة، كما لو كنا وسط الصحراء . وكانت ملازمة مضيفنا لنا عبئاً ثقيلا علينا ، لاننا لم نتمكن من القراءة او الكتابة او اي عمل آخر بحضوره . وبعد تناول طعام الصباح ، خرجتُ منفرداً اجول في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة ، وراء المدينة ، فاذا كل ما هنالك مهجور وقفر كالصحراء . استحممت في مياه البحر الصافية الدافئة المتدحرجة الى خوْر رملي جميل بين الصخور . ثم تابعت التجوال على طول الشاطىء الغربي والشمالي ، متأملاً أبهة صور القديمة ومجدها وعظمتها وسقوطها . هنا كانت الجزيرة الصغيرة عامرة بقصورها ومحاطة باساطيلها . البنّاؤون تمموا جمالها وسط البحار . تجارها رؤساء ، ومتسببوها موقرو الارض ، ولكن واأسفاه ! « ثروتك وأسواقك وبضاعتك وملاحوك وربابينك وقلاّفوك والمتاجرون بمتجرك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل جمعك الذي في وسطك » ، اين هم ؟ فقد صارت صور « مثل ضح الصخر ، مبسطاً للشباك » . فالآثار الوحيدة الباقية من مجدها القديم منثورة تحت الامواج وسط البحر ، وما الاكواخ المستقرة الآن في قسم منها الا ألسنة ناطقة بالقضاء الهائل عليها « لا تبنين بعد ! » ٥١

ذهبت مع رفيقي الى الاماكن نفسها التي زرتها في الصباح والى نقاط اخرى هامة في المدينة ، وبينها الكاتدرائية القديمة . وهاكم وصفاً مختصراً لما شاهدناه في دورتنا السريعة . شعرت بانحراف قليل بعد الظهر فرجعت الى البيت حيث ينزل خدمنا، وبسطت سجادتي في احدى الغرف الخالية ، فتمتعت بالعزلة التي أنشدها ، ونمت نوماً هادئاً هانئاً .

صور الحالية مبنية على شبه جزيرة ، وكانت قبلاً جزيرة مستطيلة ضيقة ، بموازاة الشاطىء ، ولكنها تبعد عنه نحو نصف ميل . وربما كانت قبلاً سلسلة صخور ، تكونت الجزيرة داخلها من الرمال التي قذفها البحر . اما البرزخ فقد نشأ اولاً من الممر الشهير الذي أنشأه الاسكندر ، ثم اتسع على مرور الزمن ورسخ بما قذفته عليه المياه من الرمل . لا يقل عرضه الآن عن نصف ميل . ومع انه تكوّن من رمل غير متماسك ، فآثار الابنية الباقية على الغالب من القرون الوسطى تغطي ارضه . ويقع البرزخ بين الشاطىء وطرف الجزيرة في اقصى الشمال . ولذلك فالناظر الى الجزيرة من الشاطىء يراها بارزة الى جنوبي البرزخ اكثر من بروزها الى شماله ، فيتكون من هذا البروز خليجاً اكبر من الخليج الشمالي . ومع ذلك فالمرفأ او بالاحرى المرسى الذي ترسو فيه السفن هو في الشمال . ولا يقل طول الجزيرة عن ميل . اما القسم الناتىء في الجنوب وراء البرزخ فعرضه ربع ميل ، وهو صخري ، وغير مستو ، ويسكنه نفر من صيادي السمك « مبسطاً للشباك » . وسور المدينة الجنوبي يمتد ، عبر الجزيرة ، بموازاة طرف البرزخ الجنوبي تقريباً .

وموقع المدينة الحاليـــة فوق نقطة اتصال البرزخ بالجزيرة ، والسور الشرقي يشمل قسماً من البرزخ . اما في الشمال والغرب من ناحية البحر فلا وجود للاسوار ، او انهـا وجدت قبـلا وتهدمت وأهملت .

والمرفأ ، او الحوض الداخلي في الشمال ، كان سابقاً محاطـاً بسور يمتد معقوفاً من طرف الجزيرة الشمالي الى الـبر . ويستدل على اتجاهه من القطع والحطام الباقية . والمرفأ لا يتسع لغـير الزوارق لان الرمال المتوالية عليه ملأته . ويذكر مضيفنا ان مياه البحر كانت قبلاً تغطي الفسحة الكائنة امام بيتـه ، وهي الآن تبعد ٥٥ او ٦٦ يرداً عن البحر ، ومحاطة بالابنية . اما الذين يكبرونه سناً فيتذكرون ان السفن كانت ترسو سابقاً حيث الشاطىء الحالي .

اما شاطىء الجزيرة الغربي فهو سلسلة من الصخور المسننـة البديعة الشكل ، ترتفع اجزاءٌ منهـا الى خمس عشرة او عشرين قدماً ، تندفع عليها امواج المتوسط متلاطمة ، اندفاعاً متواصلاً . وتقع المدينة على القسم الشرقي من الجزيرة فقط ، وبين البيوت والشاطىء الغربي توجد قطعة عريضة مـن الارض المكشوفة ، تركت للحراثة . ومن اول الشاطىء الى آخره بجانب الماء وفي الماء ، تُرى اعمدة من الحجر السماقي الاحمر والسنجابي ، مختلفـة الاحجام ، منتشرة هنا وهناك ، وهي الآثار الوحيدة البـاقية التي تذكرنا بعظمة صور القديمة * وجلالها . وفي طرف الجزيرة الشمالي

* اعني بها صور قبل التاريخ المسيحي ، او بالحري قبل ان تدخل تحت السلطة الاسلامية . — المؤلف .

الغربي ، ترى اربعين او خمسين من هـذه الاعمدة مكوم بعضها فوق بعض تحت الماء . وعلى طول الشاطىء وفي عدة مواضع منه تكونت طبقات من الصخور الجديدة من الحجارة والعظام والفخار المتكسر مما جرفته الامواج .

لا يخلو الشاطىء الشمالي من الاعمدة المرمية المتفرقة هنا وهناك . وهنا خصوصاً فحصت سور المرفأ القديم عند طرفه الغربي فحصاً دقيقاً ، وقد بنيت دعائمه اولاً على الشاطىء ، قبل ان يصل الى الماء ، فوجدته مبنياً من حجارة كبيرة منحوتة . ظننت لاول واهلة ان تاريخ بنائها عريق في القدم . ولكن بعد ان تفحصتها ملياً وجدت ان الاسس تستند الى اعمدة رخامية مركزة تحتها ، وهذا دليل على ان هذه الاقسام من الاسوار – ان لم يكن المرفأ كله في شكله الحاضر – لا يرجع تاريخها الى اكثر من القرون الوسطى .

في الزاوية الشرقية الغربية من المدينة تُرى اطلال كنيسة صور الكاتدرائية مبنية على النمط اليوناني ، وكانت في الاصل بناية فخمة ، ولكنها الآن خراب يباب . ابقت السنون على قسم من طرفها الشرقي ، اما وسطها فلم يبق منه شيء . ويبلغ طول الكنيسة مئتين وست عشرة قدماً ، وعرضها مئة وستاً وثلاثين [٥٢] . وهذه المساحة مملوءة بالاكواخ الحقيرة ، واكثرها ملتصق بجدران الكنيسة ودعائمها كأنها اعشاش السنونو . وفي باحة احد هذه الاكواخ يرتمي عمود مزدوج من الحجر السماقي السيناوي ، وهو مؤلف من اسطوانتين متوازيتين ضخمتين ، ولكنهما انيقتين . ولا ريب ان هذا العمود كان احدى الدعائم الرئيسية في الكنيسة ومن متممات

الزخرف فيها [٥٣] . ويقول فولني Volney ان الجزّار باشا ، في اول عهده بالحكم ، جرّب نقل هذا العمود الى عكا ، ليزيّن به جامعاً ، ولكن مهندسيه لم يتمكنوا من زحزحته من مكانه [٥٤] . وتوجد اعمدة اخرى من الحجر السماقي السنجابي اللون منثورة في الجوار ، وفي الشوارع .

نكب زلزال ١٨٣٧ هذه الاطلال الفخمة فهدم قنطرة عالية واقساماً اخرى كانت لم تزل صامدة لعاديات الايام . لم يقم اي دليل على علاقة هذه الاطلال مباشرة باية كنيسة قديمة معروفة . اما افتراض موندرل Maundrell انها قد تكون الصرح عينه الذي شيّده « بولينوس » Paulinaus اسقف صور في مطلع القرن الرابع ودشّنه يوسبيوس بعظة بليغة فلا يعدو الحقيقة . وتدل الحوادث التي يذكرها يوسبيوس Eusebius ، على انها كانت كنيسة كاتدرائية ، ويقول انها كانت افخم هيكل في فينيقيا [٥٥] . اما المؤرخون في عهد الحروب الصليبية فلا يذكرون شيئاً عن الكاتدرائية ، مع ان صور وقتئذ سيمت رئاسة اسقفية تابعة للبطريرك الاوروشليمي .

سيم وليَم الصوري ، مؤرخ الحروب الصليبية الشهير الموقر ، اسقفاً العام ١١٧٤ ، واقتصر مؤلفه التاريخي على تدوين الحوادث حتى مطلع العام ١١٨٤ [٥٦] . ومن المرجح ان رفات الامبراطور « فريدريك بارباروسا » Frederick Barbarossa دفنت في هذه الكاتدرائية [٥٧] .

اما صور الحالية فليست سوى سوق للبيع والشراء ، ومرفأ بحري صغير ، ولا تكاد تستحق اسم مدينة . واهم صادراتها التبغ الذي يزرع على التلال المجاورة [٥٨] . وتصدّر ايضاً قليلاً من القطن ، والفحم

والحطب المجلوب من الجبال البعيدة . واكثر بيوتها اكواخ صغيرة ، والقليل منها يزيد على دور واحد ، سطوحها منبسطة ، وشوارعها ازقة ضيقة ، معوجة وقذرة . لكن اشجار النخيل الكثيرة المتفرقة تضفي عليها سحراً شرقياً ، وكذلك اشجار الازدرخت العديدة المنتشرة بين البيوت والجنائن ، تكسبها بهجة وجمالاً [٥٩] . ويقدر عدد (المكلفين) دافعي الضرائب باربعماية مسلم وثلاثماية مسيحي . وهذا يعني ان مجموع السكان يقل عن ثلاثة آلاف نفس . اكثرية المسيحيين من الروم الكاثوليك ، وكرسي مطرانهم في المدينة نفسها ، اما الروم الارثوذكس فاقلية ضئيلة ، كرسي مطرانهم في حاصبيا ، وهي تابعة للبطريرك الانطاكي [٦٠] . ولم نسمع بوجود يهود في صور ، مع اننا في القدس سمعنا ان الكثيرين من اليهود توطنوا في صور منذ سنتين .

امتد زلزال العام ١٨٣٧ الى مسافة بعيدة ، فهدم قسماً كبيراً من السور الشرقي وقد اعيد بناؤه حديثاً ، واحدث ثغرات كبيرة في السور الجنوبي فاختل ولكنه لم يسقط . وتهدمت بيوت كثيرة واخرى عطبت . ففر السكان من مساكنهم وخيّموا في الخلاء ظناً منهم ان الخراب قد عمّ المدينة ، فقتل اثنا عشر شخصاً فوراً وجرح ثلاثون [٦١] .

يزوّد صور بالماء نبعان عميقان تعلوهما الابنية ، واقعان على بضع خطوات خارج الباب في الجهة الشمالية من شبه الجزيرة . اغزرهما النبع القريب من الباب ، وهو النبع الاكثر وروداً . ويندر وجود الماء العذب في مكان كهذا . ولا يبعد ان يكون متصلاً بطريقة غير معروفة بينابيع راس العين القديمة . وهذا

لا يغاير الناموس الطبيعي . هذا هو اعتقاد مضيفنا وغيره من سكان صور . واخبرنا ايضاً انه ، منذ سنتين او ثلاث ، صدرت الاوامر الى حاكم صور بدعوة فئة للجندية ، فجمع كل فلاحي المنطقة بحجة تنظيف القناة القديمة التي ُظن انها تمتد الى المدينة . فحفروا يومين او ثلاثة على جانب البرزخ بالقرب من الباب ، ووجدوا آثار قناة من الانابيب الفخارية الغليظة ، على عمق قليل من سطح الارض . ولما تمّ له ذلك جنّدهم وأهمل امر القناه .

ُيقال ان جماعة من صيدا أسست صور قبل بناء هيكل سليمان بمئتين واربعين سنة ويُعتقد ان المدينة في الاصل كانت مبنية على البر الكبير . وذكر يشوع في قسمة البلاد بين الاسباط انها مدينة محصنة . وفي عهد داود كانت معقلاً حصيناً [٦٢] . ويذكر يوسيفوس Josephus ان حيرام كتب الى سليمان يقول ان الصوريين كانوا يحتلون الجزيرة [٦٣] . وفي ايام شلمناصر ملك اشور ، نحو ٧٢٠ ق. م. ، كانت المدينة الرئيسية على الجزيرة ، اما المدينة البرية فكانت تسمى بالبتراس Palœtras اي صور القديمة [٦٤] . وهذه خضعت لشلمناصر بينما حاصر تلك خمس سنوات ولم يظفر منها بطائل [٦٥] . وبعد شلمناصر حاصرها نبوخذنصّر ثلاث عشرة سنة ، ولا ندري هل تمكن من اخذها بعد ذلك الحصار الطويل ام لا [٦٦] . ثم حاصرها الاسكندر الكبير ذلك الحصار الشهير نحو سنة ٣٣٢ ق. م. وتمكن من دخولها بعد سبعة اشهر ، بعد ان عانى من المشاق والمصاعب في بناء ممر يصل الجزيرة بالشاطىء ما تنوء تحته الهمم . ولكي

تتوافر له المواد اللازمة هدم صور القديمة وطرح انقاضها في البحر [٦٧] . ظلت صور حصناً منيعاً . وبعد وفاة الاسكندر خضعت لحكم السلوقيين بعد ما حاصرها انطيغونس Antigonus اربعة عشر شهراً . ثم دخلت تحت سلطة الرومان . اما الممر الذي بناه الاسكندر فقد قسم المضيق الى مرفأين ولذلك يقول استرابو Strabo ان صور مدينة تجارية زاهرة ذات مرفأين [٦٨] . تلك كانت حالتها عندما زارها السيد المسيح مع تلاميذه ، ثم زارها بولس بعد ذلك [٦٩] . صارت صور اسقفية مسيحية في عهد مبكر . ويذكر جيروم Jerome في القرن الرابع انها افخم واجمل مدينة في فينيقيا ، وتجارتها منتشرة في كل العالم [٧٠] . والظاهر انها بقيت كذلك تحت الحكم الاسلامي ، وحتى الحروب الصليبية [٧١] .

لم يتمكن الصليبيون من حصار صور إلا بعد خمس وعشرين سنة من استيلائهم على المدينة المقدسة لانها كانت وقتئذ مزدهرة ومعقلاً حصيناً للسؤدد الاسلامي [٧٢] . وقد وصفها وليم الصوري ، وهو شاهد عيان ، بأنها منيعة التحصين ، يحيط بها من جهة البحر سور مزدوج تعلوه ابراج ، ومن الشمال داخل المدينة كان المرفأ المسور ، يُدخل اليه بين ابراج مزدوجة ، وفي الشرق حيث يسهل الوصول اليها من البر يحميها سور مثلث الجدران ، تعلوه ابراج عالية متلاصقة ، وخندق عميق يمكن ملأه من البحر من الجانبين [٧٣] . استقر الجند المسيحي امام صور في الحادي عشر من شباط سنة ١١٢٤ م ، واستولوا عليها في ٢٧ حزيران التالي . ولما دخلوا الى سوقها التجاري الغني ، دُهش الحجاج لمناعة

تحصينها ، وسعة بيوتها وفخامتها ، وارتفاع الابراج، ومتانة الاسوار ، وجمال المرفأ وصعوبة الدخول اليه [٧٤] .

بقيت صور اكثر من قرن ونصف في حوزة المسيحيين وظلت محافظة على رخائها . واشتهرت بصنع الزجاج وانتاج السكر [٧٥] . وكانوا كل ليلة يقفلون مدخل المرفأ بوضع سلسلة بين الابراج . ولما انتزع صلاح الدين القدس وكل فلسطين تقريباً من المسيحيين ، بعد معركة حطين سنة ١١٨٧ م ، بقيت صور المدينة الوحيدة الهامة التي قاومت جيوشه . وفي تشرين الثاني من السنة نفسها ، غزاها صلاح الدين ايضاً ، ولكنه أرغم على فك الحصار بعد ثلاثة اشهر من الجهود العقيمة [٧٦] . اصبحت صور بعد ذلك ميداناً للتنازع بين المسيحيين انفسهم . وفي منتصف القرن الثالث عشر دخلت تحت سلطة البندقيين الذين لم يبق من املاكهم وادارتهم في صور وضواحيها سوى احاديث مختصرة يمكن الوثوق بصحتها [٧٧] .

تهيّب بيبرس الهائل الصاعق قوة صور ومناعة تحصينها فامتنع عن مهاجمتها مباشرة في بادىء الامر ، مع انه في العام ١٢٦٧ م نهب البلاد التي تحيط بها ليثأر - كما ادعى - لاحد مماليكه الذي قتل هناك ، ولم يرتد إلا بعد ان دفع له السكان دية الدم خمسة عشر الف قطعة ذهبية ، واطلقوا سراح الاسرى العرب ، فعقد معهم صلحاً لمدة عشر سنوات [٧٨] . وفي اثناء ذلك ، اخضع القلاع في داخلية البلاد ، واستولى على يافا وارسوف وقيصرية في الجنوب ، وعلى انطاكية وغيرها من المدن في الشمال [٧٩] . فأصبح المسيحيون محصورين في الساحل شمالي الكرمل ، وضعفت سلطتهم على ما بقي لهم من ممتلكاتهم ، وقويت شوكة الاسلام

وسيادتهم ، فلم تعوزهم سوى ضربة واحدة لطرد الافرنج وتقليص ظلهم من الارض المقدسة .

ولما حاصر الملك الاشرف عكا في العام ١٢٩١م ، وهو وقتئذ سلطان مصر ودمشق ، واخذها عنوة بعد حصار دام شهرين [٨٠] ، مرتكباً فظائع مروعة ، أخذ الفرنجة الساكنون في صور ما امكنهم حمله واسرعوا الى سفنهم في عشية اليوم عينه الذي سقطت فيه عكا ، تاركين هذه المدينة المهمة للعرب الذين احتلوها في اليوم التالي [٨١] .

ولم يطل الامر بالفرنجة حتى تخلوا عن صيدا كما تخلوا عن صور . اما بيروت فأخذت خدعة ، وهدمت حصون المدينتين . وفي السنة نفسها تخلوا عن طورطوزه Tortosa (طرطوس) « وعثليت » Castrum Peregrinorum ، فامّحت سلطة الفرنجة وتقلص ظلهم نهائياً عن سورية وفلسطين [٨٢] .

ويقول بروكاردوس ، قبل هذا الوقت بقليل ، ان صور محصنة من البر بأسوار منيعة ذات اربعة جدران تتصل بقلعة على الجزيرة لها سبعة ابراج ، وتعتبر غاية في المناعة [٨٣] . والظاهر ان العرب هدموا تلك التحصينات كما فعلوا في صيدا وبيروت ، فهجرها اكثر سكانها . ويقول ابو الفداء ، بعد هذه الحوادث بفترة قصيرة ، ان صور ليست سوى اطلال . ولا يختلف الظاهري عن ابي الفداء في كلامه عليها في منتصف القرن الخامس عشر [٨٤] . والظاهر انها لم تستفق من الكارثة التي حلت بها ، بل تابعت تدهورها في هوّة سحيقة من الخراب والدمار . ويصفها السياح في القرنين السادس عشر والسابع عشر بأنها ركام من الخرائب :

قناطر محطمة ، وسراديب خربة ، واسوار متداعية ، وابراج مهدمة ، وسكانها القليلون البائسون يسكنون السراديب وسط الخرائب والاوساخ [٨٥] . وفي النصف الاول من القرن السابع عشر ، بذل فخر الدين الزعيم الدرزي المشهور بعض الجهود لاعادة مكانتها ، فشيّد قصراً فسيحاً وابنية كثيرة ، ولكنها لم تعمر طويلاً ، وتحوّل القليل الباقي من القصر في ايام « دافريو » D'Avrieux الى خان يأوي اليه المسافرون [٨٦] . وفي اواخر القرن نفسه لم يجد موندرل Maundrell فيها « بيتاً كاملاً » ، بل نفراً من صيادي الاسماك الفقراء يلجأون الى السراديب [٨٧] . وفي ايام « بو كوك » Pocock (١٧٣٨) صدّرت الوكالة الافرنسية في صيدا كميات كبيرة من الحبوب من صور ، ولكن هذا السائح نفسه يذكر وجود عائلتين مسيحيتين او ثلاث ، ونفر قليل من السكان [٨٨] . ويقول « هايسلكويست » Hasselquist في العام ١٧٥١ انها قرية بائسة ، لا يزيد عدد سكانها مسلمين ومسيحيين على العشرة ، يعتاشون من صيد الاسماك [٨٩] . في العام ١٧٦٦ م استولى المتاولة من الجبال المجاورة على صور ، وبنوا الاسوار الحالية ، واضعين بعملهم هذا الحجر الاساسي في تجديد بنائها ونهضتها . وبعد مضي عشرين سنة كما يقول « فولني » Volney اصبحت الاكواخ الحقيرة التي تتألف منها القرية منتشرة على ثلث شبه الجزيرة ، وكانت صادراتها لم تزل مقتصرة على بضعة اكياس من الحبوب والقطن ، والتاجر الوحيد فيها رجل يوناني وكيل المؤسسة الفرنسية في صيدا [٩٠] . كان تصدير التبغ الى مصر حافزاً لها خلال القرن الحالي . ففي العام ١٨١٥ م اصبح التبغ من حاصلاتها الرئيسية وكذلك القطن ، والفحم ، والحطب وسكانها

يزدادون باطراد [٩١] . وقد يكون ازدهار بيروت واهمية تجارتها حجر عثرة في سبيل زيادة توسعها .

وبمناسبة ما ذكر سابقاً عن صور القديمة ، نتساءل عن موقع المدينة البرية القديمة بالوتيروس Paloetyrus التي لم يبق منها الآن اثر معروف . والشيء الوحيد الواضح الذي نعرفه عن مركزها هو ما ذكره استرابون ، بعد ان هدمها الاسكندر بثلاثة قرون . فهو يقول انها كانت تبعد ثلاثين « ستاديا » اي خمسة آلاف وخمسماية وخمسين متراً الى جنوبي المدينة الجزيرية [٩٢] . فالاتجاه والمسافة المذكوران ، اذاً ، يجعلان موقعها بالقرب من رأس العين . والارجح انها كانت تقع على الشاطيء جنوبي هذه الينابيع . وربما كانت قلعتها على التلة الواقعة في تلك الناحية [٩٣] . ويعود عدم بقاء شيء من آثارها حتى الآن الى ان الاسكندر ، منذ اكثر من عشرين قرناً ، نقل حجارتها لبناء الممرّ المشهور [٩٤] ، وما بقي منها أستعمل في بناء المدينة الجزيرية وتجديدها في القرون التالية . ولكن ماذا حل بصور العصور الوسطى ، واين اسوارها ذات الجدارين والثلاثة ، وابراجها العالية ، وابنيتها الضخمة ؟ لقد تهدمت . وليس ذلك فحسب ، بل اختفت اكثر المواد ولم يظهر لها اثر ، وجرفت المياه قسماً كبيراً منها ، واستعمل الباقي في تحصين عكا وسواها من الابنية [٩٥] .

الاثنين ٢٥ حزيران . — غادرنا صور الساعة السادسة وسرنا على الطريق الساحلية شمالي البرزخ وجهتنا صيدا . وتقدر المسافة بين المدينتين بثماني ساعات . فتركنا القناة القديمة وقناطرها العالية المهدمة عن يميننا . وكانت الطريق تبتعد تدريجاً عن الشاطيء بعد ان اجتزنا

البرزخ . وبعد خمس وثلاثين دقيقة وصلنا الى نبع ماء غزير وصاف كان سابقاً مسوراً ، يعتقد الصوريون بفوائده الطبية [٩٦] . فأصبحت الطريق الآن تخترق السهل عرضاً ، باتجاه الآكام التي يخرج منها وادي الليطاني ، واسمه هنا نهر القاسمية . وصلنا الى خان القاسمية الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وهو بناء حقير متهدم مبني في سفوح الآكام على ضفة الوادي الجنوبية العالية ، لقبه سانديز Sandys « بالقديم » [٩٧] . توقفنا ساعة في هذا المكان لتناول طعام الصباح . الخان مأهول ، ولكن سكانه غائبون ، وقد تركوا دواجنهم وكل اغراضهم امانة في يد النازلين . ففتش خدمنا عن شيء نأكله ، فوجدوا بضع بيضات في احد الاوكار فأخذوها ووضعوا ثمنها في الوكر .

استأنفنا السير الساعة الثامنة والخامسة والاربعين فنزلنا ، على الضفة المنحدرة ، الى النهر الذي يجري في بطن الوادي ، ويمكن عبوره على جسر حديث ذي قنطرة واحدة [٩٨] . ويبلغ في هذه النقطة ثلث عمق الاردن تقريباً فوق بحيرة طبريا ، وهو يجري الى البحر بعطفات كثيرة وسط مرج متسع لكنه منخفض . ويقال ان كلمة القاسمية تعني القسمة . ويظن انه الحد الفاصل بين مقاطعات مجاورة . ولكن الارجح انه مشتق من اسم علم [٩٩] . وهو النهر نفسه المسمى الليطاني الذي يقطع سهل البقاع بين لبنان ولبنان الشرقي (انتي لِبنان) ويمر بمضيق في الجبل في الطرف الجنوبي من لبنان [١٠٠]، ويتابع سيره الى البحر . والرأي السائد انه النهر الذي اطلق عليه علماء الجغرافيا الاقدمون اسم ليونتز Leontes ، ولم يطلق عليه هذا الاسم جزافاً وان لم

يعزز بالحجج والبراهين القاطعة [١٠١] . اعتقد البعض خطأ ، ويرجع الاعتقاد الى عهد الحروب الصليبية ، ان نهر القاسمية هو نهر « اليوثيروس » Eleutherus القديم ، الذي اتفق علماء الجغرافيا الاقدمون على القول انه الى شمالي « تريبوليس » Tripolis (طرابلس) وكان موندرل اول القائلين ان اليوثيروس هو النهر الكبير في الطرف الشمالي من لبنان [١٠٢] .

سرنا بقية النهار في السهل الفينيقي المشهور ، تارة في سفوح الجبال وطوراً بالقرب من الشاطىء . ويمتد هذا السهل من رأس البياض او الابيض Promontorium Album الذي يبعد نحو ثلاث ساعات جنوبي صور ، الى نهر الاولي الذي يبعد ساعة الى شمالي صيدا . فطوله اذاً لا يقل عن عشر ساعات الى احدى عشرة ساعة . اما عرضه فغير متساوٍ ، ولكن اقصاه لا يزيد على النصف ساعة ، إلا حول صور وصيدا ، حيث تنكفىء الجبال قليلا ، ولكنها في بعض الاماكن تقترب كثيراً من الشاطىء . اما السهل فغير منبسط بل متموج ، والتربة ناعمة وخصبة وصالحة للحراثة ، ولكن اكثرها الآن سباخ . والمرتفعات المجاورة لا تستحق ان تسمى جبالاً ، فهي ارض مرتفعة تمتد من لبنان جنوباً مع بعض المنحدرات والهضاب في الشرق لجهة الحولة . اما هنا فالارض منخفضة وصخرية وتكثر فيها الشجيرات الكثيرة الجذوع ، ولكنها تصلح للزراعة والحرث . والتلال ايضاً عامرة بالقرى . اما في السهل فلا توجد قرية واحدة ، إلا بالقرب من صيدا . في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين عبرنا مجرى ماء جافاً يسمى ابو الاسوَد ، عليه بقايا جسر قد يكون من الابنية القديمة ،

قنطرته مستديرة ، ولكنها مهدّمة . وكذلك الخان المندثر بجواره .
الساعة العاشرة والنصف وصلنـــا الى مكان تقترب آكامه من الشاطىء ، فاذا الى يسارنا على الشاطىء آثار قرية قديمـــة تدعى عـدلان ، تشتمل على كوم مشوشـة من الحجـارة ، وعـدة آبار قديمة [١٠٣] . وعلى اعـالي الجبال قريتان او ثلاث احداهـا تدعى الانصـارية ، وحقول الدخن الزاهر تملأ السهل ، وجـانب الجبل الناتىء صخري ومنحدر قرب سفحه ، وفيه عدة كهوف ضريحية ، محفورة في الصخر الكلسي الصلب .

هذه القبور موجودة بكثرة ، وقد وصفها لنا اصدقاؤنا الذين زاروها بانها على نمط واحد . مدخلها يفضي الى غرفة مساحتها نحو ست اقدام مربعة ، تشتمل على شبه سرير توضع عليه جثث الموتى . اما الابواب فغير موجودة ، والعظام لا اثر لها . وهذا الوصف يتفق وما ذكره نو Nau العـام ١٦٧٤ م . فهو يصفها وصفاً دقيقاً ، وقد غلب على ظنه انها صوامع نساك قديمة لدقة نظامها وحسن تناسقها [١٠٤] . أتكون هي البقعة التي ذكرها وليم الصوري ، فقال انها الكهف الصوري في اقليم صيدا الذي احتله الصليبيون وجعلوا منه معقلاً [١٠٥] ؟ فاذا صحّ ذلك ، امكننا القول انها « مغارة الصيدونيين » المذكورة في سفر يشوع [١٠٦] . ولكن هذا الاستنتاج مشكوك في صحته .

استأنفنا السير الساعة الحادية عشرة والدقيقـة العشرين فعبرنا وادياً صغيراً لا مـــاء فيه رصعه شجر الدفل [١٠٧] . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين وصلنـــا الى قبر ولي قرب الشـــاطىء يـدعى الخضر ، وهو الاسم العربي لمار جرجس

(القديس جاورجيوس) ، وبالقرب منه خان صغير . وعلى خمس دقائق الى اليسار ، خرائب واسس مهدّمة ، وكوم من الحجارة المبعثرة يستدل منها على آثار قرية مندثرة . ومقابل هذه البقعة ، على مسافة نحو نصف ساعة ، تقع صرفند ، وهي قرية كبيرة على المنحدر الجنوبي لتلة شبه منعزلة . وفي القرية قبران او ثلاثة للاولياء . وصرفند هذه مذكورة في العهد القديم باسم « صرفاد » Zarephath ، وفي العهد الجديد باسم «صرفة» Sarepta ، وتقع ، كما يقول « يوسيفوس » و « بليني » Pliny ، بين صور وصيدا ، وهي خاصة باقليم صيدا [١٠٨] . وفي صرفة اطال ايليا مكثه في بيت الارملة وأحيا ابنها من الموت [١٠٩] . ويذكر صرفة ايضاً يوسيبوس وجيروم ، وهذا يقول ان بولا Paula ايضاً زار هذه الناحية [١١٠] .

واشتهر خمر صرفند كثيراً وردد ذكره مراراً في الاشعار اللاتينية في العصور التالية . ويقول « انطونينوس مارتير » Antoninus Martyr في اواخر القرن السادس عشر ان صرفة مدينة مسيحية صغيرة [١١١] ، ولم يذكر احد انها كانت اسقفية قديمة ، لان الصليبين اول من جعل منها كرسي اسقف لاتيني تابعاً لرئيس اساقفة صيدا ، وشيّدوا كنيسة صغيرة قرب المرفأ على البقعة المشهورة حيث سكن ايليا ، واقام ابن الارملة من الموت [١١٢] . ويذكر فوكاس Phocas نحو العام ١١٨٥ م وجود حصن على شاطىء البحر . وبعد قرن من الزمن يقول بوركاردوس ان عدد البيوت في ذلك المكان لا يتجاوز الثمانية ، ولكن الخرائب الكثيرة تدل على شهرتها القديمة [١١٣] . ومما لا ريب فيه ان الجامع حل محل الكنيسة المسيحية . ويقول السياح السابقون

ان الجامع بني على انقاض بيت الارملة ، وقد يكون قبر الخضر حل محل الجامع [١١٤] .

فالظاهر اذاً ان المدينة السابقة صرفة او صرفند كانت قائمة على شاطىء البحر ، وان المدينة الحالية المسماة صرفند والواقعة على الآكام المجاورة بنيت منذ الحروب الصليبية ، وقد اختار السكان ذلك المكان للسبب عينه – مهما يكن – الذي اضطرهم الى التخلي عن السكن في السهل . فمن ذكر السهل السابق والكنيسة القريبة منه وقد شيّد مكانها قبر الولي ، الى الاطلال المجاورة ، يثبت لنا ان موقع صرفند كان قريباً من البحر . وقد اثبت ذلك ايضاً وليم الصوري ببينة لا تقبل الجدل بقوله : ان صرفند كانت عن يمين جيش الصليبيين في زحفه وسط السهل الفينيقي بطريقه الى القدس [١١٥] . ولا ريب ان القبور المحفورة في الصخور في سفح الآكام كانت تخص تلك المدينة القديمة [١١٦] .

كانت الساعة الثانية عشرة ولما نزل على مسافة قصبة من صيدا ، ولكنا رأيناها ترفل في حلة خضراء جميلة وسط غابة من الاشجار الوارفة . وبعد عشر دقائق وصلنا الى نبع ماء قرب الشاطىء ، يسمى عين القنطرة ، تظلله الاشجار الكثيرة ، ويروي بقعة صغيرة من الجنائن . وفي الساعة الثانية عشرة والنصف عبرنا مسيل ماء ينحدر من الجبال . وبعد ربع ساعة عبرنا مجرى آخر أسن الماء في مواضع منه . هنا ايضاً كانت اشجار الدفل زاهرة ، والى يميننا دعائم جسر مهدم . وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والخمسين وصلنا الى عين البُراك وهو ينبوع رائق يخرج منه جدول صغير يجري الى البحر . في هذه البقعة الجميلة ، شيد

المستر كاتافاغو من صيدا ، منذ وقت قريب ، بيتاً وخانا ، وغرس جنائن رحبة ، وزرع حقولاً واسعة قطناً . ومع ان العمل في طور التأسيس ، إلا انه يبشر بمستقبل باهر .

وصلنا الى نهر الزهراني وهو نهير هادىء يجري من الجبال . عبرناه الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة فكان الى يميننا جسر حديث مهدم ، وبالقرب منه نصب روماني . وبعد نصف ساعة وصلنا الى وادٍ آخر ، الماء فيه قليل وآسن . كانت الساعة الثانية عندما رأينا عن يميننا في سفح الجبل قرية الغازية . في هذه البقعة تنحسر الجبال ، فيتسع السهل حول صيدا ، وتبتدىء المروج والجنائن التي تخص المدينة ، فتمتد شمالاً الى الاولي . في الساعة الثانية والنصف عبرنا نهر سنيك وهو مجرى شتوي عريض وجاف وسط السهل . الى الشمال منه خان صغير ، او بالحري مخفر ، وهو نقطة خارجية امام صيدا ، يقيم فيه حرس المحجر الصحي . لم يتمكن الجنود الاميون من قراءة جوازاتنا الصحية ورفضوا السماح لنا بالتقدم ، واصروا على بقائنا حيث نحن حتى ترسل الاوراق الى صيدا للحصول على اذن لنا بالدخول . ولم يسمحوا لنا بمرافقة الرسول الى الباب الخارجي . فلم يكن لنا بد من الاذعان والصبر على هذه المعاملة التي اضاعت علينا نحو ثلاث ساعات . وقد فهمنا بعد دخولنا صيدا ان الاذن أعطي حالما قدمت الجوازات ، فيكون نصف التأخير عائداً الى سوء امانة الرسول .

واخيراً استأنفنا السير الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة ، فمررنا بنصب روماني آخر ، وهو عمود كبير ملقى بجانب الطريق نقش عليه باللاتينية اسمي سبتيميوس سيفيروس

وبيرتينكس Pertinax Septimus Severus . وقد نقل الكتابة كثيرون ، منهم Monconys مونكونيز و موندرل . سرنا في طريق بجانب جادة من اشجار السنط الكبيرة (اكاسيا) واشجار الطرفاء الباسقة ، التي تكثر في هذه الناحية ، بين الجنائن والمنازل الريفية ، فوصلنا الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين الى جنوبي المدينة . واذ كنا عازمين على حط رحالنا خارج المدينة ، سرنا بجانب السور الشرقي ، ومررنا باحد الابواب ، مفتشين عن مكان مناسب نضرب خيمتنا عليه . رأينا المكان من بعيد فاذا هو مُعَر تظلله اشجار كثيرة . وما ان قربنا منه حتى اتضح لنا ان مقبرة تشغل فسحة واسعة منه ، وجنوداً يسرحون ويمرحون فيه ، فهو اذاً عمومي . فقررنا الدخول الى المدينة والمبيت فيها .

صيدا

تحولنا الى الباب القريب من الزاوية الشمالية الشرقية فاصطدمنا بالحرس الصحي الذي ابى علينا الدخول ما لم يدع مدير المحجر . فتركنا المستر سمث يتدبر الامر ، وانصرفنا الى التفتيش عن مكان نبيت فيه . فوجدناه اخيراً قرب الشاطىء على بعد خمسين او ستين « رداً » اي ٢٧٥٠ – ٣٣٠٠ يرد الى الشمال الشرقي من المدينة . جاء مدير المحجر نفسه فاذا هو صديق للمستر سمث ، وهو رجل مسيحي على شيء من الثقافة ، أستخدم زمناً في مدارس بيروت . سرّ كثيراً بلقاء صديقه ، واصدر الاوامر حالاً الى الحرس ليتركوا لنا حرية المرور ساعة نشاء .

اسفنا كثيراً للتأخر الذي أجبرنا عليه ، لان النهـــار آذن بالزوال واصبح متعذراً علينا رؤية الكثير من المكان القديم . ولذا فما سوف ادونه هـو تأثير نظرة عجلى . زرنا صديقنـا في مكتبه ، فالفيناه جد منهمك بتحضير جوازات صحية لعـدة سفن صغيرة كانت على اهبة السفر الى بيروت ومصر . فارفقنا بحميّه يرشدنا الى المرفأ والابنية الرئيسية في المدينة . زرنا وكيل القنصل الاميركي ، ابراهيم نخله ، وهو رجل كاثوليكي مثرٍ ، يملك بيتـــاً كبيراً رحباً على مقربة من سور المدينة الشرقي ، غرفه فسيحة ، وعلى رياشه مظهر الثراء بما لم اشاهد مثله في البلاد . على سطح البيت قاعة كثيرة النوافذ ، تشبه قصراً صيفياً ، وتشرف من شرقيها على منظر ريفي أخاذ من الاشجار ، والجنائن ، والبيوت الريفية المنتشرة على سفوح الجبـال . وابراهيم رجل في المتوسط من عمره ، وقور المظهر ، رضي الاخلاق . دعـــانا للنزول في بيته فاعتذرنا اذ سبق واعددنا نزولنا في الخيمة . وكان البعض من جيرانه في زيارته وجاءه آخرون . فكان مجلسنا جد عامر .

في احدى الغرف المفتوحة للعائدين ، احدى بناته في الخامسة او السادسة من سنيها ، طريحة الفراش بحالة خطرة ، تذوب تحت وطأة حمى بطيئة ، سمحوا لها بأكل ما تشتهي ، واغروها بكل طعام شهي لاهاجة قابليتها . وكان ابوها في حالة رعب شديد ، وجد متأثر ، اذ لم يجد طبيباً يثق به في المدينة ، فتوسل الينا كثيراً كي نفحصها ونعالجها . لم اتمنَّ مرة ان اكون ملماً بالقليل من المعارف الطبية مثلي الآن ، لان الطفلة البائسة تقترب بسرعة من القبر لفقدان المعالجة الحقة .

تركنا البيت في ساعة متأخرة وقد اقفلت ابواب المدينة ، فلا تفتح الا بأمر من القائد العسكري . ولحسن حظنا كان قريباً منا ، وفي خمس دقائق كنا خارج السور .

تقع صيدا او صيدون القديمة على المنحدر الشمالي الغربي من رأس ارض صغير ، يمتد منحرفاً في البحر الى مسافة قصيرة باتجاه الجنوب الغربي . اما الارض في الجنوب فاكثر ارتفاعاً من سواها ، وعليها تقع القلعة ، وهي عبارة عن برج كبير مربع ، قيل ان لويس التاسع شيدها في العام ١٢٥٣ م [١١٨] . ويحيط بالمدينة سور من جهة البر ، يمتد عبر الرأس من البحر الى البحر ، ويُرمم دائماً بقدر المستطاع . والمرفأ القديم سلسلة طويلة من الصخور المنخفضة ممتدة بموازاة الشاطىء امام المدينة . كان الميناء يتسع لخمسين سفينة من السفن التي تسير بواسطة المجاذيف ، وذلك قبل عهد فخر الدين ، ولكن هذا الزعيم ردم قسماً منه بالحجارة والاتربة ، ليتقي شر الاتراك . ومنذ ذاك الحين اصبح لا يتسع لغير دخول الزوارق [١١٩] . اما السفن الكبرى فترسو خارج المدخل ، الى شمالي سلسلة الصخور ، حيث تكون في مأمن من الرياح الجنوبية الغربية ، ولكنها معرضة للرياح الشمالية . وعلى صخرة في البحر قلعة من ايام الحروب الصليبية بنيت على شكل مطابق لشكل الصخرة ، وتتصل بالشاطىء ، في طرف المدينة الشمالي ، بممر من الحجر ذي تسع قناطر ، يقع بين المرفأ الداخلي والمرفأ الخارجي [١٢٠] .

شوارع صيدا ضيقة ، معوجة ، وقذرة كأكثر شوارع المدن الشرقية . واكثر البيوت كبيرة ومبنية بالحجر بناء متيناً . وتشبه المدينة ، من هذا القبيل ، صور الحديثة . وتتميز البيوت التي بجانب السور

الشرقي ، باتساعها وارتفاعها ، وهي ملاصقة للسور فتخالها جزءاً منه ، وتتمتع بالهواء النقي ومناظر الحقول والريف البهجة . وفي المدينة ستة خـــانات ، ويسمي العرب الخان وكالة وهي معدة لنزول التجار والمسافرين[121] . واكبر هذه الوكالات هي الوكالة التي كانت سابقاً ملك المعمل والقنصلية الافرنسيين ، وتعرف الى الآن بالخان الفرنسي . وهي بناية ضخمة ، مربعة الاضلاع والزوايا ، طول الجانب منها نحو مئة وخمسين قدماً ، وفي وسطها نبع ماء وحوض ، تحيط بها اروقة مسقوفة . وقد بناهـــا فخر الدين في مستهل القرن السابع عشر ، ووصفها دافريو وصفاً دقيقاً ، وسكن فيها مدة بعد منتصف القرن نفسه يتعاطى التجارة .

يعدّ دافعو الضرائب (المكلفون) الذكور المسجلون في صيدا الف وسبعماية نفس كما يقال ، فيكون عدد السكان حسب النسبة العادية نحو سبعة آلاف نفس . ولكن ابرهيم الذي يتيح له مركزه الاطلاع على المعلومات الوافيـــة لا يقدر عدد السكان بأكثر من خمسة آلاف نفس . والمسلمون يعدون نحو ثلثي المجموع ، وثمنه يهود ، والباقون روم كاثوليك وموارنة بنسبة واحدة تقريباً . اما العرب الارثوذكس فقليلون .

اما تجارة صيدا فقد كانت مزدهرة منـذ خمس وعشرين سنة ، ولكنها تقهقرت في المدة الاخـــيرة نظراً لازدهار بيروت التي اصبحت الميناء الوحيد لدمشق . صادرات صيدا الرئيسية : الحرير ، والقطن ، والعفص [122] . ويكثر في هذه الناحية انتاج الحرير . عرفنا ذلك من بساتين التوت المحيطة بالقرى . هدم زلزال ١٨٣٧ وعطب بيوتاً كثيرة في صيدا ، وقتل بضعة اشخاص[123] .

ينحصر جمال صيدا في حدائقها وبساتين الاشجار المثمرة التي تملأ السهل وتمتد الى سفح الهضاب المجاورة . والمياه الغزيرة ، التي تروي صيدا والبقعة التي حولها ، تصلها بقنوات ومجارٍ من نهر الاولي وجداول اخرى صغيرة فور خروجها من الجبال [١٢٤] . وضواحي صيدا دائمة الاخضرار ، واثمارها من الذ الاثمار في البلاد . وقد أحصى منها هسيلكويست : الرمان ، والمشمش ، والتين ، واللوز ، والبرتقال ، والليمون الحامض ، والخوخ ، وهي تُزرع بكثرة وتُصدر منها كميات كبيرة سنوياً . ويضيف اليها دافريو : الاجاص ، والدراق ، والكرز ، والموز ، وهي لا تختلف عنها في الوقت الحاضر [١٢٥] . وفي سفح الآكام عديد من القبور المقدودة [١٢٦] .

كانت صيدا في هذا الوقت النقطة التي اعتاد السياح الانطلاق منها الى مقر اللايدي استير استانهوب Hester Stanhope ، وهو على مسافة ثلاث ساعات في الجبال . وكنا مكلفين حمل رسائل اليها ، ولكن اضطرارنا لتوفير الوقت على امل ان نتمكن من زيارة بعلبك ، لم يشعرنا بميل لاغتنام فرصة التعرف اليها . كانت غريبة الاطوار . وسواء فعلت ذلك بوحي نفس شريفة او متمردة ، فقد اسدل الموت الستار على المشهد ، وارخى سدوله على فضائلها وحماقاتها .

ان صيدا اقدم المدن الفينيقية ، ورد ذكرها في اسفار موسى الخمسة وفي اشعار هوميروس ، ولم يرد ذكر لصور [١٢٧] . ولما قسم يشوع ارض الميعاد ، ذكر ان صيدا مدينة عظيمة واقطعها سبط اشير ، ولكن الاسرائليين لم يتمكنوا مطلقاً من اخضاعها [١٢٨] . وفي العصور الاخيرة فاقت صورُ الصغرى صيدا

في السير نحو الازدهار والقوة . ولكن كلتاهما تساوتا بالشهرة في التجارة ، والنسج ، واتقان الفنون الجميلة ، وكذلك بالترف والرذيلة التي غالباً ما ترافق الازدهار التجاري [١٢٩] . لما دخل شلمناصر الاشوري فينيقيا نحو ٧٢٠ ق.م. خضعت لسلطانه صيدا وسائر فينيقيا ، خلا صور شبه الجزيرية (البحرية) . وطال خضوعها لسلطان اشور وفارس [١٣٠] . ونحو العام ٣٥٠ ق.م. تمردت فينيقيا على النير الفارسي ، فسبى ملكها ارتكزركس اوكس Artaxerxes Ochus صيدا ودمرها [١٣١] . ولكن أعيد بناؤها حالاً . وفي العام ٣٣٢ ق. م. فتحت ابوابها لاستقبال الاسكندر الكبير [١٣٢] .

ملاحظات تاريخية

بعد وفاة الاسكندر ، تناوب الاستيلاء عليها الملوك السوريون والمصريون . واخيراً دخلت تحت السلطة الرومانية . وكانت وقتئذ مدينة غنية [١٣٣] . جرى ذلك في عصر العهد الجديد ، لما زار السيد المسيح اقليمي صور وصيدا . ولما مرّ بولس من هنا بطريقه الى رومية وجد فيها اصدقاء مسيحيين [١٣٤] . اما وجود كنيسة مسيحية واسقف في صيدا في عهد مبكر فمما لا ريب فيه ، ولكن اول اسقف حُفظ اسمه هو تيودورس Theodorus ، الذي حضر مجمع « نيقيا » Necca في العام ٣٢٥م [١٣٥] . ويؤكد يوسيبيوس Eusebius وجيروم Jerome في العصر نفسه ان صيدا مدينة مهمة [١٣٦] . ولكنا نعرف القليل عنها في الحقبة

التي سبقت الحروب الصليبية [١٣٧] .

في العام ١٠٩٩ م خرج الصليبيون الأول من انطاكية وجهتهم القدس ، فساروا على طول الساحل الفينيقي ، ولم يتعرضوا للمدن المحصنة كبيروت ، وصور ، وصيدا ، وعكا ، وغيرها ، طالما انها لم تضع العراقيل في سبيلهم ، لان هدفهم الاول والاعظم كان المدينة المقدسة . إلا ان قائد موقع صيدا المسلم ، الخاضع وقتئذ للخليفة في مصر ، اعترض تقدمهم . فتراجع جنوده الى المدينة امام ضغط الحجاج ، فظل هؤلاء عدة ايام في الضواحي الغنية ، وعادت وحداتهم الخفيفة باسلاب كثيرة من الجوار [١٣٨] . لم يتمكن الصليبيون من الشروع جدياً في اخضاع صيدا ، إلا في السنة ١١٠٧ م ، وحتى ذاك الحين نجح الاهلون بشراء مهلة من الملك بولدوين Baldwin الاول ، ودفعوا ثمنها ذهباً ، ولكنهم لم يراعوا حرمتها . وفي السنة التالية ١١٠٨ م ضرب بولدوين الحصار على صيدا جدياً ، ثم أرغم على التخلي عنه بعد ما بذل جهوداً عظيمة لانجاحه . وفي ١١١١ م جدد الحصار ثانية ، فكان اوفر حظاً هذه المرة ، واستسلمت له المدينة في العاشر من كانون الاول بعد حصار دام ستة اسابيع ، فاقطعها الفارس اوستاش غرينيه Eustache Grenier [١٣٩] .

ظلت صيدا في حوزة المسيحيين الى العام ١١٨٧ م عندما سقطت بيد صلاح الدين ، بدون مقاومة ، بعد معركة حطين [١٤٠] فوراً . ويظهر ان السلطان جرد المدينة من وسائل الدفاع ودمر قسماً منها ، اذ بعد المعركة الحامية العامة مع الملك العادل بالقرب منها في السنة ١١٩٧ م ، دخلها المسيحيون فالفوها مخربة .

فربط الحجاج خيولهم في بيوت مزدانة بارز لبنان ، وطهوا طعامهم على نيران تفوح منها روائح الخشب الثمين العطر المجموع من بين الانقاض [١٤١] . ثم واصل الصليبيون زحفهم الى بيروت فاستولوا عليها ، بينا ظهر الملك العادل في مؤخرتهم فاجهز على صيدا [١٤٢] .

استرجع المسيحيون المدينة واعادوا بناءها ، ولكن بعد نصف قرن . وفي العام ١٢٤٩ م احتلتها القوات العربية ثانية ودمرتها . وكان لويس التاسع الفرنساوي وقتئذ يحاصر دمياط [١٤٣] . وبعد اربع سنوات ، اي في السنة ١٢٥٣ م ، لما بدأ احد ضباط الملك الفرنسي بترميم المدينة على رأس قوة صغيرة من الجيش ، وصل الجنود المسلمون واستولوا عليها . فانسحبت الحامية مع بعض السكان الى القلعة التي على الصخر ، فكانت لهم ملجأ امينا لانها محاطة بالبحر . وكان الذبح مصير الفين من الباقين ، والاسر نصيب اربعماية ارسلوا مصفدين الى دمشق . ودمرت المدينة وتركت قفراء [١٤٤] . وفي تموز من السنة نفسها ، ولما يمر سوى بضعة اسابيع ، توجه الملك لويس نفسه الى صيدا ، واوجب اعادة بنائها باسوار عالية وابراج ضخمة [١٤٥] . وفي العام ١٢٦٠ م اشترى الهيكليون صيدا من جوليان Juiian حاكمها المدني ، فنهبها المغول في السنة عينها ، وفي ما سوى ذلك فقد احتفظوا بها مدة ثلاثين سنة [١٤٦] . وفي العام ١٢٩١ م ، بعد ان منيت عكا بالهزيمة الفظيعة المروعة على يد السلطان الاشرف ، واخليت صور ، ترك الهيكليون صيدا ترقب مصيرها ، وانسحبوا اولاً الى طرطوس ، Tortosa ، ومنها الى قبرص . فاحتل المسلمون صيدا ، وجردوها من وسائل الدفاع [١٤٧] .

وقبل هذا الحادث بثماني سنوات او عشر ، يصف بروكاردوس صيدا انها بلدة كبيرة ، مع ان قسماً كبيراً منها كان مهدماً . وكان فيها حصن في البحر في الجهة الشمالية بناه في الاصل صليبيون المان ، وفي الجنوب على الاكمة حصن آخر ، كان الهيكليون يحتلونه وقتئذ [148] . وبعد ان تخلى الفرنجة عن صيدا ، لم يهجرها سكانها كما فعل سكان صور . ويقول ابو الفدا ، بعد ذلك بمدة قصيرة ، انها بلدة صغيرة وفيها قلعة . وفي منتصف القرن الخامس عشر ، يقول الظاهري ان لها بعض الاهمية ، وانها احد مرافيء دمشق وتأتيها السفن [149] . وفي اوائل القرن السابع عشر يقول السياح الافرنج ان اكثرها خراب ، وسكانها قليلون ، وفيها خان واحد [150] .

اكتسبت صيدا نحو هذا الوقت محركاً جديداً من نبوغ فخر الدين الشهير ونشاطه. استولى هذا الامير الدرزي على سائر المدن الساحلية ، فاطلق العنان لنزوعه الانشائي ، ليس في بيروت وصور فحسب ، بل في صيدا ايضاً . فقد شيد فيها سرايا او قصراً فسيحاً لسكنه ، والخان الكبير الذي احتله الفرنسيون فيما بعد ، عدا ابنية اخرى [151] . ومن محاسن ادارته تشجيع التجارة . ومع انه ردم ميناء صيدا ، إلا ان التدابير التي اتخذها والحماية التي شمل بها التجارة ، انعشت تجارة المدينة بعض الشيء ، ودب النشاط على طول الساحل .

اعلن فخر الدين انه متحدر من اسلاف فرنسيين ، فعامل المسيحيين الذين تحت سلطته بعدل ومساواة ، ولاسيما الفرنج ، مانحاً امتيازات واعفاآت للاديرة اللاتينية ، ومشجعاً التجارة

الفرنسية التي امتدت الى هذه الشواطىء[152] . وقد ظل قنصل هذه الدولة وتجارها على اتم وفاق مع الامراء والباشوات الذين خلفوه . ولكن خلافاً موقتاً ادى الى نقل القنصلية الى عكا ، حيث بقيت سنتين او ثلاثاً اعيدت بعدها الى صيدا في ربيع ١٦٥٨م[153] .

ونحو هذا الوقت ، قامت مؤسسة تجارية جديدة في مرسيليا للتجارة مع صيدا ، وعيّن احد الشركاء فيها قنصلاً في المدينة . وكان دافريو الذي يمت بصلة القربى الى القنصل الجديد ساكناً في ازمير منذ خمس سنين ، فتركها ورجع الى صيدا حيث ظل الى ١٦٥٥م . واليه يرجع الفضل في بيانه الدقيق عن حالة المدينة وقتئذ وعن شأن التجارة الفرنسية فيها[154] .

في تلك الحقبة كان الفرنسيون الشعب الوحيد الذي ساهم بتجارة صيدا وجوارها[155] . وقد اتسعت تجارتهم وثبتت على قواعد متينة ، فكان دخل سلطان الاتراك منها مئتي الف ريال سنوياً ، وكانت ايضاً ذات فائدة كبيرة للسكان ، على زعم دافريو ، اذ لو نزح الافرنج الى مكان آخر لاقفرت المدينة من سكانها[156] . كانت صيدا المركز التجاري الرئيسي وتتجر مع الدروز مباشرة ، وكان للتجار المقيمين فيها عملاء في الرملة ، وعكا ، وبيروت ، وطرابلس ، واحياناً في صور . وكان هؤلاء الوكلاء يشترون ما تنتجه البلاد ويرسلونه الى صيدا ، فيشحن منها بحراً الى مرسيليا[157] . كانت الطريق بين صيدا ودمشق مباشرة ومؤمنة ، تستغرق يومين ونصفاً في اراضي لبنان ولبنان الشرقي (انتي لبنان) ، تقطع البقاع عرضاً ، مارة بمشغرة وجب جنين[158] .

وكانت صيدا وقتئذ تعد ميناء دمشق . ولكن اكثر تجارة هذه كانت مع حلب ، ولم تتحول الى الغرب الا بعد حين .

اما الاصناف التي كان التجار الفرنسيون يشترونها ويصدرونها من صيدا فهي : القطن الخام والمغزول ، والحرير ، والرز ، والعفص ، والارمدة من الصحراء ، والدبق ، وسنامكة ، وبضعة عقاقير اخرى . وكانت اثمانها حتى الآن تدفع نقداً . ولكن التجار الفرنسيين بدأوا يبادلون على هذه الاصناف بالقماش ، والبهارات ، والصباغات وبعض الحلى [159] .

تمتع القنصل الفرنسي بصيدا باعتبار عظيم في انحاء البلاد . وكانت سلطته والامتياز المعطى له يشمل القدس ، وكان من واجبه زيارة المدينة المقدسة كل سنة في عيد الفصح لحماية الاماكن المقدسة والرهبان اللاتين [160] .

ظلت التجارة الفرنسية في صيدا تتسع تدريجياً مع بعض التغيير احياناً ، الى اواخر القرن الماضي [161]. وفي ايام بوكوك كان جميع التجار يسكنون الخان الكبير ويصدرون الحرير الخام ، والقطن والحبوب [162] . ويضيف هسيكلويست العام ١٧٥١م، الى ما ذكر سابقاً ، ان اكثر من عشرين مركباً كانت تنقل القطن المغزول ، والحرير الخام الى فرنسا سنوياً ، وتحمل الى ايطاليا الاقمشة الحريرية والنصف حريرية من دمشق ، وكذلك العفص ، والزيت ، والارمدة الى فرنسا . اما الواردات فكانت اقمشة ، وبهارات ، وحديد اسباني ، ومواد للصباغة ، واكثر هذه الواردات كانت ترسل الى دمشق التي كانت تزود تجارة بيروت وصيدا باصناف كثيرة [163] .

وفي زمن فولني ظل الفرنسيون وحدهم ، من بين الجاليات الاوروبية ، يتعاطون التجارة في صيدا ، وكان لهم فيها قنصل وست مؤسسات تجارية . وظل القطن الخام والمغزول ، والحرير ، الاصناف الاولية . وهذا السائح نفسه يعطينا تقديراً عامـــاً عن التجارة الفرنسية في سوريا في ذلك الحين [١٦٤] . ولكن في العام ١٧٩١ م طرد الجزار باشا كل الفرنسيين من المقاطعات الواقعـة تحت سلطته بما فيها صيدا [١٦٥] ، فأصبحت تجارتها المحدودة بيـد الوطنيين . اما في الوقت الحاضر ، فقد تحوّل اتجاه التجارة الاوروبية الى بيروت ، ولا تأتي السفن الاجنبية الى صيدا إلا لماماً .

بين صيدا وبيروت

الثلاثاء ٢٦ حزيران . ـ اشرقت شمس هذا النهار وهو المرحلة الاخيرة من سياحتنا في سوريا . وتقدر المسافة بين صيدا وبيروت بتسع ساعات على الطريق الساحلية الشاقـة فوق الرمل المتكاثف وعبر الاطناف الصخرية . غادرنا صيدا الساعة العاشرة والدقيقـة الخامسة . وبعد بضع دقائق من السير عـلى الشاطىء الرملي مررنا على مستشفى البرص الخاص بصيدا ، الواقع في بقعة ظليلة [١٦٦] ، جميلة ، عن يميننا . كان في المستشفى مرافق الدوق مكسيمليان Maximilian البافـاري ، وهو خلاسي تركه سيده في المستشفى لانه مصاب بالداء . وهو الآن على قاب قوسين من القبر ، وقد بلغنا خبر وفاته في بيروت [١٦٧] .

وصلنا الى نهر الاولي الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين

وسرنا على ضفته الجنوبية لنتمكن من عبوره على جسر قديم ، حجارته منحوتة ، وله قنطرة واحدة ، وعلى ضفته الشمالية مطاحن وخان ، وهو من اعمال فخر الدين [١٦٨] . والنهر ينبع ، في جبل لبنان الى الشمال الشرقي من دير القمر وبتدين [١٦٩] ، من ينابيع تبعد ساعة ونصف الساعة عن قرية الباروك . وهو في مجراه الاعلى قوي هائج يجري جنوباً ثم يتجه غرباً . وفي خروجه من الجبال تؤخذ مياهه لتزويد مدينة صيدا وري السهل المحيط بها . ولكنه هنا جدول لطيف وعريض ، يجري بسرعة في قناة عميقة وسط بقعة خضراء . ويقول موندرل انه اول من اكتشف هذا النهر . ولم يذكره احد من علماء الجغرافيا قبله . اما الآن فقد اصبح معروفاً من الجميع . ويظهر لي ان الجميع على خطأ في حقيقته ، اذ لا يمكن ان يكون إلا نهر بوسترانوس Bostrenus القديم الذي ينعته ديونيسيوس بيريقتيس Dionysius Perieqetes بالنهر « اللطيف » القائمة صيدا على مياهه [١٧٠] .

وتملأ اقليم الاولي بساتين التين والتوت تتخللها اشجار الازدرخت وغيرها من اشجار الزينة . هنا بدأنا نرى قمم لبنان العالية ، واصبحت الهضاب اكثر ارتفاعاً وسحراً . ووراء هذه البقعة ، تقترب سلسلة الجبال ، الواقعة الى الغرب من مجرى الاولي الاعلى ، من البحر وتمتد جذورها الى الشاطىء . هنا ينتهي سهل صيدا الجميل ، وبانتهائه ينتهي السهل الفينيقي . وعلى مسافة عدة ساعات شمالاً يمتد ساحل صخري في سفوح الجبال لا يصلح للحراثة ، تتخلله اخوار رملية متتابعة . وقد اعتبر الاقدمون ان جنوبي لبنان يبتدىء من هذه النقطة [١٧١] . ونهر الاولي هو الحد الجنوبي لمقاطعات

الامير بشير اللبناني ، الممتدة من بلاد الشقيف الى ما وراء الارز شمالاً ، وتشمل الجبل كله من شاطىء البحر الى البقاع ، وكذلك جزء من البقاع خلا بيروت وضواحيها القريبة .

عبرنا اول رأس ارض بعد الاولى الساعة السادسة والدقيقة العاشرة ، والقينا نظرة الى الوراء ، فاذا منظر صيدا ساحر أخاذ تحيط بها الحدائق الغنّاء والبساتين الضاحكة . الطريق امامنا الآن وعرة وغير مستوية . سرنا ساعتين تقريباً عبر بقعة صخرية تخللها خور رملي واحد . وصلنا الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين الى طريق رومانية قديمة ، مهدت بين الصخور والحجارة . وغب اجتيازها ، وصلنا الى خور آخر ، شاطئه طويل ورمله ناشف ومتكاثف ، وينقوس داخل البر . وبعد ان تجاوزنا نصفه بمسافة قصيرة وصلنا ، الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة ، الى خان النبي يونس الواقع قرب الشاطىء ، وبالقرب منه ضريح النبي يونس بقبته البيضاء . وتذكر اسطورة اسلامية انه المكان الذي قذف الحوت يونان النبي اليه . هنا ايضاً قرية الجيّة الصغيرة ١٧٢ . ووراء هذه البقعة تنحسر الجبال قليلاً مفسحة في المكان لسهل صغير مغطى باشجار التوت . وهذه الاشجار تقلم تقليماً متلازاً فتنتج اكبر كمية من الاوراق لاطعام دود الحرير، فتصبح كأنها اقزام عارية من الجمال إلا جمال اخضرارها .

توقفنا في الخان لتناول طعام الصباح . اما خانات هذه الناحية فتختلف من تلك التي رأيناها سابقاً على الطريق المصرية والسورية . فتلك كبيرة جداً شيدت خصوصاً لاستقبال القوافل التي تنقل معها ما تحتاجه من زاد وعلف . ولكن الخانات الواقعة الى هذه الجهة من صور — عدا الخان القريب من نهر القاسمية — والتي

يعدها على طول الساحل صغيرة ، ولا يجد المسافر فيها غرفـة يأوي اليها ، او ظلة يلجأ اليهـا ، يسكنها حارس عمله بيع القهوة ، والزاد ، وكل ما يحتاجه المسافرون . ويقدم لهم النـار ووسائل الطهي . ويسمي العرب الخان دكانـاً ، ويقوم الى حد ما مقام الفنادق . ويتصل بالضريح بناء مؤلف من غرفتين او ثلاث يستأجرها المسافرون للمبيت .

في هذا المكان او في جواره القريب يجب ان تقع بدون ريب المدينة القديمة بورفيريون Porphireon ، كما يقول بوكوك . وقد ذكر سيلاكس Scylax انها بين صيدا وبيريتس Berytus (بيروت) ، وهي مسجلة في دليـل المسافرين في القدس على بعد ثمانية اميال رومانية من صيدا شمالاً ١٧٣ . وصلنا الى الخان بعد مسير ثلاث ساعات . ويقول بوكوك انـه شاهد هنا عدداً من الاعمدة المكسرة ورأس عمود كورنثي وخرائب على جانبي مجرى الماء ١٧٤ . والى الجنوب الشرقي من القرية في منحدر الجبل يوجد قبور كبيرة محفورة زارها رفيقي سابقاً ، والظاهر انها كانت تخص مدينة قديمة . ويقول بوليبيوس Polybius ان بورفيريون تقع الى جنوبي نهر تاميراس Tamyras ولا تبعد كثيراً عنه . وبلغ من اهميتها انها اصبحت اسقفية تابعة رئاسة اساقفة صور ١٧٥ .

استأنفنا السير الساعة الثامنة والدقيقين الخمسين . وبعـد نصف ساعة شاهدنا نصباً رومانياً آخر هو الثالث من نوعه . اعترض طريقنا راس ارض آخر ، وكانت الطريق فيه مضيقاً صخريـاً شاقاً محفوراً في الصخر . وكان المرور في ذلك المكان قبـلاً لا

يخلو من الاخطار ، فشيد عليه مخفر او برج لحماية المسافرين [١٧٦] .

بعد ان عبرنا الراس ووصلنا الى شاطىء الحور الذي يليه ، اذا بنا امام نهر الدامور ، وكانت الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة . وهو الآن هادىء ، ولكنه يتضخم في الشتاء بما يصب فيه من الجبال ، فتعلو مياهه فجأة ويستحيل عبوره . وقد سمعنا القصص الكثيرة عن مسافرين جرفهم التيار بينما كانوا يعبرونه [١٧٧] . رأينا بالقرب منا بقايا جسر مهدم اعيد بناؤه مراراً ، ولم يقوَ على مقاومة التيار الجارف في الشتاء . ينبع نهر الدامور في الجبال على مسافة بعيدة الى الشمال الشرقي من دير القمر ويمر شماليها، وعليه جسر يسمى جسر القاضي واقع على الطريق الى بيروت [١٧٨] . ونهر الدامور هذا هو ولا ريب النهر الذي اطلق عليه الاقدمون اسم تاميراس Tamyras او داموراس Damouras ويقع بين صيدا وبيروت (بيريتس Berytus) [١٧٩] . والحادث الآتي ذكره يبين لنا صعوبة عبور راس الارض من الجهة الجنوبية ، حيث جرت المعركة بين انطيوخس Antiochus الكبير وجيوش بطليموس Ptolemy في العام ٢١٨ ق.م. ويستدل منه ايضاً على موقع المدينة القديمة بلاتانوم Platanum . قسم نيقولاوس Nicolaus ، الجنرال المصري ، قواته الى فرقتين ، فوضع فرقة في بورفيريون Porphyreon ، واحتل مع الفرقة الاخرى الممر الصخري الضيق عند « بلاتانوم » حيث يصل جبل لبنان الى البحر . تقدم انطيوخس مع جيشه من بيريتس (بيروت) وعسكر على نهر داموراس (الدامور) . وبعد استكشاف مواقع العدو ، ارسل مفرزة من جنوده تتسلق الجبل وتهاجم المصريين من علٍ ، وقام

هو مع فرقته بهجوم من الامام ، ومن البحر ، وطرد المصريين من مكانهم الحصين . فقتل منهم الفان وأسر اكثر من ذلك ، والتجأ الباقون الى صيدا [١٨٠] . وقد تكون « بلاتانوم » هذه ، القرية المسماة بلاتانا Platana التي يقول يوسيفوس انها لا تبعد كثيراً عن بيروت ، وفيها ترك الطاغية هيرودوس ابنيه في اثناء محاكمتهما تلك المحاكمة الصورية الكاذبة [١٨١] . وربما كانت قلعة صغيرة بنيت لحراسة المضيق .

وعلى جانبي نهر الدامور والى الشمال ، بين الجبال والشاطىء ، بقعة ضيقة جميلة تغطيها بساتين التوت ، واشجار الدفل تزين ضفتي النهر . وقد رأينا قرى كثيرة وبعض الاديرة الصغيرة كأنها معلقة في منحدرات لبنان . وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين وصلنا الى خان المصري الواقع على الرمل قرب الشاطىء ، وبالقرب منه خيمة عادية ، تنتهي عندها حدود الباشا كما يقولون . وعلى الجبل المقابل رأينا ثلاث قرى وديرين ، احداهما كبيرة تدعى المعلقة . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا الى خان الغفر ، وقد سمي بهذا الاسم لانهم كانوا قبلاً يتقاضون رسم مرور . وقبل ان نصل اليه رأينا على منحدر الجبل قرية الناعمة كأنها في عزلة مع الدير [١٨٢] .

وصلنا خان خلدة الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة ، وهو لا يختلف من غيره ، ويبعد ثلاث ساعات ونيفاً عن ابواب بيروت كما يقولون ، والمسافرون من بيروت الى صيدا يبيتون فيه تقصيراً للسفر في اليوم التالي .

وقبل ان نصل الى الخان بنحو عشر دقائق رأينا عدة نواويس

بين الصخور الى يمين الطريق في لحف الجبل ، ويوجد كثير منها بعد الخان ايضاً على جانبي الطريق . واحجام هذه النواويس عادية ، وهي مقطوعة من الصخور الكلسية، واغطية البعض منها مطروحة بقربها . والظاهر انها مصنوعة في ذلك الموضع ولم تنقل منه . أكانت هذه النواويس اضرحة قبلاً ؟ أوجدت مدينة قديمة في هذا المكان ؟ [١٨٣] لم نر آثاراً غيرها في ذلك الجوار . ولكن خلده تذكرنا بهلدوى Heldua المذكورة في دليـــل المسافرين في القدس ، وهي اول محطة الى الجنوب من بيروت [١٨٤].

وبعد خان خــلدة بقليل ، يتجه الشاطىء الى الشمال الغربي فيكوّن رأس بيروت الكبير . وبعد ان توقفنا خمس دقائق ، تابعنا السير . وفي الساعة الثانية عشرة والنصف ابتدأت الطريق تبتعد عن الشاطىء . الساعة الواحدة عبرنا وادي الشويفات الجاف، ثم انحدرنا عن شمالي القرية الكبيرة المسماة بالاسم نفسه والواقعة في سفح الجبل . وهذا الوادي غالباً ما يسمى نهر غدير ، ويخرج من وادي شحرور في الجبال . وفي اوائل فصل الامطار يجري فيه جدول ماء صغير . ومن هذه النقطة يمتد الجبل الى اليمين . رأس بيروت مثلث الشكل ، وتقع المدينة نفسها الى الشمال الشرقي على مسافة ساعة من اقصى حــدود اللسان الداخل في البحر . وشاطىء المثلث الجنوبي الغربي اكثره رملي ، وهي رمال قذفتها الامواج والرياح فكوّنت منها كثباناً لا تبرح تعتدي باستمرار على الارض الزراعية وراءها . والرمال الآن تغطي اكثر القسم الغربي من الرأس ، بينما في الشرق بينها وبين سفوح الجبال ، عبر الرأس من الجنوب الى الشمال ، يمتد سهل فسيح منخفض او واد

يصلح كله للزراعة ، وفيه اكبر دغل زيتون في سوريا . وهذا الدغل يقع مباشرة تحت قرية الشويفات المذكورة سابقاً ويسمى باسمها . اما السهل ، الابعد منه شمالاً والواقع غربي نهر بيروت ، فيعرف بارض البراجنة ، باسم قرية برج البراجنة . واقسام الرأس الاخرى القابلة للحراثة ، ولاسيما البقعة الواقعة حول بيروت ، مغطاة باشجار التوت ، لان انتاج الحرير هنا هو العمل الرئيسي لجميع السكان . والسهل ومنحدر الجبل المجاور يزدحمان بالقرى .

وبعد ان تركنا الشاطىء ، اتجهت الطريق الى الشمال الغربي ، فسرنا فوق كثبان الرمل وبجانبها في خط مستقيم الى بيروت . فاصبحت غابة الزيتون والسهل الكبير على مسافة منا الى اليمين . وحوالى الساعة الثالثة ، وصلنا الى حرش الصنوبر الكبير الذي زرعه فخر الدين ، ويسمى حرش بيروت ، وكنا بعد على مسافة نصف ساعة من المدينة [١٨٥] . على الحد الشمالي من هذا الحرش وجدنا نطاقاً صحياً (كوردون) من الجنود الموكول اليهم امر المحافظة ، لان المدينة كانت مقفلة اسمياً بسبب الطاعون ، مع انه لم تقع اصابات بهذا المرض منذ اسبوعين او ثلاثة . وبما اننا لم نشأ ان نحرم من حرية التجوّل والسياحة ، بدخولنا الى مكان لا نتمكن من الخروج منه ، فقد ضربنا خيمتنا وسط الغابة ، وانبأنا اصدقاءنا بوصولنا . فلم يلبثوا ان زارونا ، ففهمنا منهم ان النطاق الصحي ليس إلا تمويهاً وسيرفع قريباً . ولكننا فضلنا البقاء حيث نحن بانتظار معلومات اوفى . نقدنا البغّال الذي رافقنا من القدس اجرته وصرفناه وكنا على الغالب راضين عنه وعن بغاله ،

ولكنا لم نثق باخلاصه وامانته تلك الثقة التي شعرنا بها نحو ادلائنا السابقين من البدو .

بيروت

وفي صباح اليوم التالي ، السابع والعشرين من حزيران ، تأكدنا من رفع النطاق الصحي او اهماله ، وان لا مانع يحول دون خروجنا اذا ما اردنا التجوال . فدخلنا المدينة او بالحري البساتين في الناحية الجنوبية ، ونزلنا ضيوفاً على اصدقائنا . فحل رفيقي في بيت المستر تومسون وكان قبلاً بيته . اما انا فوجدت اهلاً في عائلة المستر هبرد [١٨٦] . وهنا انتهت رحلاتنا البرية ، وسررنا كثيراً بالرجوع الى الهدوء ، والصفاء ، والراحة التي ترافق المعيشة الحضرية ، والتمتع بالاحاديث الاجتماعية والمسيحية ، حيث نشعر ونلمس تأثير يد المرأة وعقلها في شتى الميادين ، وهو ما افتقرنا اليه في محادثاتنا واحتكاكنا بالاوساط والحياة الشرقية التي كنا نشعر اننا غرباء عنها . اما فيما خصني شخصياً ، فأقول ان حسن التفات عائلات المرسلين ولطفهم الذي لم يفتر ، رغم الظروف المؤلمة التي جعلت من وجودي بينها عبئاً ثقيلاً عليها ، يتطلبان مني كلمة شكر واقراراً بالجميل . ولكن واسفاه ! لقد جاء متأخراً هذا الواجب المدين به لمن كانت مثال اللطف الحي والعطف المجسم ، ولم يبقَ لي إلا وضعه على ضريحها [١٨٧] .

تقع بيروت على الساحل الشمالي الغربي من الرأس ، وكما قلنا سابقاً ، تبعد ساعة عن اقصى حدود اللسان وتقع مباشرة على

شاطىء البحر . ولكن الميناء الصغير الذي كان معداً لرسو السفن قد ردم ، فاصبحت السفن ترسو في مرفأ مفتوح . ويحيط بالمدينة سور متراخ تعلوه ابراج . والبيوت عالية ومبنية بالحجارة ، والشوارع ضيقة ومظلمة ، وسيئة التبليط او بالاحرى مرصوفة بحجارة كبيرة ، وفي وسطها قناة تسير فيها الحيوانات ، وغالباً ما تكون مليئة بالماء[188] . ومنظر المدينة اكثر حيوية من اية مدينة اخرى رأيناها على طول الساحل . زرت المدينة مرتين وشاهدت الآثار القديمة ، وهي : اعمدة قديمة وضعت اساساً لرصيف الميناء ، والطريق القديمة المحفورة في الصخر خارج السور الجنوبي الغربي ، ومقبرة حقيرة قرب الطريق الى جنوب احد الابواب ، قرأت فيها اسم المستر ابوت ، وهو قنصل بريطاني سابق في بيروت ، وبلني فسك ، المرسل ورجل الله .

تقع المدينة على منحدر مدرج . ولذلك فالشوارع كلها تنحدر لجهة البحر ، ولكن في الجنوب والغرب ترتفع الارض بسرعة الى علو كبير . وفي هذه الناحية او بالحري حول المدينة كلها تتصل جنائن وبساتين الاشجار المثمرة بعضها ببعض عدا عن اشجار التوت التي لا تحصى . واكثر هذه البساتين محاطة بسياجات من الصبّير الذي يسبغ على ضواحي بيروت منظراً رائعاً من الاخضرار والجمال ، ولكن قد تكون التربة اقل خصباً ، والثمار اقل لذة من تلك التي في ضواحي صيدا . وهذه الجنائن والبساتين شملها النطاق الصحي لانها تعتبر ملكاً للمدينة ، وسكانها يقدرون بثلث سكان بيروت . اما منازل الفرنجة فهي منتشرة على الهضاب في الجنوب والجنوب الغربي تحيط بكل منها جنته الخاصة ، وكلها

مبنية من الحجر على نمط جنوبي اوروبا ، تجمع الى السلوى والراحة الغربيين ، الترف والسحر الشرقيين .

وبيوت اصدقائنا في هذه الناحية تشرف على مناظر خلابة . ومن النوافذ كنا نسرّح الطرف في الخليج الكبير الواقع الى شمالي رأس بيروت والممتد الى نهر ابراهيم – ادونيس القديم . والى اليمين يطالعنا لبنان الجبار بجلاله الذي يقصر عنه الوصف . وامامنا ، ملء العين ، جبل صنين احدى القمم العالية في لبنان ، تنتشر الاشجار الخضراء في سفوحه ، وتغطي بقعة كبيرة من الارض تمتد الى ضواحي بيروت . وعلى شاطىء الخليج الذي يغسل سفوح لبنان كنا نتميز مصب نهر الكلب ، (ليكوس Lycus القديم) والممر المشهور بالنقوش اللاتينية والانصاب الاشورية والمصرية [١٨٩] . ويقع نهر بيروت بالقرب من الطرف الجنوبي ، وقد يكون هو نهر ماغوراس Magoras الذي يذكره بليني [١٩٠] . وكنا نرى ايضاً البقعة التي شهدت العراك بين مار جرجس والتنين كما جاء في الخرافة المشهورة [١٩١] .

جبل لبنان

اما المشهد الذي شاقني كثيراً وكان له تأثير خاص في نفسي ، فهو قمم لبنان الشامخة ، الزاخرة بالتذكارات البهجة المتصلة بتاريخ الكتب المقدسة . والذي يتأمل هذه المرتفعات الماثلة امامنا لا يصعب عليه تعليل الاسم : لبنان ، ويعني بالعبرانية « الجبل الابيض » . فالجبل كله كتلة من الحجر الكلسي الابيض ، او على

الاقل قشرته الصخرية التي تعكس النور فتظهر بهذه الحلة البيضاء الناصعة [١٩٢] .

والجبل يزدحم بالقرى وارضه تزرع من السفوح الى القمم . وتصعب حراثة الارض نظراً لطبيعتها الصخرية وانحدارها الكثير . ولذا ترى كالسطوح (الجلالي) المتدرجة تكبد السكان المشاق والجهد في بنائها وتغطيتها بالاتربة . واذا القى المرء نظره من اسفل الى اعلى ، فلا يرى اثراً للخضرة على تلك الجلالي ، بل ركاماً هائلة من الصخور العارية المبيّضة تفصل بينها اودية او اخاديد عميقة وعرة تمتد بانحدار عظيم الى السهل . ولا يخطر في بال امرىء وجود قرى زاهرة بين تلك الصخور الشاهقة ، يسكنها جبليون اشداء ، لهم من الجرأة والاقدام ما مكنهم من تذليل الصعاب الكثيرة التي اعترضت سبل معيشتهم . اما الاديرة الكثيرة المنتشرة في ربوع لبنان فسيأتي الكلام عليها في فصل تال .

اما غابة ارز لبنان الشهيرة فهي على مسير ثلاثة ايام من بيروت ، بالقرب من القمة الشمالية من الجبل التي ربما كانت اعلى قممه ، وعلى مسافة ست ساعات او ثمان الى الشمال من جبل صنين . وسأرجىء الكلام عليها الى مجلد آخر لاني تمكنت من زيارتها في رحلة تالية [١٩٣] .

واذا امسكت عن ذكر ينابيع الثروة الطبيعية التي لم تكتشف بعد في جبل لبنان ، فجدير بي ان أتعمق بالبحث عن اهميته التاريخية ، واعني بذلك الهياكل القديمة المختلفة الموجودة في اماكن عدة من لبنان . فبعضها يقع في اماكن مرتفعة جداً

يصعب كثيراً البناء عليها ، وتشبه في شكل بنائها هندسة بعلبك المدهشة . ويقع احد هذه الهياكل بالقرب من بيت مري في منتصف الطريق الى لبنان كما شاهدناه من نافذتنا ، وهو على مسافة ثلاث ساعات من بيروت ويدعى دير القلعة ، ويقال انه بني من حجارة كبيرة منحوتة ولم يُدخل الملاط في بنائه ، وامامه صف من الاعمدة ، اكثرها مهدّم وكذلك الجدران . ويقول بركهارت انه رأى لا اقل من اربعة اعمدة من هذا الطراز في انحاء الجبل . اما السادس ، وهو حصن الصفيري ، فقد شاهده مستر برد في اقليم الضنية الى الشمال الشرقي من طرابلس ، وقد يوجد غيرها في انحاء شتى من لبنان [١٩٤] .

بيروت هي بيريتس Berytus القديمة كما كان يدعوها اليونان والرومان . ويظن البعض انها بيروثاي Berothai او بيروثة Berothah المذكورة في التوراة اليهودية . والملاحَظ في هذا الافتراض الثاني ان الشبه في الاسمين فقط يوحي ان المدينة واحدة [١٩٥] . ويذكرها علماء الجغرافيا اليونان والرومان باسم بيريتس [١٩٦] . وفي زمن اغسطس Augustus اصبحت بيروت مستعمرة عسكرية رومانية باسم فيليكس جوليا Felix Julia ، ثم منحت لقب مستعمرة ممتازة (جوس ايتاليكم Jus Italicum) مع الامتيازات الخاصة بهذا اللقب [١٩٧] .

وفي بيريتس طلب هيرود Herod الكبير محاكمة ولديه ، وكانت محاكمة مصطنعة مفضوحة [١٩٨] . اما اغريبا Agrippa ولده الاكبر فقد ساعد المدينة كثيراً ، وزينها بالملاهي والمدرجات الفاخرة ، عدا الحمامات والاروقة القائمة على الاعمدة ، مفتتحاً اياها

باحتفالات رسمية تخللتها العاب ومشاهد متنوعة والعاب بالسيف [199] .
وبعد خراب اوروشليم احتفل تيطس Titus بمولد ابيه فسبزيان Vespasian في بيروت وعرض مناظر شبيهة بتلك ، هلك من جرائها الكثير من اليهود [200] .

وفي العصور التي تلت اشتهرت بيريتس بأنها مدرسة للعلوم اليونانية وخصوصاً في الحقوق . فأمّها الطلاب من البلاد البعيدة كأثينا والاسكندرية . ويقول يوسيبيوس Eusebius ان الشهيد ابيانوس Appian سكن هنا مدة من الزمن لمتابعة العلوم العلمانية اليونانية ، وان غريغوريوس ثوماتورغوس Gregory Thaumaturgus الشهير، بعد ما تردد كثيراً على مدارس آثينا والاسكندرية ، رجع الى بيريتس حوالى منتصف القرن الثالث لاتمام دروسه في القانون المدني [201] . وقد وصف شاعر يوناني فيما بعد بيريتس بأنها « حاضنة الحياة الهادئة » [202] . وفي عهد مبكر ايضاً سميت ابرشية مسيحية خاضعة لسلطة البطريرك الانطاكي . ويذكر جيروم انها احد الامكنة التي زارها بولا [203] .

وفي عهد يوستينيانوس Justinian ، في القرن السادس ، كانت بيريتس تعد اجمل مدن فينيقيا . وتابع مجمعها العلمي نموّه وازدهاره . وكان الكثيرون من الشبان ذوي الثروات والرتب يقصدونها لمتابعة درس القانون الروماني بصيغته اليونانية . وفي ايام الامبراطور نفسه دمر زلزالٌ بيروت ، فنُقلت المدرسة الى صيدا مؤقتاً [204] . وفي القرن الثامن ، وهو عصر اشتهر بتصديق الاساطير ، اشتهرت بيريتس بأنها المكان الذي حدثت فيه المعجزة

الشهيرة ، وهي ان اليهود هزأوا بتمثال السيد المسيح ، وصلبوه احتقاراً ، وطعنوا جنبه بحربة فخرج منه دم وماء غزير [٢٠٥] .

عندما زحف الصليبيون على طول الساحل من انطاكية الى القدس في العام ١٠٩٩ م، مروا ببيروت ، كما مروا بغيرها من المدن ، ولم يفكروا بالاستيلاء عليها . ويقال ان حاكمها جهزهم بالزاد والدراهم ، شرط ابقائهم على الحصاد ، والكروم ، والاشجار حول المدينة [٢٠٦] . وهكذا سلمت بيروت من الاحتلال الى السنة ١١١٠ م فاستولى عليها الملك بولدوين الاول ، بعد حصار امتد الى خمسة وسبعين يوماً [٢٠٧] . بقيت بيروت مدة طويلة في حيازة المسيحيين ، وتوصف بانها محاطة بسور منيع ، وانها واقعة في وسط بساتين ، وغابات ، وكروم [٢٠٨] . وقد سميت بيروت اسقفية لاتينية ، تابعة لرئاسة اسقفية صور وبطريرك اورشليم [٢٠٩] . وفي العام ١١٨٢ م حاصرها صلاح الدين من البحر والبر، وبذل جهوداً جبارة لاخذها عنوة ، ولكنه انسحب عند اقتراب القوات المسيحية القادمة من سيفوريس Sephoris بعدما اتلف البساتين والكروم المجاورة [٢١٠] . وبعد معركة حطين ، اي بعد خمس سنوات من انسحابه هذا ، سلمت له اثر حصار دام ثمانية ايام [٢١١] .

في العام ١١٩٧ م وصل الارض المقدسة فوج جديد من الصليبيين واكثرهم من المانيا ، فوضعوا نصب عيونهم الاستيلاء على بيروت لانها كانت قاعدة تجارية هامة ، وتحتل موقعاً ملائماً . وكانت السفن العربية التي ترسو في مرفئها او بالقرب منه ، تسطو على التجارة المسيحية ، فتنهبها ، وتأسر ألوف الحجاج الذين يقتربون من السواحل السورية وتسترقهم [٢١٢] . ولذلك زحف الجيش المسيحي

من صور للاستيلاء عليها . وبعد معركة حامية مع القوات العربية بالقرب من صيدا ، استأنف المسيحيون الزحف الى بيروت ، فوصلوها ، فاذا الابواب مشرعة امامهم ، لانه في اليوم السابق تمرد الاسرى المسيحيون الموجودون داخل المدينة على العرب ، وسلموا المدينة الى العمارة المسيحية ، وهذه سلمتها الى اماليك Amalric بصفته ملك قبرص والقدس ، واعيد الحاقها بمملكة اورشليم [٢١٣] .

وفي النزاع الذي حصل بين الامبراطور فريدريك Frederick الثاني ونائب الملك جون اوف ابيلين John of Ibelin ، استولت القوات الامبراطورية على بيروت واحتلتها مدة قصيرة في العام ١٢٣١ م . ولكنها اخلتها ثانية دون ان تحتل القلعة [٢١٤] . وبقيت المدينة في حوزة المسيحيين الى العام ١٢٩١ م عندما انقلبت سلطة الفرنج الى هزيمة شنعاء ، وتقلص ظلهم نهائياً عن سوريا في حصار عكا واخذها عنوة . وبعد ان اخلى المسيحيون صور وصيدا ، تقدمت جيوش السلطان الاشرف الى بيروت، واعلن الامير القائد الاهالي ان الهدنة السابقة ، التي حافظوا عليها ، ستبقى نافذة ، وطلب منهم الخروج الى لقائه عند اقترابه من المدينة ، وان يثقوا بحسن نيته . فخرجوا باحتفال عظيم لاستقباله على حدودهم ، ولكنه حنث بوعده ، وامر بالقاء القبض عليهم واعدامهم او اسرهم ، واحتل المدينة والقلعة ودمرهما [٢١٥] .

وفي الحقبة التي تلت هذا الحادث ، استفاقت بيروت من نكبتها كما فعلت صيدا قبلها ، وتابعت تجارتها . ويقول ابو الفداء انها كانت محاطة بارض خصبة التربة وبساتين كثيرة ، وانها ميناء

دمشق . وهكذا يقول الظاهري في القرن الخامس عشر [٢١٦] .
وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر يتحدث السياح الفرنج عن جمال ضواحيها المليئة بالبساتين والاشجار المتنوعة ولاسيما التوت ، لان الاعتناء بانتاج الحرير كان ، حتى ذلك الوقت ، عمل السكان الرئيسي [٢١٧] . وكما انتعشت صيدا ، هكذا انتعشت بيروت في مستهل القرن السابع عشر واستفادت من نشاط فخر الدين اذ جعل منها احد امكنة سكنه ، وشيد فيها قصراً فسيحاً ، ولكنه ردم المرفأ . ويقول دافريو ان بيروت كانت ، في ايامه ، ضعفي صيدا ، وابنيتها اكثر اتقاناً ، ولكن المركز الرئيسي للتجارة الاوروبية بقي في صيدا طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر [٢١٨] . وكانت القوافل من حلب ، ودمشق ، ومصر ، تأتي بانتظام الى بيروت وخصوصاً في موسم الحرير عند عرضه في السوق [٢١٩] .

وفي القرن الحالي او خلال العشرين السنة المنصرمة ، اكتسبت بيروت حافزاً جديداً ، اذ اصبحت محور التجارة الاوروبية في هذا الجزء من الساحل ، كما اصبحت ميناء دمشق . ولم يكن فيها قبل ذلك الوقت سوى وكيل قنصل واحد او وكيلين يمثلان الغرب . اما في الوقت الحاضر فاكثر الدول الاوروبية عينت لها قناصل مقيمين ، وكذلك فعلت الولايات المتحدة الاميركية ، فازدهرت التجارة واتسعت بتأسيس بيوتات تجارية . وبعض هذه المؤسسات فتحت لها فروعاً في دمشق ، فازداد بذلك نشاط السكان وعددهم وازدادت اهمية المدينة [٢٢٠] . وقد اختيرت بيروت مركزاً للارسالية الاميركية في سوريا ، نظراً لسهولة

المواصلات مع داخلية البلاد وغيرها من الانحاء. وهذه الارسالية بمدارسها، ومطبعتها، وجهود اعضائها، نجحت ليس حسب امكانياتها فحسب، بل اكثر كثيراً مما كنا نأمل، نظراً للوسائل المحدودة التي كنا حاصلين عليها.

هكذا كانت بيروت، وصيدا، وصور، على ما رأيناها، عندما انتهت مخطوطة هذه الصفحات في آب العام ١٨٤٠ م. ولكن في منتصف الشهر التالي، اي ايلول ١٨٤٠ م، تحوّل قسم من بيروت الى اطلال من جراء اطلاق مدافع العمارة الانكليزية والنمساوية مجتمعتين، وكذلك كان نصيب صور، وصيدا، وعكا.

الخاتمة

وهكذا تنتهي هذه اليوميات عن سياحاتنا في الارض المقدسة. لقد كانت خطتنا الذهاب من بيروت الى بعلبك عابرين سلسلة لبنان على الطريق العامة الى دمشق، او الشام، كما يسميها الوطنيون (اختصار دمشق – الشام)، ومن ثم الى الشمال الشرقي، مارين بزحله الى وادي البقاع. ومن هناك نعود عبر لبنان بطريق الارز الى طرابلس، وهكذا على طول الساحل الى بيروت. ولكن بعد وصولنا الى بيروت، فهمنا ان طريق دمشق قد اقفلها الدروز الثائرون، وان البقاع كله غير آمن. ولم أتمكن من زيارة نهر الكلب ودير القلعة لانحراف صحتي وملازمتي الغرفة ثمانية ايام متوالية.

بيروت وضواحيها

اقلتنا الباخرة من لارنكا بعد ظهر الاثنين في مستهل آذار العام ١٨٥٢ ووجهتها بيروت ، فوصلنا في ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء الثاني من آذار . وما ان صعدنا الى ظهر الباخرة حتى طالعنا منظر ساحر خلاب ، منظر لبنان ، الجبل الهادىء الجميل ، وقد كسا الفصل قممه العالية حلة ناصعة من الثلج . وما هي إلا فترة قصيرة حتى وصل المستر هرتر Hurter ، وهو الموكول اليه امر مطبوعات الارسالية ليرحب بي ويكون دليلي وسط الشوارع المزدحمة . وبعد تأخير قليل في انجاز معاملات الجمرك ، وركوب نحو ميل او اكثر ، وجدتني في بيت صديقي ورفيقي السابق في السفر ، القس الي سمث Eli Smith الدكتور في اللاهوت . فسررت كثيراً بلقائه مرة اخرى في بيروت تحيط به عائلته . يقع مسكنه على المرتفع الجنوبي الغربي من المدينة وسط بساتين التوت . اما البيت الذي كان يسكنه المستر هبرد سابقاً والذي نزلت ضيفاً عليه العام ١٨٣٨ فهو بالقرب من باب المدينة الجنوبي ، تشغله الآن مطبعة المرسلين وكنيستهم .

جربت الحكومة التركية مراراً توسيع نطاق التجنيد

الاجباري ليشمل القبائل القاطنة في لبنان والبلاد الواقعة الى شرقي نهر الاردن ، وهي قبائل مشهود لها بالاقدام والبسالة وشدة البأس ، فلم توفق كثيراً في مراميها هذه ، لاسيما والدروز هددوا بمقاومة المشروع بشدة . ولم تلبث الحالة ان تحرجت ، ووصلت الاخبار الى بيروت ان الدروز ينزحون بالالوف من لبنان الى حوران ، ملتجئين الى معاقل اللجاه الطبيعية ويناصبون الحكومة التركية العداء ، يعاونهم دروز تلك الناحية . اما طريقهم فكانت على حاصبيا ومنها الى وادي التيم . وقد وجد مرة اكثر من الفين منهم في حاصبيا . وكانوا غالباً ما يسيرون جماعات منفردة ، فيرتكبون المحرمات ويعتدون على الآمنين ، فتصل الاخبار عن اعمالهم او عما يعمل باسمهم . ولذلك اعتُبرت تلك الناحية خطراً على المسافرين ، ولم يجرؤ المستر تومسون على السفر ، مع اضطراره اليه ، قبل ان يتلقى الاخبار الموثوق بها . فاضطررت مرغماً الى العدول عن مرافقته ، ولم اجد مبرراً للندم على ما فعلت . ولو كانت الظروف مؤاتية للسفر ، آنذاك ، لاستغنيت عن السفر في فرصة اخرى اكثر مناسبة ولوفرت اسبوعاً او عشرة ايام من وقتي المحدود الثمين .

كان الطقس جميلاً طيلة الاسبوع الاول من وصولي . وكانت الحرارة تراوح بين سبعين الى ثمانين درجة فارنهيت . وكان الجو صافياً ، والهواء معتدلاً وعطِراً . وكانت شمس الشرق تصب اشعتها المنعشة على مناظر خلابة في البر والبحر على السواء . كان بيت المستر سمث يشرف على الميناء والسفن الراسية فيه ، وعلى لبنان والشاطىء السوري حتى طرابلس . ويتألف البيت من

دورين ، سطحه منبسط كباقي السطوح في البلاد ، ويحتاج الى الترميم المستمر . وكان القسم الواقع في وسط الدور الثاني على شكل سطح مفتوحاً الى الشمال ، والغرف مبنية على كلا الجانبين . اما النوافذ فعهدها بالزجاج قريب ، اي منذ ان سكنها الدكتور سميث من نحو عشرين سنة .

في ذلك الحين ، كانت النوافذ المزججة نادرة في بيروت ، وكانت الدفات اللازة الواسطة الوحيدة لاتقاء المطر والريح . عن هذا السطح كانت العين تحيط بالمنظر الممتد امامنا من جميع نواحيه ، ولكني لم اشبع من النظر والتحديق بمناظر الجبل المشرق : امامنا جبل صنين ، احد القمم العالية وقد زين الثلج الخفيف جوانبه ، اما في سفحه ومنحدراته فكنا نرى الجداول مندفعة في المضايق العميقة ، والقرى العديدة منتشرة على مرتفعاته .

تغيرت حالة الجو في الاسبوع التالي ، واستمر انهمار المطر خمسة ايام متوالية ، من الاثنين الى الجمعة ، تصحبه احياناً ريح شديدة ، يعقبها صحو قليل وشمس دافئة . اشتد هبوب العاصفة الهوجاء فاضطرت السفن الراسية في المرفأ الى رفع مراسيها والالتجاء الى زاوية الخليج الداخلية . وتساقط الثلج بكثرة على الجبال وفي اقليم حاصبيا . هدأت العاصفة وانقطع المطر يوم السبت وتحسنت حالة الجو عدة ايام عقبها جو متقلب استمر نحواً من ثلاثة اسابيع ، الى نهاية الاسبوع الاول من نيسان تخللته امطار غزيرة احياناً . هذا هو المطر المتأخر الوارد ذكره في الكتاب المقدس ، وقد استمر ما يقرب من شهر اكثر من المعتاد . وكانت نتيجة هذه الامطار المتأخرة جودة موسم الحبوب الشتوي

كما راينا في اثناء تجوالنا ، وارضاء فضولي في بقائي الطويل غير المنتظر في بيروت .

لم تفقد بيروت شيئاً من رخائها منذ ان زرتها في المرة السابقة (١٨٣٨)، بل تقدمت كثيراً . لقد تعرضتْ لمدافع الاسطولين البريطاني والنمساوي في العاشر والحادي عشر من ايلول العام ١٨٤٠ ، فتهدمت من جراء ذلك بيوت كثيرة، وذهب العديد من الضحايا . ولكن الخراب الذي حل بها لم يلبث ان اصلح ، ولم يبقَ من آثار هذا التعدي سوى ما تركته القنابل في جدران القلعة القديمة على المرفأ . اما الشوارع فقد اصلحت، وازيلت الاخاديد او القنوات من وسطها . كان عدد السكان في العام ١٨٣٨ يقدر بخمسة عشر الف نفس ، اما الآن فيقدرونه بضعفي ذلك . وقد امتدت الشوارع الجديدة الى الضواحي في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة المسورة ، وملأت المساكن الحدائق وبساتين التوت الواقعة على التلال في الجنوب والجنوب الشرقي . ويمكن الواقف على سطح البيت الذي شغلته مطبعة المرسلين ان يتمتع بمنظر المدينة وضواحيها ، ومن ورائها لبنان .

ازدادت تجارة بيروت زيادة كبيرة ، فقد كانت السفن الفرنسية والنمساوية والانكليزية والسفن الشراعية العديدة التي تأتي الى المرفأ ، سبباً في ازدياد دولاب العمل ، وايقظت في السكان ولاسيما مسيحيي المدينة والجبل روح التجارة والاقدام على المشاريع . وقد شجعت هذه المشاريع كثيراً المؤسساتُ الاوروبية العديدة في الجبال لبرم الحرير ، وكان البعض منها يستعمل البخار في صناعته ٢٢١ .

اما الآثار القديمة في بيروت ومن حولها فليست كثيرة، ولكنها اكثر مما كنا نعرف عنها . رأيت في زيارتي السابقة الاعمدة العديدة الموضوعة في اسس الرصيف حيث ينزل المسافرون الى البر، والطريق المحفورة في الصخر خارج السور الجنوبي الغربي، وفيما خلا ذلك، فيوجد داخل المدينة ثلاثة اعمدة كبيرة من المرمر مركزة على قواعدها ، وقاعدة بدون عمود قرب السور الجنوبي شرقي الباب الثاني من المقبرة الاميركية ، وهي على الارجح اطلال هيكل قديم . اما خارج السور المذكور والى الشرق قليلاً فيوجد عشرة او اثنا عشر عموداً ملقاة الى جنوبي الفسحة ، بعضها من المرمر والبعض الآخر من الحجر الكلسي . ولا ادري هل لهذه الاعمدة علاقة بالتي داخل السور . ويوجد آثار اسوار واسس قديمة غربي المدينة بين الصخور وفوقها على الشاطىء قرب الماء على الطريق المؤدية الى لوكندة بلفيدار Locanda Belvidère . في هذا المكان وعلى مسافة قصيرة من ابواب المدينة، ميناء حقير ترسو فيه الزوارق والبواخر الصغيرة حيث تكون في مأمن نسبياً . وتظهر آثار القطع في الصخور التي تحيط بالميناء وقد قطعت لتوسيعه . وبينما كان الدكتور سمث يمهد الارض قرب بيته لعمل حديقة ، وجد عدة نواويس وتوابيت فخارية ، ضمنها اوعية لحفظ دموع النادبات ، واوعية اخرى زجاجية . وقد احتفظ الدكتور دي فورست De Forest ببعض هذه الاوعية وقطع من التوابيت .

في الفسحة المفتوحة الواقعة امام باب المدينة الجنوبي الغربي ، ينبوع عميق يُنزل اليه بدرج ، وهو مغطى بسطح متين حديث

البناء. ويقال ان قناة قديمة تزوده بالماء، أكتُشفت صدفة تحت سطح الارض منذ بضع سنوات. وسنأتي على ذكر قناطر وآثار قناة كبيرة ظاهرة للعيان كانت قديماً تزود بيروت بالماء من لبنان.

واكثر التلال التي تحيط ببيروت هي من الرمل الاحمر تنتثر بينها الصخور وتغطيها تربة خفيفة، وتختلف في الارتفاع بين مئتين الى ثلاثمائة قدم. وتتفرغ طرق من المدينة باتجاهات مختلفة عبر التلال وفوقها. وهذه الطرق كسائر الطرق في سوريا لا تصلح لسوى الركوب والمشي، فالمركبات على انواعها غير معروفة في البلاد. والظاهر ان هذه الطرق قديمة جداً، فحيث لا وجود لطبقة صخرية، اصبحت الطرق عبارة عن خنادق عميقة ضيقة، تكتنف جانبيها حافات ترتفع احياناً اكثر من مستوى رأس الجبال. وفي اكثر الاماكن ترى سياجات الصبّير على جانبي الطريق. اما الطرق التي تتفرع من المدينة والتي لا تؤدي رأساً الى الجبل او تسير مع الساحل، فتتجه الى التلال الرملية المتحركة المذكورة في رحلتنا السابقة. وهذه الآكام الرملية مسفسفة من شاطىء الرأس الجنوبي الغربي، تزحف ببطء واستمرار شمالاً. اما اتجاهها فالى الداخل، لان طرف الرأس الجنوبي صخري، وكذلك الشاطىء على مسافة قصيرة الى الجنوب. ومع هذا، ففي منتصف الطريق بين المدينة والرأس، ساقت الريح وكوّمت خطاً عريضاً من الآكام الرملية التي لا تبرح تطغى على الحقول المحروثة. وفي بعض الاماكن ترى اشجار التوت نصف مطمورة. وقد جربوا مراراً وقف تقدمها بزرع الاعشاب والنباتات التي تنمو في التربة الرملية، ولكن بدون كثير جدوى. وقد بذلت

الحكومة جهداً لزرع بذور الصنوبر ، فنبتت في بعض الاماكن . والارجح ان حرش الصنوبر الكبير الذي زرعه فخر الدين في الطرف الجنوبي من المدينة كان للغاية نفسها . ولكن دارفيو D'Arvieux يعتبر ان القصد من زراعته هو تنقية الهواء . ويقول هذا الكاتب ان هذا الامير كان يعتبر اقليم بيروت حديقة للهوه ٢٢٢ .

زرت راس بيروت مرتين ، سائراً على الطريق الرملية العريضة الواقعة الى الجنوب من بيت الدكتور سميث . تنحدر الارض تدريجاً الى الراس الصخري ، حيث تأكلت الصخور بفعل الامواج المتواصلة . تكوّن خليج صغير الى جنوبي الراس ، تاركاً صخراً مشقوقاً وصخراً آخر كبيراً منعزلاً في وسطه . وهذا الخليج ملجأ امين لطيور البحر . ومما يسترعي الانظار هناك اندفاع الامواج الهائجة في إبان العاصفة . ويوجد على الراس اسس مربعة لصرح سابق هو على الارجح موقع البرج الذي ذكره دارفيو العام ١٦٦٠ ، وُضع فيه حرس مهمته اعطاء الاشارة عند اقتراب السفن . والكاتب نفسه يذكر وجود خمسة او ستة ابراج بين الراس والمدينة ٢٢٣ .

التقطنا في ايابنا على قمة الارض قطعة من حجر المرمر المنحوت نُقش عليها ثلاثة او اربعة احرف . زرنا الجامع الواقع في وسط الساحل الجنوبي الغربي وهو الذي يقول عنه دارفيو انه على الرأس وتتردد عليه كثيراً النساء المحمديات ٢٢٤ . ويقال ان عائلات كثيرة من المدينة تصطاف هنا في الوقت الحاضر . اما القصد من زيارتنا فليس الجامع ، بل سلسلة من الصخور الى الشمال

منــه اقرب الى الشاطىء ، حيث يوجد العديد من النواويس القديمة المحفورة في الصخور ، ولكننا لم نعـثر على الاغطيـة التي كانت لها سابقاً ، وكان البعض منها مختلفاً عما شاهدناه من قبل ، لان الحفر في اسفلها اكبر منها عند اعلاها .

في منتصف الطريق بين الجـامع والشاطىء ينبوع عـذب تستقي منه عدة عائلات في بيروت خلال فصلي الربيع والصيف ، فينقلون الماء الى المدينة في جرار تحملها الحمير .

بين بيروت ونهر الكلب

في اليوم الثاني على وصولي الى بيروت ، ركبت مع المستر هرتو والقس المستر ادي – وهما ايضاً وصلا حديثاً – الى الممر المشهور عنـد مصب نهر الكلب . كانت الطريق مـن المدينة تسير بالقرب من سفوح التلال ، وهي غارقة بالوحل ويصعب السير عليها ، ويفصلنا عن البحر سهل قليـل العرض عن يسارنا . وعلى مسافة ميل او اكثر من المدينة توجد اطلال بناية قديمة من القرميد ، يقال ان لها صلة باسطورة القديس مار جرجس والتنين . فالبعض يقولون ان التنين قتل في هذه البقعة ، وآخرون يقولون انه قتل في مكان ما قرب البحر ، وبعد قتله غسل مار جرجس يديه في هذه البقعة . ويذكر مونكونيز Monconys العام ١٦٤٧ ودارفيو العام ١٦٦٠ وجود كنيسة باسم مار جرجس في هـذه البقعة ، وقد حولت الى جامع كما يقول دارفيو ، ولكن كلاهما لا يعينان الموقع تماماً ٢٢٥ . ألا تكون لهذه الاطلال علاقـة بتلك

الكنيسة ؟

بعد نصف ساعة من خروجنا من المدينة وصلنا الى نهر بيروت ، وهو يجري الى الراس من بقعة في الجبل ، ويتجه شمالاً الى البحر . وفي هذا المكان بين الآكام من الغرب وسفح لبنان ، بقعة ارض منخفضة عريضة ، تمتد عبر الراس ، وهذا ما جعل البعض يعتقدون ان القسم الاعلى من الرأس في الغرب كان قبلاً جزيرة ، وقد ملأت الرمال المسفسفة المضيق الذي كان يفصلها عن الساحل .

كانت غزارة مياه النهر متوسطة في هذا الفصل، ويمكن عبوره على جسر مؤلف من سبع قناطر ضيقة تستند الى دعامات جد واسعة . سطحه منبسط يصعد اليه على مرتقى منحدر من الجانبين . وهو مرصوف بحجارة كبيرة خشنة ، تزلق عليها الحيوانات وتتعرض للخطر . ويقول دارفيو ان الجسر من بناء فخر الدين[٢٢٦] .

اما المسافة من الجسر الى نهر الكلب فساعتان على الخيّال . كنا نسير بين الاشجار والعلّيق على ارض رطبة مستنقعة . وبعد خمس عشرة دقيقة وصلنا الى شاطىء الخليج ، وكنا بعد على مسافة قليلة من الزاوية الجنوبية الشرقية . من هذه النقطة الى الزاوية المذكورة ، ومن ثم الى البحر ، تسير الطريق تقريباً على الشاطىء الرملي ، حيث يتواصل تكسر الامواج الخفيفة . وبالقرب من زاوية الخليج يصب نهر الموت الذي ينبع من تحت برمانا ، ويقال انه سمي كذلك لان المياه الراكدة عند مصبه تجعل تلك البقعة ضارة بالصحة . وعلى مسافة منه الى الشمال عبرنا نهر انطلياس ، وهو اطول واكبر منه ، وقد سمي باسم القرية المنفردة في سفح

الجبل . وقبل ان نصل الى الممر ، يتخلل الشاطىء الرملي بقعة صخرية ، تندفع الامواج باستمرار على صخورها النصف مغطاة بالماء والمتآكلة . اما سلسلة الصخور العالية التي تشبه اقراص العسل فتكوّن الجدار الجنوبي لوادي نهر الكلب وتبرز باتجاه الشمال الغربي الى البحر . والطريق تمر حول رأس الممر وفوقه ، على ارتفاع نحو مئة قدم فوق الماء . وتوجد طريق اخرى فوقها اقوم منها . اما الطريق الحالية فمرصوفة في بعض الاماكن بحجارة كبيرة خشنة ، وقد وجدنا من الحكمة ان نترجل في نزولنا من الجهة الشمالية المنحدرة . وبدا لي الممر ، وقتئذ ، وعراً يصعب السير فيه كثيراً ، ولكن في رجوعي من الارز في حزيران ، بعد ان قطعت مرتفعات لبنان ومنحدراته ، وجدت ان ممر نهر الكلب قد تغير واصبح طريقاً جبلية عادية . وعلى مسافة خمس دقائق من الشاطىء جسر حديث البناء ، ولكن يمكن عبور النهر بدونه . توجد قناة وراء الممر ، والظاهر انها قديمة ، يجري فيها ماء النهر لري سهل جونيه ، بعد ان يدور عدة طواحن في طريقه . عندما امعنت النظر في الوادي الضيق الذي ترتفع عمودياً على جانبيه سلسلةٌ من الصخور ، تذكرت مناظر نهر لهاي Lehigh فوق Mauch Chunk في بنسيلفانيا Pennsylvania الشبيهة به .

اما الالواح والنقوش المختلفة التي تسبغ فائدة تاريخية على هذا الممر ، فقد فحصتها على مهل يوم زرتها في حزيران ، وسأتكلم عليها في حينها ٢٢٧ .

بين بيروت ودير القلعة

كان الثالث عشر من آذار يوماً جميلاً ، فذهبتُ برفقة الدكتور فورست والمستر ادي الى دير القلعة ، وهو دير ماروني في لبنان الى الشرق من بيروت، حيث توجد اطلال هيكل قديم ، والارجح انه فينيقي . عبرنا المرتفع الواقع الى جنوبي شرقي المدينـــة ، ثم قطعنا نهر بيروت على مسافة قصيرة الى جنوبي الجسر ، واجتزنا سلسلتين منخفضتين من الجبال واقعتين بين النهر وسفح الجبل . ومن ثم بدأنا بالتصعيد بجانب النتوء الظاهر في الجبل بين المنحدر الغربي والمنحدر الجنوبي على طول المضيق الذي يمر فيه نهر بيروت . مررنا بطريقنا على المنصورية وغيرها من القرى . وكانت الطريق منحدرة ووعرة شاقة . غالباً ما كنا نمر على بقاع من الصخور العارية الملساء ، تارة زلاقة وطوراً متدرجة وذات طبقات . وفي بعض الاماكن كانت الطريق عبارة عن زقاق ضيق بين جدران متوازية ، ملء حصىً غير متماسك ، مما يصعب جداً على الجبل السير عليه . وتكثر هذه الطرقات في لبنان ، ولم نر اردأ منها في تجوالنا .

اما جوانب الجبل فقد حولت الى سطوح (جلالي) حيث تكثر التربة ، وحيث كان بالامكان جرف قليل من التراب وتكويمه ثم حرثه . وقد حولت بقاع كثيرة كانت مغطاة بالصخور والحجارة الى ارض زراعية فاصبحت خضراء وزاهية ، تتاوج فيها السنابل وغيرها من الحبوب ، وتزينها بساتين التوت والتين . هذه الجلالي

مما يسترعي الانظار في زراعة الجبال ، وهي منتشرة في كل مكان ولاسيما على منحدرات لبنان الغربية ، وتدل على اجتهاد الشعب الذي يسكنها ، واقتصاده ، وتحمله المشاق في سبيل عيشه .

كان المضيق الذي يمر فيه النهر عن يميننا في صعودنا ، وكنا نرى آثار قناة قديمة في ناحيته الجنوبية ، كانت المياه تجري فيها سابقاً الى بيروت من ينبوع فوقها لا يبعد كثيراً عنها . في نقطة ما من المضيق كانت القناة تتخطى احدى شعبه على طبقات مزدوجة من القناطر ٢٢٨ . ويقال ان القناة تسير وسط نفق في الصخر ، على مسافة قصيرة تحت هذه القناطر . وفي رجوعنا من عبيه بعد بضعة ايام رأينا القسم المتمّم للقناة ممتداً في السهل باتجاه المدينة .

يقع الدير على قمة هذا النتوء ، حيث الجوانب ترتفع بانحدار كثير لتكوّن هذه القنة . وهذا القسم يستحيل المرور عليه لكثرة انحداره . درنا حول المنحدر الغربي ، وتسلقنا بصعوبة ، من الجهة الشمالية الشرقية ، الى اعلى المرتفع ، فكنا على مسافة خمس دقائق وراء الدير . هنا يجد المسافر نفسه على قنة سلسلة هزيلة من لبنان ، واقعة امام حوض نهر بيروت الداخلي ومغائره . تنتهي هذه السلسلة في المضيق الذي يخرج منه النهر ويجري في السهل ، ويقع الدير في اعلى نقطة على ارتفاع الفين ومئتي قدم عن سطح البحر .

اما المنظر من هذا الموقع ففسيح جذّاب ، يشرف من الغرب على بيروت وسهلها والمتوسط من ورائها ، وربما تمكن الناظر من رؤية جزيرة قبرص اذا كان الجو صافياً . لكنا لم نغتنم هذه الفرصة آنئذ . ومن الجنوب وراء المضيق يشمل النظر فضائي

الغرب الاعلى والاسفل، ومن الشرق ترى شعبتا النهر في واديين صخريين آتيين من الشرق والشمال الشرقي ويلتقيان تحت المضيق في هوة سحيقة وشديدة الانحدار لا يمكن العين ان ترى قعرها . وهي شديدة الوعورة صعبة المنال . ويقال ان الفهود تتردد عليها . اما البقعة الواقعة بين هاتين الشعبتين وبجانبهما فهي قضاء المتن، وهو من اغنى بقاع الجبل . ووراء تلك البقعة ترى قمم صنين والكنيسة المغطاة بالثلج ، قائمة فوق قمة لبنان العالية . كان منظر الجبل، كما رأيناه وقتئذ، مظلماً مقفراً . ولم يكن اخضرار الاشجار والحقول ، التي كانت في بدء اخضرارها ، كافياً للتغلب على منظر الصخور الضخمة ، واكثرها من الحجر الرملي القاتم . يعزى وجود اشجار الصنوبر في لبنان الى هذه التربة الرملية ، ويوجد غابات عدة من هذه الاشجار على ضفاف شعبتي النهر ، ومنتشرة في قضاء المتن ٢٢٩ . ولا يمكن رؤية النهر في اعماق الاودية . وتبرز جدران من الصخور الضخمة مرتفعة من الاسفل كالابراج الهائلة .

والطريق من بيروت الى دمشق وبعلبك تمر عن جنوبي نهر بيروت ، بين منابعه وينابيع الدامور الاعلى ، ثم تجتاز سلسلة لبنان العالية جنوبي جبل الكنيسة تماماً . وعلى مسافة قصيرة الى جنوبي هذه الطريق بين حوضي النهرين ، تقع قرية بحمدون ، مصيف الدكتور سميث وغيره من المرسلين الاميركيين . ولا تمكن رؤيتها من الدير . امامنا قرى متنية كثيرة اكبرها راس المتن ، كانت امامنا مباشرة على المرتفع فوق وبين شعبتي النهر . والاقليم غني ومزدهر وخصوصاً بانتاج الحرير . تفصل هذا الحوض عن

نهر الكلب في الشمال سلسلة من الآكام العالية .

دير القلعة

اما بقايا هيكل دير القلعة القديم فقد وصفها الدكتور سميث وصفاً مسهباً منذ عدة سنين ٢٣٠ . فهي تبلغ مئة وست اقدام طولاً من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، وعرضها اربع وخمسون قدماً . واجهة الهيكل الامامية، باتجاه الشمال الغربي ، تشرف على السهل والبحر . هنا وُجد رواق عمقه تسع وعشرون قدماً يشتمل على صفين من الاعمدة في كل منها اربعة اعمدة . اما الباقي منها في مكانه فهو اجزاء اربعة اعمدة ، وقاعدة عمود خامس ، ولكن تيجانها مفقودة . وقياس قطر العمد عند اسفلها نحو ست اقدام ، والباقي من علو احدها ثماني عشرة قدماً وربع القدم . اما الهيكل نفسه فلم يبق منه سوى الاسس واجزاء من المداميك السفلى ، بينها حجارة طولها اثنتا عشرة قدماً واربع عشرة ، وعرضها خمس اقدام ونصف واربع اقدام . وحجارة المدماك الاسفل في وضعها الحالي منحرفة الزوايا من الجهة العليا فقط ، وليس من اطرافها . كنيسة الدير مبنية على الاسس القديمة وداخلها في الناحية الشمالية الغربية . ويقع النظر من سطحها على اروع منظر واجمله . ووراء الدير وتحته يوجد نواويس قديمة .

على بعض الحجارة المبنية في الجدران وانحاء الدير ، يوجد لا اقل من ثمانية او عشرة نقوش يونانية ولاتينية . واكثر هذه النقوش يدل بوضوح على تقدمات نذورية كالمذابح والصفائح الموقوفة

لاله الهيكل . اما مركزها الحالي وكون النقش الى الجهة الخارجية فهو ليس سوى وليد الصدفة . وليس من المستبعد ان تكون بعض الحجارة الاخرى تحتوي نقوشاً من الداخل ، فلا تمكن رؤيتها . وأحد هذه النقوش اليونانية الطويلة موجود على قطعة عمود مربع او مذبح ، وضع كزاوية للموقد المهدم في المطبخ . وتوجد قطعة اخرى ينتهي النقش عليها باربعة احرف يونانية ، والظاهر انها تكملة النقش نفسه ، لان الاحرف من القياس نفسه . وهي مبنية في جدار الدير الجنوبي من الخارج . ويوجد نقش على عمود بين قنطرتين في القاعة وآخر على اسكوفة احد الابواب الداخلية ، وغيره على حجر اسطواني مجوف يستعملونه الآن لسقاية المواشي ، وهكذا على غيرها من الاحجار ٢٣١ .

واهم نقطة تاريخية عرفتها من هذه النقوش هي لقب جوبتير او بعل ، وهذا غير موجود في مكان آخر . فالنقش الطويل الذي في المطبخ يسميه بالماركوس : سلطان ، اله الطرب (مكتوبة بالاحرف اليونانية) Balmarkos Sovereign, Lord of Sports ويظهر ان الكلمات الاخيرة هي ترجمة الاسم ٢٣٢ . وفي احد النقوش اللاتينية القصيرة وجدنا Iovi Balmarcodi في صيغة الجر . وقد جاء ذكر بعل في العهد القديم على انه معبود الكنعانيين الوثنيين ، بألقاب : بعل بريث Baal-berith اي اله العهد ، وبعل زبوب Baal-zebub : اله الذباب ٢٣٣ . وهكذا كان هذا الهيكل الفخم ، الذي يتوّج احد مرتفعات لبنان ، مكرّساً لبعل مركوس اله الطرب او اللذات ٢٣٤ . وقد كان احد الامكنة المحترمة في الوثنية الفينيقية . ويوجد هياكل عديدة

شبيهة به في لبنان ولبنان الشرقي (انتي لبنان) وحولها . وهذا كان اول هيكل من الثلاثة عشر التي زرتها ، خلا الهياكل الاكبر منها في بعلبك .

يسكن في الدير ثمانية وعشرون راهباً مارونياً . استقبلونا بكل ترحاب ولطف ، ولم يبخلوا علينا بما عندهم من المعلومات . وعندما جلسنا بين الصخور لنتناول طعام الظهر ، جلبوا لنا نبيذاً جبلياً احمر ، وزيتوناً ، ومربى الاثمار ، فوجدناه شهياً للغاية . ولكنهم صارحونا حالاً اننا هراطقة ضالين لاننا نأكل اللحم في الصوم الكبير . واتفق وجود الرئيس العام للاديرة المارونية ، فساومه الدكتور دي فورست على مشترى حجرين عليهما نقوش يونانية ، فلم يعترض على بيعهما ، وعين لهما ثمناً معقولاً ، ووعد بتسليمهما قريباً في بيروت ، ولكنهما لم يصلا .

بين دير القلعة وبيروت

رجعنا الى البيت على طريق غير التي جئنا عليها ، فمررنا اولاً على بيت مري ، وهي قرية كبيرة الى الشمال الشرقي وراء الدير على مرتفع اعلى منه ، موقعها شبه منعزل على الجانب الشرقي المنحدر ، تشرف على الهوة السحيقة تحتها ، وعبر هذه الهوة يتمكن السكان من اسماع صوتهم الى سكان القرى في الجهة المقابلة في الغرب الاعلى ، وتقدر المسافة بنحو ميلين في خط هوائي . ويقع قسم من القرية على نتوء بشكل سرج من السلسلة وراء المرتفع المذكور اعلاه . عرجنا هنا على بيطار القرية لتمكين نعال احد الخيول التي معنا .

انجز عمله على طريقة اولية قديمة . يُقشط الحافر بآلة تسحب الى جهة البيطار ، وتدق المسامير في حافر الحيوان بعد وضعه على حجر املس مسطح . اما البيطار فهو طبيب بيطري فحسب ، والبيطرة من متممات حرفته ولكنه ليس حدّاداً ، بل يحصل على النعال والمسامير من الحدّاد .

ووراء بيت مري عثرنا على قناة قديمة تمتد بجانب السرج المذكور اعلاه ، وبجانب رقبة او سرج آخر اكثر انخفاضاً منها واقرب الى برمانا . والقناة في بعض الاماكن تشبه جداراً من الحجارة الكبيرة ، مبنية بطريقة منظمة لتغطي خطاً وتقيه من الحجارة المثقوبة او الانابيب التي يجري فيها الماء . وقد رأينا بعض تلك الانابيب او الحجارة ملقاة على الطريق . طول الواحد منها نحو قدمين ، اما قطر الثقب فقدم تقريباً . وبهذا الاستنباط كان الماء ينقل من الرقبة الوطيئة الى اعلى موقع في بيت مري ، كما يجري في قناة Croton فوق نهر Harlem على الجسر العالي تماماً . لا يمكن الجزم ان المياه كانت قديماً تنقل الى الهيكل وراء بيت مري ، ولكن يقال ان حجارة مثقوبة شبيهة بتلك وجدت قرب الدير ، وهذا يحتاج الى الاثبات . ولا يوجد اي دليل بالقرب من الخرائب للدلالة على غزارة المياه ٢٣٥ سابقاً . اما الماء فكان يجلب من نبع العرعار الغزير القريب من مار موسى ، على مسافة ساعتين الى الشمال الشرقي .

تقع برمانا على قنة المرتفع ، وهي قرية كبيرة ينفسح المنظر امامها الى الغرب والشرق ، وفي وسطها سنديانة ضخمة ، وقصور الامراء ، وتمكن رؤيتها من مسافة قصية من سائر الجهات . من

هذه القرية انحدرنا الى بيروت في طريق عن شمالي مجرى نهر الموت ، فمررنا بطريقنا على عدة قرى صغيرة ، وكانت الطريق صخرية وزلاقة وشاقة . وصلنا الى سفح الجبل على زاوية الخليج وقد خيم الظلام ، فكنا نتلمس طريقنا وسط الوحول والمصاعب التي تعترضنا .

بين بيروت وعبيه

الثلاثاء القادمة تبتدىء الامتحانات العادية في مدرسة الصبيان في عبيه استعداداً لاجتماع الارسالية السنوي . فذهبنا يوم الاثنين مع الدكتور دي فورست الى هناك على طريق غير مألوفة كثيراً ، لزيارة بعض النواويس القديمة المشهورة . والطريق المؤدية رأساً الى عبيه كانت في قسم كبير منها الطريق نفسها التي تؤدي الى دير القمر . سرنا على الطريق الساحلية، المؤدية الى صيدا ، ما يقرب من ساعة ونصف الساعة ، فكانت برج البراجنة والشويفات عن يسارنا . فوصلنا الى بناء مهجور يدعى (كما اعتقد) دكان القسيس ، على مسافة نحو نصف الساعة قبل خان خلدة . من هنا تحولنا الى طريق مباشرة تمر في عرمون ومنها الى عبيه في الغرب الاعلى . هنا اعترضنا واد آت من الجبال ، فأصبحت الطريق تسير صعداً عن جهته الجنوبية .

تابعنا سيرنا وقتاً قصيراً في بطن هذا الوادي حتى وصلنا الى ملتقى شعبتيه ، ثم صعدنا في المرتفع بين الشعبتين . وكانت الصخور الضخمة المنفردة منتشرة على المرتفع . وقبل ان نتقدم

كثيراً وصلنا الى الهدف الذي نفتش عنه . هنا على قمة المرتفع احصينا خمسة وثلاثين ناووساً في كومتين رئيسيتين ، ويوجد غيرها على مسافة فوقنا كما يظهر . وقد اختير صخر كبير نُقر فيه جسم الناووس ، ثم وضع عليه غطاء ثقيل ، ولم ينحت الصخر من الخارج . وكانت الاغطية على شكل السطح ، ترك لها عقدة بارزة على كل زاوية منها لتزيينها ، وقد رأينا عقداً على غطائين منها في الوسط . كان قياس احد الاغطية ثماني اقدام طولاً ونحو ثلاث اقدام ونصف القدم عرضاً ، ونحو قدمين سمكاً ولكنها وضعت بدون ترتيب ، وازيلت الاغطية من مراكزها .

تحيط النواويس باسس بناية قديمة طولها اربع وتسعون قدماً وعرضها اثنتان وثلاثون ، منقسمة الى عدة اجزاء من الداخل ، ولا يوجد اثر يدل على تاريخها او القصد من تشييدها . وبالقرب منها حوضان محفوران في الصخور على شكل قبة . والى الشرق من هذه الاسس ، ارشدنا بعض الاعراب على حجر عليه نقش لاتيني لم يبق منه سوى الاحرف A R A M R E .

ولا يجدي نفعاً التكهن بماضي هذه البقعة القديمة اذ ربما كانت مقبرة خاصة لسلالة من الاشراف . وتدل هذه الصخور الضخمة المتفرقة على ان الاحياء لم يسكنوا هنا مطلقاً . وليس من المستبعد ان تكون هذه الاسس دليلاً على هيكل او بناء له صلة بالاموات . والنواويس القديمة منتشرة في كل انحاء البلاد ، ولكننا لم نرها بهذه الكثرة في مكان واحد الا قرب خان خلدة . اما المكان الآن فقفر منعزل ، ولا يوجد فيه سوى بعض البقع من الحبوب الشتوية منثورة بين الصخور .

اردنا الرجوع الى الطريق المؤدية رأساً الى عبيه ، فعـبرنا الهوة الضيقة في الجنوب ، بعد ان ترجلنا عن خيلنا وقدناها بحذر شديد وصعوبة كلية في المنحـدر مستعينين بعربي من الجوار . لم يكن الاحدور صخرياً لاننا رأينا حبوباً شتوية مزروعة بين الصخور . اما المرتقى في الجهة المقابلة فكان منحدراً ايضاً وصخرياً . ولكن وجود طريق للماعز ساعدنا على صعوده . تابعنـا صعودنا باتجاه الجنوب الغربي فوصلنـا الى حافة مرتفع يشرف عـلى واد آخر عميق امامنا . سرنا على حافة الوادي العليا ، ثم درنا حول رأسها لكي نصل الى عرمون . كانت الارض في هذه الناحيـة مشغولة على شكل جلالي وتظهر كأنها مدرج (امفيتياتو) رتبت مقاعده صفوفاً .

تقع عرمون على جانب منحدر يجري في واديه جدول صغير . ضللنا طريقنا بين عرمون وعين كسور ، وهمنا على وجوهنا بعض الوقت بين الممرات الصخرية المظلمة . مررنا في طريقنا على خمسة نواويس كبيرة حفرت في صخور ضخمة منعزلة عـن يمين الطريق . رجعنا ، في عين كسور ، الى الطريق التي سلكناها من بيروت . تقع هذه القرية على طبقة عريضة من الصخور المكشوفة الممتـدة مسافة بعيـدة الى الجنوب ، ثم تنتهي في الشمال بشاهق منحدر . وعلى شفير هذا الشاهق يوجد عدد من النواويس المحفورة في الصخور المستوية السطوح .

والطريق بـين عين كسور وعبيه تمر حول رأس واد آخر يمتد نزولاً الى الشمال من عبيه . وهذه ايضاً مشغولة على شكل سطوح (جلالي) ، وتشكل مدرجاً جميلاً . كان الوقت مساء وقد

خيم علينا الظلام ، فوقعنا في طريقنا على سرب من البجع في عبوره شمالاً . وقد حط على الاشجار القليلة الموجودة في تلك البقعة الكبيرة ليرتاح ليلته . وصلنا الى عبيه الساعة السابعة والنصف ، فحللنا على الرحب والسعة في بيت القس كلهون Calhoun رئيس المدرسة .

عبيه ومدرستها

جرى الامتحان في اليوم التالي . وقد ضمت المدرسة في ذلك الوقت تسعة عشر صبياً بين الثالثة عشرة والعشرين من سنيهم . كانوا ينامون ويأكلون في بنايات الارسالية . كانوا من طوائف مختلفة : روم ارثوذكس ، روم كاثوليك ، بروتستانت ودروز ، ولم يكن بينهم موارنة في ذاك الحين . وفي المدرسة ، عدا الرئيس المستر كلهون ، معلمان وطنيان ، مخايل واسعد ، وبعض الاحيان يُكلف اثنان من التلاميذ القدماء لتعليم الصفوف المبتدئة . كانت امائر النباهة والاجتهاد تظهر على بعض التلامذة . اما الامتحان فكان في غاية الدقة ، واشتمل على الدروس الابتدائية والتكميلية في اللغة العربية مع تمارين كتابية ، والحساب ، والجبر ، والجغرافيا ، ومبادىء علم الفلك ، وخصوصاً دروساً في تاريخ الكتاب المقدس ومبادئه . وقد دلت الاجوبة على سرعة خاطر ونباهة كما يجري في المدارس العالية في بلادي واوروبا . اما اللغة الانكليزية فلا تدرّس إلا لبعض التلامذة المتقدمين في العلوم . وهذا امتياز خاص منح لهم . فقد رؤي ان من الاوفق تلقينهم

المبادىء الدينية الحقة وغيرها من العلوم في لغتهم الوطنية .

حضر الامتحان عدد لا يستهان به من سكان القرية بينهم واحد او اثنان من ذوي الرتب العالية . وبينا كانوا يصغون الى الامتحانات ، بدا عليهم الاضطراب والانزعاج عند سماعهم عن دوران الارض ، حتى ان احدهم تحدث عن هذه المشكلة الى احد المرسلين .

تقع عبيه على المنحدر الغربي من لبنـــان على ارتفاع الفين وثلاثمائة قدم فوق سطح البحر . وتشرف على مشهد فسيح من المنحدر الغربي ومنظر شاسع الى بيروت . ويستمر المرتقى وراء القرية على مسافة نصف الميل او ثلاثة ارباعه الى قمة مرتفع حيث يشرف على وادي نهر الدامور وحوضه . وتوجد آثار خلوة ، وهي مكان مقدس للدروز ، على اعلى نقطة في المرتفع . ومن هنا تمكن رؤية شعب النهر الثلاث تجري نزولاً في اوديتهـــا العميقـة من الشمال الشرقي ، وتنبع قرب طريق دمشق . وعلى الطريق المؤدية الى دير القمر يعبرون النهر على جسر القـاضي الواقع تحت ملتقى الشعب الثلاث . ولا يوجد في هذا الوادي الكبير منحدرات كالتي توجد في نهر بيروت ، وكنا حيثما تطلعنا نرى تأثير جري النهر في الصخور الصلدة التي تأكلت تأكلاً عميقاً . اما منظر هــذا الحوض الواسع فأقل ظلاماً وانعزالاً من المنظر الذي شاهدناه في دير القلعة حيث تكثر الحجارة الرملية . وهنا يكثر الاخضرار ويقل الجرد . اما المنحدرات فقد سويت كلها على شكل جلالي ، فظهرت رؤوس الاودية القصيرة كالمدرجات الجميلة . لم نتمكن من رؤية دير القمر نفسها لانهـــا واقعة وراء قنة المرتفع المقابل ، وتشرف على اكثر شعب النهر الجنوبية . ولكنا رأينا قرية بعقلين

الكبيرة الواقعة قبالة دير القمر بانحراف الى الجنوب . امـــا في الشرق ، وراء قرية الباروك ، فقد ظهرت قمة لبنان العالية الشامخة كأنها قطعة واحدة ، وقد اطلق عليهـــا هناك اسم محلي (جبل الباروك *) .

بين عبيه وبيروت

رجعنا يوم الاربعاء الى بيروت على الطريق العادية ، وكان دليلنا القس المستر هويتين Whiting . وهذه الطريق تلتقي طريق دير القمر شمالي عين كسور على مسافة قريبة منها . اهتم الامير بشير بطريق دير القمر وأزال منها الحجارة فاصبحت اصلح للسير . اما الآن فقد جرفها السيل فاصبحت حجرة كما كانت قبلاً . امـا المرسلون الذين تقضي عليهم اعمالهم بالتنقل بين عبيه وبيروت حيناً بعد حين ، فيستأجرون الاولاد والبطالين في ربيع كل سنة لازالة الحجارة وترميم الطريق بكلفة قليلة . وهذه المصاريف التافهة لا تقاس بمـــا يربحونه من الوقت في كل مرة ، اذ يتوفر عليهم ساعة او ساعتان . وهكذا يعملون على طريق يحمدون اذ وجدوا الصفقة رابحة .

من عيناب سرنا بطريق شملان ، حيث توقفنـــا ساعة بضيـافة المستر سكُت Scott وهو صـاحب مؤسسة كبيرة لبرم الحرير على البخار ، وكان عاملاً على توسيع بناياته ليزيد في اعماله .

* المعرب .

والشرانق تشرى من سكان القرى المجاورة . وخلا ما تشتريه المؤسسات الانكليزية في الجبال ، تشحن كميات كبيرة من الشرانق الى فرنسا لبرمها هناك . تضغط الشرانق اولاً فتصير كالدائرة الصغيرة ، ثم توضع في الماء الساخن فتسترد حجمها الاول .

نزلنا من شملان ، في منحدر كثير الميلان ، الى عين عنوب على الطريق العامة . وتمر هذه الطريق بالقرب من سفح الجبل فوق دير يوناني ، لا شهرة له سوى انه مقرّ الكاهن فلامينيوس Flaminius الذي سافر الى الولايات المتحدة الاميركية منذ بضع سنين ليجمع المال ويبني مدارس لرعيته . وقد رجع منذ مدة طويلة ولم يظهر اثر للمدارس ولم يسمع بها احد . الى الشمال من كفرشيما يطل وادي شحرور من اسفل الجبال ، وهي مضيق عميق ، مشهور بجود مناخه وطيب ثماره ، ويكثر فيه التين والزيتون والعنب . وفي هذا الفصل كانت الساقية تجري غزيرة فيه ، ولكنها تجفّ في الصيف ، وتسمى قرب مصبها نهر غدير .

مررنا على قرية الحدث بعد ان عبرنا هذه الساقية ، فانحرفنا الى اليمين عن الطريق المباشرة الى بيروت لنتمكن من متابعة آثار القناة القديمة . فوجدناها ممتدة عبر السهل باتجاه بيروت ، اكثرها فوق سطح الارض ، واحياناً الى مسافة قصيرة تحتها ، وهي تشبه حائطاً من الحجارة الكبيرة المربعة ، يضم خطاً من الحجارة المجوّفة كالتي شاهدناها في دير القلعة . تابعناها قليلاً حتى المنحدر الخفيف في المرتفع الى الجنوب الغربي من المدينة . رأينا في امكنة كثيرة حجارة كبيرة اقتلعت حديثاً للبناء .

في بيروت

في اليوم التـالي ، الخميس الثامن عشر من ١٨ آذار ، أفتتح اجتماع المرسلين في بيروت . فحضر سائر المرسلين مـن مراكزهم في عبيه ، وحاصبيا ، وصيدا ، وطرابلس . وتخلّف واحد منهم عن الحضور . وصباح الجمعة وصل المستر فورد Ford من حلب ، والمستر مارش March من الموصل بعد سفر اثني عشر يوماً من حلب . وكانا في الاسبوع السابق معرضين للعاصفة في الطريق . فوصلا وقد بلل المطر ثيابهما . ووصل المستر شنيدر Schneider من عينتـاب بطريقه الى ازمير وقد اوشك الاجتماع عـلى الانتهاء ، تصحبه عائلتـه ، ثم ابحر منها بعـد فترة من الوقت الى بوسطن برفقة المستر مارش .

لا يسعني الاسترسال كثيراً في وصف اعمال الارسالية اذ ليس ذلك مما يعني كتابي هذا . وقـد تضمن التقرير السنوي لمجلس الوكلاء الاميركيين للارساليات الاجنبية للعام ١٨٥٢ وصفاً مختصراً لهذا الاجتماع العام ٢٣٦ . واكتفي بالقول ان الموضوعات الهامة ، التي طُرحت على بساط البحث في الاجتماع ، قـد بحثت بروح الاخاء المسيحي ، وكانت النتيجة اتفاق الاراء على توسيع دائرة العمل الجدي واستعداد كل فرد لتحمل مسؤولية ما يلقى عـلى عاتقه من مهام . ولا يسعني إلا الشعور بفائدة هذا الاجتماع ، بوصفي عضواً في مجلس الوكلاء في بلادي ، وان خمسة مرسلين من العشرة الحاضرين هم من تلاميذي الذين احبهم واعتبرهم .

في هذا الحين وصلتني رسالة تطفح محبة من القس الدكتور بركنز Perkins من الارسالية النسطورية ، يدعوني باسمه وباسم تلاميذ آخرين لزيارتهم في ايران ، ويقترح موافاتي الى الموصل ، لحراستي باجتياز الجبال الكردية . ولكن بما ان هذه الرحلة تستغرق لا اقل من اربعين يوماً ، فقد اجبرت على اجابته ان الهدف الوحيد من رحلتي هذه هو فلسطين ، وان الباقي من حياتي يجب ان يصرف في تدريب المرسلين في بلادي ، لا زيارتهم في مراكز عملهم .

فأنا أتقدم بالشكر الى الارسالية السورية كمجموع والى كل فرد من افرادها على ما اظهروه نحوي شخصياً من اللطف الاخوي وحسن الوفادة ، وعلى السرعة في تدبير الامر الذي جئت من اجله ، اذ حصلت على مساعدة ورفقة احد الاعضاء مدة رحلتي .

اما الموضوع الذي استرعى الاهتمام الكثير فهو الترجمة الجديدة للكتاب المقدس الى اللغة العربية ، وهو الآن قيد العمل برعاية الدكتور سمث يعاونه وطنيان . وقد كانوا وقتئذ على وشك ان يتمموا اسفار موسى الخمسة ، وطبعوا منها سفر الخروج كنموذج أرسل الى علماء في آسيا واوروبا لابداء ملاحظاتهم عليه وتصحيحه . فصدرت التعليمات من جمعية التوراة الاميركية بطبع الاسفار الخمسة ، وانتقل بعدها المترجمون الى العهد الجديد الذي أنجزت ترجمته . وقد رجعوا الآن الى ترجمة ما بقي من اسفار التوراة العبرانية . ولم تصدر اية ترجمة عربية برعاية مترجمين اكفاء احسن مما صدر . فبعد ان تثقف عميد المترجمين ثقافة دقيقة

في آداب الكتاب المقدس قبل سفره من اميركا ، سكن نحو ثلاثين سنة في الشرق ، ولم يتقن لغة الكلام العادي فحسب ، بل تثقف جيداً بآداب* اللغة العربية والمعاني والبيان وعلمي الصرف والنحو على اقدر المدرّسين الوطنيين ، وراسل مشاهير المستشرقين الالمان . كان احد المعاونين الوطنيين خريج كلية عين ورقة المارونية ، وقضى وقتاً طويلاً مع المرسلين ، وكان له المام واسع باليونانية والعبرية . اما الشخص الآخر الذي وُكل اليه امر التنقيح الاخير قبل الطبع فقد كان معروفاً بأنه اقدر لغوي ونقادة ثقة في سوريا . كل هؤلاء تعاونوا على اخراج ترجمة عربية ينتظر ان تكون احسن ما صدر منها حتى الآن .

في نيسان ١٨٣٨ حضرت الاجتماع السنوي للارسالية نفسها في القدس ، فقلت في وصف ذلك الاجتماع ان الجهود ، التي يبذلها المرسلون الاميركيون في الشرق ، ليست اجتذاب اعضاء الكنائس الشرقية الى البروتستانتية ، بل ايقاظ روح المعرفة والايمان فيهم ، لادراك حقيقة الانجيل ، وصفاء وبساطة الكتب المقدسة اصلاً . وقد كانوا يأملون ان عملهم هذا سيكون خميرة حتى تنتشر بين هذه الكنائس وتعمل على احيائها . ولكن منذ ذاك الحين طرأ تغيير يذكر على الحالة . فان ما لم يسعَ المرسلون الى عمله أجبرتهم عليه ظروف طارئة ، ولاسيما روح الاضطهاد الذي اظهرته الكنائس الشرقية ضد الذين يحضرون اجتماعاتهم ويسمعون مواعظهم . وقد زاد الاضطهاد وخصوصاً من قبل الارمن في اسطمبول وغيرهم ، ومن قبل الكاثوليك في حاصبيا . اما في سوريا فقد كانوا يعتبرون العمل مغايراً للقانون ، لوجود فتوى من المفتي الاكبر

باعتبار غير المسلمين كفرة بنظر القانون ، ولذلك فمن حق الجميع طلب الحماية والتساهل ، حتى في اعتناق المذهب الذي يختارونه [٢٣٧] .

وتحرجت الحالة في اسطمبول الى درجة استدعت تدخل السفير البريطاني ، فاصدر الصدر الاعظم رشيد باشا في ايلول ١٨٤٧، بناء على طلب اللورد كولي Couley ، امراً باعتبار الرعايا البروتستانت طائفة دينية مستقلة لها من الحقوق والامتيازات ما للطائفة المفضلة من الطوائف المسيحية في السلطنة [٢٣٨] . ولكن لا ينتظر من حكومة ضعيفة كهذه ان توقف الاضطهادات المشكو منها في وقت قريب ولاسيما في المقاطعات البعيدة ، ولو ان الشكاوى منها كانت تتصل بمسامع الباب العالي . ولم يكن في الامر الذي اصدره الصدر الاعظم ما يكفل استمرار العمل به في حالة تغيير اداري . وبعد ثلاث سنين ، في تشرين الثاني العام ١٨٥٠ ، بناء على تدخل السر ستراتفورد كانين Sir Stratford Canning ، أستصدر فرمان عادل من الحكومة وعليه الطغراء السلطانية موجهاً الى مدير بوليس الاستانة ، اعطى السلطان بموجبه الى الطائفة البروتستانتية في احوالهم المدنية سائر الحقوق التي تتمتع بها اقدم الطوائف المسيحية في السلطنة التركية . وقد اعتبرت هذه الوثيقة براءة تساهل وحرية المعتقد للبروتستانت من رعايا الباب العالي ، ولكن لم يتوقع احد ان يبدأ مفعولها قبل مضي عدة سنوات [٢٣٩] .

كانت مطالب روسيا الاخيرة وتعدياتها على الباب العالي جد موافقة لمصالح البروتستانت . ففي العام ١٨٥٣ اصدر السلطان خطاً شريفاً خاصاً ، اي فرمان ، بخط يده لسائر رعاياه من الطوائف

المسيحية واليهودية يضمن لهم حماية امتيازاتهم ويضعهم على قدم المساواة بالمسلمين في ممارسة العبادة العلنية . وقد استفاد البروتستانت من هذه الحظوة اكثر من غيرهم من الطوائف نظراً لقلة عددهم وضعفهم وتعرضهم للاضطهاد والازعاج . وهـــذه الوثيقة الاخيرة افضل من الاولى في الخصائص الآتية : ان السلطان كتبها بخط يده ، ووثيقة كهذه لا تعطى الا للاوامر المشددة وتبقى دائمة لا تتغير . كانت موجهة رأساً الى الوكيل العام للبروتستانت وليس الى مأمور تركي . اعلنتها الحكومة رسمياً في سائر انحاء السلطنة ، وارفقتها بفرمانات الى الباشاوات تفرض عليهم تنفيذها . وهكذا اصبحت البروتستانتية في تركيا موطدة الاركان بفضل هذه الوثيقة السلطانية الحاملة اسمى توقيع في الشرع الاسلامي [٢٤٠] .

وقدر عدد الارمن البروتستانت المسجلين العام ١٨٥٢ بالفين . اما عددهم في سوريا فغير معروف تماماً ، ولكنه لا يقدر باقل من نصف هذا العدد . ومن بين هؤلاء عدد كبير لم يدخل مطلقاً تحت سلطة المرسلين المباشرة .

لما تأكد المرسلون من تساهل الحكومة التركية وحمايتها تشجعوا وجددوا نشاطهم في ارمينيا وسوريا . فتأسست اللجنة الاميركية للكنائس الوطنية في بيروت وحاصبيا ، وعبيه ، وحلب . وأسست المشيخة الارلندية بالاشتراك مع اتحاد الكنائس الاميركية المجدّدة كنيسة في دمشق . واوجدوا مراكز منظمة للتبشير والوعظ في بعض القرى الكبيرة حول بيروت ، وعبيه ، وحاصبيا ، وصيدا . وكانت الدعوات ترسل اليهم بتأسيس مدارس ومراكز للوعظ في قرى مختلفة حيث اعلن السكان انتسابهم الى البروتستانتية او

كانوا على وشك الانتساب اليها .

اما الكنيسة الوطنية التي تأسست حديثاً في بيروت فهي منفصلة عن كنيسة الارسالية التي تأسست منذ تأسيس الارسالية في سوريا . وكانت كنيسة الارسالية مخصصة للعبادة للعموم بالانكليزية والعربية . وهي واقعة بموضع موافق قرب باب المدينة الجنوبي الغربي ، تشرف من الغرب على البقعة الواسعة الفسيحة خارج سور المدينة الجنوبي . وقد جهزت حديثاً بالمقاعد المريحة تبرع بها القنصل الاميركي والسكان الافرنج . وكانت اوقات الصلاة باللغة الانكليزية تقام يوم الاحد الساعة العاشرة والنصف قبل الظهر ويقوم بها المرسلون . وقد حضرت عدة اجتماعات منها فكان الحضور لا يقلون عن خمسين او ستين شخصاً اكثرهم من العرب الذين يفهمون الانكليزية . اما الصلاة باللغة العربية فكانت تقام مرتين في النهار : الاولى الساعة التاسعة قبل الظهر ، والثانية بعده . ويقوم بخدمة قبل الظهر احد المعاونين الوطنيين . ويقوم احد المرسلين بخدمة بعد الظهر . وفي اوقات الصلاة العربية كان يفصل بين الجنسين حسب العادة الوطنية ، فتجلس النساء في مكان منفرد يُدخل اليه من باب خاص ، امامهن ستائر مسدولة ، بطريقة تمكنهن من رؤية الواعظ . ويحضر الصلاة ثلاثون او اربعون رجلاً وعدد كبير من النساء وراء السجوف ، ودلائل الانتباه والخشوع ظاهرة على الحضور .

الكنيسة في الدور الاول الارضي من البناية التي تشغلها مطبعة الارسالية ، وفي غرفة كبيرة من الدور الثالث من البناية نفسها يعمل المترجمون . وفي هذه الغرفة نفسها كانوا يعقدون

جلسات الاجتماع السنوي . تطل نوافذ هذه الغرفة على منظر بهيج من المدينة والريف المجاور ولبنان من ورائها . وبالقرب من البناية تقوم المقبرة الاميركية وهي متصلة باملاك المرسلين . وفي زيارتي الاولى كانت المقبرة بجانب الطريق « بعيدة عن العمران » . اما الآن فهي محاطة بالبيوت . رأيت في زيارتي السابقة قبري بليني فسك Pliny Fisk والمستر ابوت Abbot قنصل بريطانيا السابق ، ولكن القبور زادت كثيراً منذ ذاك الوقت . وجدير بالملاحظة انه في فترة اربع عشرة سنة لم يدع الى راحته الابدية احد المرسلين المعينين في الحقل السوري ، خلا المستر هبرد Heperd الذي توفي في مالطة في الثلاثين من حزيران ١٨٤١ وهو بطريقه الى الولايات المتحدة . ولكن الكثيرات من نساء المرسلين انتقلن الى رحمته تعالى . وعلى الانصاب الوادعة تقرأ اسماء السيدات هبرد ، سمث ، ولكوت Wolcott ، روبصن Robson ، وغيرهن من دمشق . وبعد رجوعنا من القدس وقع نظرنا على قبر جديد للآنسة هويتلسي Whittlesey ، وهي معلمة في مدرسة الارسالية الداخلية للبنات . اختطفتها المنية بغتة في اثناء غيابنا بعد ما اصبحت مضطلعة باللغة وكفوءاً في عملها الذي كرّست له حياتها . ويضاف الى هذه اللائحة الحزينة اسم القس جورج ب . هويتين George B. Whiting وهو من اقدم اعضاء الارسالية وقد توفي في بيروت بالهواء الاصفر في الثامن من تشرين الثاني ١٨٥٥ . كان رجلاً طيباً ، ومرسلاً غيوراً ، حكيماً في مشورته ونصحه ، اميناً وحازماً في عمله .

وهنا ايضاً دفن عدد كثير من الضباط والبحرية البريطانية ،

ضحايا حرب ١٨٤٠ . وبين هذه الاجداث اذكر جدثا له اهميته الخاصة ، وهو المقر الاخير لـ Lieut. Dale الضابط الفني الثاني في البعثة الاميركية الى البحر الميت والاردن . فقد اجهد نفسه كثيراً في اعمال المسح والتخطيط وانهكه الحرص على اتمامها ، فاعترته اعراض حمى عصبية حال رجوع البعثة الى بيروت . ولكنه تمكن من الوصول الى مصيف الدكتور سمث في بحمدون حيث توفي في الرابع والعشرين من تموز ١٨٤٨ عن واحد وثلاثين عاماً بعد ان غالب المرض احد عشر يوما . كان بهي الطلعة ، دمث الاخلاق ، وانتخب لهذه المهمة نظراً لخبرته كمهندس في البحر والبر . تعرفت اليه في نيويورك قبل سفره ، ولم يدر بخلدي انني سأزور قبره على هذا الشاطىء البعيد . وقد اقام له احد اصدقاء عائلته نصباً بسيطاً حيث ووري الثرى [٢٤١] .

كانت يقظة العرب الفكرية في طلب المعرفة نتيجة غير مباشرة ، ولكن طبيعية ، لاعمال المرسلين في هذا القطر . فقد كان من تأثيرهم ان تألفت في بيروت جمعية العلوم والفنون الوطنية . تألفت في مطلع العام ١٨٤٧ ، بمعاضدة بعض المرسلين ، بناء على الحاح بعض الوطنيين الاذكياء ولاسيا الشبيبة الراغبة في تحصيل العلوم والتقدم العقلي . والقليل منهم تعلموا في مدرسة الارسالية . يجتمعون مرتين في الشهر فيتبادلون الاخبار العلمية ، ويقرأون الصحف . ويتباحثون في المسائل المطروحة ، وغالباً ما يلقون الخطب . وقد جمعت الجمعية في سنتها الاولى مكتبة حوت اكثر من سبعماية وخمسين مجلداً بينها خمسماية وسبع وعشرون مخطوطة عربية وتركية ، ومئتان وتسعة وعشرون كتاباً مطبوعاً في لغات مختلفة . ومن

بين المخطوطات خمسماية واربع عشرة مخطوطة اشتُريت مجموعة واحدة بلغ ثمنها سبعة آلاف قرش او نحو مئتين وثمانين دولاراً اكثرها قديم جداً ، يرقى بعضها الى سبعة قرون او ثمانية . وهذه المجموعة كانت تخص عائلة من الاشراف حط عليها الدهر، فأجبرت على بيع مكتبتها . والمجموعة غنية بالفقه الاسلامي ، والقانون ، وكتب اللغة ، والمعاني والبيان والمنطق ، والرياضيات ، والطب ، والتاريخ ، والفلسفة [٢٤٢] .

وكان من حسن حظي ان حضرت اجتماعين مدة وجودي في بيروت . ففي الاجتماع الاول كان النقاش حول « هل كل الناس اهل للتمدن ؟ » كان عدد الحاضرين كثيراً خلا الاعضاء ، وكان سائر المتكلمين وطنيين خلا واحد . اما من حيث الاسلوب فكلٌّ منهم وفى الموضوع حقه . وقد سمعت في جمعيات ادبية في لندن ونيويورك مناقشات اقل قيمة ادبية منها .

ويسرني بصفتي عضواً في الجمعية الاميركية الشرقية ان احمل تحيتها الى هذه الاخت الصغرى ، ابنة الشرق . واني ارجو واثقاً ان جهود هذه العصبة الصغيرة ستؤتي ثمارها وتكون اداة فعالة في ترقية الادب والفن الغربيين في سائر انحاء البلاد العربية .

وفي المرة الثانية كان الاجتماع مخصصاً لخطاب يلقيه مخايل عرمان المعلم الوطني الاول في معهد عبيه . وكان موضوع خطابه « تحسين العلوم الميكانيكية في سوريا » . وقد اسهب الخطيب في الكلام على علاقة هذه العلوم برقي الحياة الاجتماعية . واكد ان الاكثار من المدارس والجمعيات الادبية والتعليم الديني وتعليم الجنس اللطيف ، افعل الوسائل لانتشار هذه

العلوم . ومخايل شخصية معروفة من البيروتيين . وهم يعلقون عليه امالاً كباراً في حياته العملية المقبلة . وقد ازدحمت قاعة الاجتماع بالمستمعين ازدحاماً خانقاً مما لم يعهد له مثيل من قبل في اجتماعات الجمعية .

وقد تألفت عدة جمعيات ادبية على غرار الجمعية المذكورة من شبيبة ناهضة ماضية في طلب العلوم والبحث والتنقيب، ولم يكن للمرسلين يد في تأليفها . اما اعضاء هذه الجمعيات المختلفة فاكثرهم من المسيحيين .

ولما كانت بيروت مرفأ دمشق الرئيسي ، فقد كانت ايضاً مقر القناصل الاجانب ومزاراً للسياح . وهذا ظاهر من ازدياد عدد الفنادق . واكبر هذه الفنادق لوكاندة بلفادار Locanda Belvedere ، وهي واقعة على الشاطىء على مسافة نصف ميل او اكثر الى غربي المدينة . وكان انتظام سير البواخر في المتوسط سبباً لتسهيل السفر الى الشرق والتأكد من مواعيده مما زاد كثيراً في عدد السياح . ويقال ان عدد الذين يمرون في سوريا كل سنة لا يقل عن خمسين الى مئة من الولايات المتحدة وحدها . وقد لوحظ ان في الثلاث السنين الاخيرة فاق عدد السياح الاميركيين زملاءهم الانكليز. ذهبت لزيارة صديق لي في الفندق، فالتقيت مرافقنا القديم كومي Komeh الذي رافقنا من مصر الى بيروت العام ١٨٣٨ ، وقد اصبح بفضل توصيتنا به معروفاً من السياح . وهو الآن برفقة رجل اسكوتلاندي ، وقد تعلم قليلاً من الانكليزية فأصبح يفضل مرافقة السياح كترجمان . لم تتغير هيئته ، ولم تزل انكليزيته غير واضحة تماماً . لم يعرفني اولاً ، وحين هممت بالانصراف

رجاني اعطاءه توصية تنفعه في مهنته . وبعد مضي شهرين ، وكنا بالقدس، جاء برفقة كاهن انكليزي من مصر، ويقال انه كان يتقاضى منه خمس عشرة ليرة انكليزية يومياً طيلة الرحلة ، وهذا يشمل (كما قيل) اجرة جمل او اثنين علاوة في الصحراء لنقل الماء لغسل ولده .

اني مدين للقنصل الاميركي ج . هوسفورد سمث G. Hosford Smith وعائلته الكريمة لما شملوني به يومياً من اللطف والخدمات . كان المستر سمث موضع ثقة المرسلين واحترامهم . وكان لطفه واهتمامه بالسياح العديدين من ابناء بلاده مدعاة لاحترامه وشكره . ولا اخالني بحاجة الى وصف ما يتمتع به من نفوذ لدى الحكومة المحلية والشعب لما يتصف به من الحزم والمروءة والشهامة في تصريف مهامه الرسمية ، وهذا مما يعرفه الجميع ويقدرونه حق قدره .

كذلك قدم لي المستر مور Moor قنصل بريطانيا العام كل المساعدات الآيلة الى تسهيل مهمتي . واتأسف اني لم افد من لطفه ، لان بعض الاصدقاء هيأ لنا كل ما نحتاج اليه . قابلت القنصل البروسي المستر وبر Weber مراراً ، وهو من اقرباء المرحوم الدكتور شولز Schulz ، القنصل البروسي سابقاً في القدس الذي توفي هناك منذ بضعة اشهر في خريف ١٨٥١ . وفهمت منه انه لم توجد وثائق او ملاحظات بين اوراق شولز عن رحلاته وملاحظاته في الارض المقدسة ، لان كل ما كتبه عن الموضوع أرسل الى المانيا قبل وفاته . تعرفت الى المستر بلاك Black وهو تاجر بريطاني مقيم في بيروت ومن اقرباء المستر تومسون عن

طريق الزيجة ، وهو واسع النفوذ وصرّاف الارسالية الاميركية في بيروت ودمشق . وتعرفت ايضاً الى الدكتور بودلين Paudlin من دمشق ، وكان راجعاً من رحلة الى القاهرة وسيناء . وزارنا الدكتور بورتر Porter من دمشق بعد بضعة ايام ، وانا مدين له بكثير مدة وجودي في دمشق .

كنا اتفقنا على ان يرافقني الدكتور سمث الى القدس ، فنسير على طريق لبنان الجنوبي والجليل ، وعلى طول الحد الغربي لآكام السامرة واليهودية ، ثم نرجع شرقي هذه التلال الى بحيرة طبريا فحاصبيا . فقررنا ان نسافر على مهلنا ونعرج عن الطريق للبحث عما له اهمية في طريقنا . ثم يصحبني المستر تومسون من حاصبيا . وبعد ان استكشف واياه سهل الحولة واقليم بانياس وهوّة الليطاني الوعرة ، نذهب معاً الى دمشق . ومن هناك اقترح الدكتور دي فورست الذهاب معي الى البقاع فبعلبك او ابعد شمالاً . ولكن وفاة الآنسة هويتلسي احبطت هذه الخطة اذ القت على عاتق سمث مهام ادارة مدرسة البنات الداخلية ، فحل محله القس المستر روبسن من دمشق .

كاد فصل الربيع يقارب النهاية ولكن الامطار المتأخرة لم تنقطع ، والدكتور سمث الذي تقرر ان يكون رفيقي في السفر كان يقاسي آلام حمى مبرحة اقعدته اكثر الوقت عن حضور جلسات الاجتماع السنوي . ولو أوتيت علم الغيب فعرفت اسباب هذا التأخير عندما كنت في ازمير ، لكنت اخرت سفري الى سفر الباخرة التالية وزرت الاستانة ، او كنت ذهبت الى القدس ورجعت قبل اجتماع الارسالية ، ولكنت صرفت وقتي في عمل

اكثر فائدة . ولكن كل هذا كان غير مستطاع الآن مع ان المسافة لا تزيد عن مئة وخمسين ميلاً وهي تستغرق ستة او ثمانية ايام . وهنا يظهر الفرق الشاسع بين الشرق والغرب . فهذه المسافة تقطعها البواخر السريعة كل ليلة بين نيويورك وألبني في ثمـاني ساعات ونيف ، وفي القطر الحديدية يومياً بخمس ساعات او ست . اما مسافة مئتين وعشرة اميال بين لندن وليفربول فقد قطعتها مؤخراً بخمس ساعات وربع الساعة . وهكذا تكون ايام السفر في الشرق تقدر باقل منها ساعات بالحصان الحديدي .

كان اجتماع الارسالية يستغرق اسبوعاً في السابق ، ولكن هذه السنة حدد باسبوعين ، وكان اليوم الاخير لانعقاده مساء الاربعاء الواحد والثلاثين من اذار . ولا مجال للاسف عـلى التأخير عن السفر لان الجو لم يزل متقلباً .

لم يطل بنا الاستعداد للسفر كثيراً لان اضطرار المرسلين الى السفر سنوياً، يجعل ما يحتاجون اليه في رحلاتهم دائمـاً جاهزة . قرر الدكتور سمث ان يأخذ خيمته الكبيرة معه وهي تشبه تلك التي استعملناها في رحلتنا السابقة ، مع ما يحتاجه كل منـا من الفرش والاغطية ، مع قطعـة كبيرة من الخيش المدهون لبسط الفرش فوقها ليلاً وطيها نهاراً . وكان كل من رافقني في رحلاتي يصطحب معه خادم العائلة لطهي الطعام وشراء المؤونة واراحتنا من المساومات المختلفة على الطريق . استأجرنا شاباً آخر من عبيه اسمه بشاره مبرهن على امانته فأبقيته برفقتي .

كان كل رفاقي يملكون خيولهم ، ففضلت ان اشتري حصاناً ، وأخفف عني استئجار الخيول وتغيرها اذ كان بامكاني الحصول على

حصان قوي . استأجرنا حصاناً لرشيد رئيس الخدم ، ليضع مؤونة يومنا في الخرج . وهذه الطريقة مكنتنا من التجوال وتغيير الطريق ، تاركين الحيوانات التي تنقل امتعتنا تتقدمنا الى حيث نبيت ليلتنا . وقد وجدنا ذلك جد ملائم . استأجرنا ثلاثة بغال ، مع ان اثنين يكفيان ، كي يتمكن بشاره من الركوب بعض الوقت ، فلا يأتي الليل وهو متعب ، ونحن احوج ما نكون الى خدماته . تسلم كل من الخدم الثلاثة بغلاً ، اثنان من عبيه ، والآخر من عرمون ، ماروني ودرزيان . واصطحب الماروني معه حماراً يركبه احيانا .

اما اوفق طريقة للسفر في سوريا في الوقت الحاضر فهي اصطحاب المسافرين مترجم من الوطنيين يحسن التكلم بالانكليزية او الفرنسية او الايطالية . فهو يحضر لهم المؤونة والخدم والخيم والفرش والحيوانات وكل ما يحتاج اليه المسافر لقاء اجر يومي يتفق عليه ، وهذا لا يقل عن ليرة انكليزية لكل شخص واحياناً اكثر .

وجدنا تكاليف هذه السفرة اقل منها في السفرة الماضية في ظل السلطة المصرية . فقد كانت اجرة رئيس الخدم نحو خمسة دولارات في الشهر ، ونحو ثلاثة لمعاونه ، خلا الهدايا لهما . دفعنا اجرة عن البغل عشرة قروش يومياً (وكانت سابقاً خمسة عشر قرشاً) في السفر ، ونصف ذلك المبلغ في وقت الراحة . وكذلك مشترياتنا اليومية التي وكلنا بها خدمنا الوطنيين الذين نثق بهم ، وهم يعرفون البلاد جيداً ، كانت اسعارها معقولة ونتيجة هذا التدبير . فكانت تكاليفنا اليومية اقل من ليرة انكليزية لكل الجماعة .

لم نأخذ معنا سلاحاً ، ولم نشعر بحاجتنا اليه . كان مع كل منا حُك * شملبلدر Schmalpalder سجلنا بواسطته اكثر المواقع ودرجاتها . وكان معنا ايضاً بيكار جيب ومقياس من الشريط وميزان حرارة ، ولكن لم يكن معنا بارومتر (مقياس لضغط الهواء وثقله) . واما القياسات المسجلة بميزان ضغط الهواء فهي من اعمال الدكتور دي فورست . وخلا الكتب المذكورة في كتاباتي السابقة فقد اخذت معي القسمين الاولين عن فلسطين لرتر Ritter ، واما القسم الثالث فقد اعطانيه المؤلف قبل ان ينشره وهو ينتهي بوصف عكا .

وكنا مجهزين تماماً بالخوارط الحديثة المضبوطة ، بينها خريطة الطريق التي تسلكها بعثة البحر الميت ، ولكننا وجدناها كلها ناقصة عما شاهدناه في البلاد التي مررنا بها .

وبمساعدة سعادة ج . ب مارش Hon. G. P March السفير الاميركي وقتئذ بالاستانة حصلنا على فرمان شاهاني في رحلتنا هذه . وكانت العادة ايضاً ان يأخذ المسافر تذكرة من السلطة في بيروت ، تشمل اسماء الخدم والبغالين . وقد استحصلنا من جمرك بيروت الذي تمتد سلطته الى سوريا ، على وثيقة تعفينا من تفتيش امتعتنا على ابواب المدن التي ندخلها . وهذه الاوراق كانت كافية لكل شيء . ولكن في عكا والقدس استحصلنا على بيولوردي من الباشا في كل من المدينتين ليكون كل واحد منها مسؤولاً

* الحك ابرة المغنطيس تتجه دائماً الى الجهة الشمالية ، وتهدي الى معرفة الجهات . — المعرب .

عما يحدث لنا ضمن حدود ولايته .

تابعت الحكومة التركية نظام البريد الذي ادخلته الحكومة المصرية الى سوريا مدة الاحتلال المصري ومدّدته . يسافر البريد في الوقت الحاضر بين بيروت والقدس بطريق يافا مرة في الاسبوع . ويسافر بريد آخر شمالاً اسبوعياً الى طرابلس فاللاذقية وحلب . اما الاتصالات مع دمشق فتجري مرتين في الاسبوع . ومن حلب الى عينتاب يسافر البريد براً عبر آسيا الصغرى الى الاستانة وازمير . وهكذا يكون تبادل المراسلات سريعاً ولا يكلف كثيراً .

وفي زيارتي هذه كانت تصل الى بيروت سفينة نمساوية من ازمير كل اسبوعين ، وتبحر منها بعد ثلاثة ايام او اربعة . وكانت باخرة فرنسية تأتي من الاسكندرية ثم ترجع اليها مرتين في الشهر . وتظل هكذا الى منتصف الصيف حيث تغير مواعيدها . وهذا الخط الفرنسي كان يسافر بين الاسكندرية وازمير كل عشرين يوماً ويعرج على بيروت وغيرها من المرافىء السورية . واستمرت سفينة بريد انكليزية تسافر بين الاسكندرية وبيروت مرة في الشهر الى ربيع تلك السنة ، ثم توقفت .

من بيروت الى عكا

بطريق الجليل

قررنا ان نترك بيروت يوم الاثنين الخامس من نيسان ١٨٥٢ . في صبيحة ذلك اليوم وصلت الباخرة الفرنسية قادمة من الاسكندرية تنقل رسائل واخباراً من اوروبا والعالم الجديد . ارسلنا بشاره مع البغال والامتعة الساعة الحادية عشرة . وعزمنا على ضرب خيمتنا في النبي يونس .

تركنا بيت الدكتور سمث الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وعرّجنا لوداع الاصدقاء ، ثم سرنا على طريق صيدا . في اثناء عبورنا التلال الرملية لفتت نظرنا التجعدات المتماوجة التي تركتها الريح الخفيفة على الرمل وهي تشبه البحر في هدوئه . الرياح العاصفة تحمل الرمل موجات متتابعة ، واحياناً ترفعه فيملأ الهواء . وصلنا نهر غدير المنحدر من وادي شحرور الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين ، وهو الآن طامٍ يهدر وسط الرمال . ولكنه يجف في اواخر الفصل . الساعة الثانية والدقيقة العاشرة وصلنا الى دكان القسيس المهجور الذي عرجنا عليه في طريقنا الى عبيه . تطلق كلمة دكان على المحطات الصغيرة او الحوانيت المنتشرة على الطريق حيث يبتاع المسافر حاجته من الطعام والعلف وغيرها ، وذلك تمييزاً

لها عن الخانات الكبيرة . وعلى مسافة بضع دقائق كان امامنا نهر اليابس وهو الآن جاف . وهذا النهر يعتبر الحد الجنوبي لراس بيروت ، ونهر الموت حده الشمالي . كانت قرية برج البراجنة عن يسارنا في السهل المنخفض ، وقرية الشويفات الكبيرة في اقسامها الثلاثة في سفح الجبل .

وصلنا خان خلدة الساعة الثانية والدقيقة الخمسين ويطلق عليه اسم هلدوى في دليل المسافرين بالقدس . هنا بنايتان او ثلاث (دكاكين) ، ولكن واحدة منها مأهولة . وتقدر المسافة من بيروت بثلاث ساعات بغلية (على البغل) . فحصنا النواويس الكثيرة الموجودة على بضع دقائق وراء التلة عن اليسار ، فاذا بها تشبه تلك التي شاهدناها على طريق عبيه ، سوى ان اغطية هذه اكثر احكاماً وتقفل على اخاديد ، واكثرها منحوتة من الخارج وخالية من النقوش . والظاهر ان هذه البقعة كانت المثوى الاخير لسلالة شريفة ، ولكن لم يبق من تاريخها اثر يستدل منه على شيء راهن .

استأنفنا السير بعد عشر دقائق فوصلنا دكان الغفر الساعة الثالثة والدقيقة العشرين . الى الشمال منه ، الوادي الذي يأتي من عبيه ويصب في البحر في مكان ناتىء ، ولكنه الآن جاف . كنا نشاهد في سيرنا قرى واديرة منتشرة على جوانب لبنان . مررنا على مسلم منصرف الى صلاته بجانب الطريق . الساعة الرابعة توقفنا خمس دقائق لنسجل المواقع كما تُرى في الملاحظات ادناه [٢٤٣] .

الساعة الرابعة والدقيقة العشرين وصلنا الى نهر الدامور ، وهو من اغزر انهر لبنان في الشتاء . عبرناه قرب مصبه حيث سجلنا

المواقع ٢٤٤، فغمرت المياه بطون الجبل لشدة جريانها وطموّها. على النهر، اعلى من معبره، جسر عال قائم على ثلاث قناطر مهدّمة، وقناطر سليمة صغيرة على الجانبين. بعد عبور النهر تبتعد الطريق عن الرمل وتسير على جانب المنحدر المؤدي الى راس سعديّة في منتصف الطريق بين الدامور والنبي يونس، ولا تدل الخارطة التي لدينا على وجود راس آخر وراءه. على هذا الراس كان موقع بلاتانوم القديمة ٢٤٥. على مسافة طويلة عن جانبي الراس، آثار طريق رومانية قديمة تمتد من قرب الدامور الى النبي يونس تقريباً، يتخللها تقطّع قليل. بلاطها القديم تفتّت او انتزع فأصبح السير على سطح الصخر الذي تحتها، ولكن الجدار المبني على جانبيها لم يزل قائماً. وصلنا النبي يونس الساعة الخامسة والربع بعد مسير اربع ساعات وثلث الساعة، عوضاً عن ست ساعات وهي المسافة العادية.

ارسلنا الخدم امامنا من بيروت كي تكون الخيمة جاهزة فور وصولنا، فنخلص من الارتباك والانزعاج في نصب الخيمة قبل ان يداهمنا الليل بظلامه وحلكته. ولكن خاب ما املناه اذ انهم استسلموا الى اللهو على الطريق فأدركناهم ومررنا عليهم على مسافة قصيرة الى جنوب خان خلدة. لبثنا طويلاً بانتظارهم فأصبح من العسير علينا ايجاد مكان موافق لتثبيت اوتاد الخيمة في التربة الرملية. واخيراً تغلبنا على هذه الصعوبة وضربنا الخيمة ولجأنا اليها مطمئنين، نتناول اول وجبة حضّرها رشيد. ولما اختلينا بأنفسنا استسلمنا لذكريات الماضي البعيد القريب نفكر بما مرّ علينا قبلاً وما نحن عليه الآن، فغمرنا شعور غلاّب اخرجنا

هنيهة من عالم الحقيقة الى عالم الخيال . ها نحن في خيمتنا للمرة الثانية نصل ما انقطع من رحلتنا الاولى . ليست تلك التي اظلتنا طيلة الرحلة الماضية ، ولكنها شبيهة بها ومن الصعب التمييز بين الثنتين . وكذلك الامتعة وسائر حاجيات السفر ، ولكن عدة اشياء كانت هي اياها . فكان كل منا في الخيمة هو اياه كما كان سابقاً ، فكأننا نتابع رحلة بدأناها البارحة ، وكأن الاربع عشرة سنة التي تفصلنا عنها سحابة صيف لم تلبث ان انقشعت . رجعنا الى حقيقة ما نحن فيه فحمدنا الله وشكرناه اذ اتاح لنا بعد هذه المدة الطويلة متابعة ابحاثنا التي بدأناها معاً . اننا نعتبرها منحة سماوية سامية ان نتمكن من وصل حبل تحرياتنا في النقطة التي انقطعت فيها منذ اربع عشرة سنة .

هنا الجيّه او النبي يونس وهو موقع بورفيريون القديمة [٢٤٦] ، التي لم يبق من آثارها سوى ناووس قديم ضخم على عين القرية ، مزدان بنقوش مستهجنة في مقدمه ومؤخره ، يستعمل حوضاً . ولا يعلم السكان شيئاً من امره سوى انه موجود هناك منذ رأوا النور . وفي احد الازقة عمود من الغرانيت ، رمادي اللون طوله عشر اقدام . في برجا ، وهي قرية تبعد نحو ميلين في الجبل ، قبور حفرت في جبهة الصخر ، ابوابها عمودية مزدانة بالنقوش ، زارها رفيقي من قبل [٢٤٧] .

الثلاثاء ٦ نيسان . — لم يكن ما نالنا البارحة من الانزعاج من جرّاء تأخير الخدم في تحضير الخيمة ، هو المرحلة الاخيرة من القلق الذي يتربّص لنا في النبي يونس . المساء رطب منعش والحرارة داخل الخيمة ٧٢ درجة . منّينا انفسنا بليلة هادئة ونوم هنيء .

ولكن عصفت ريح شرقية بعد منتصف الليل ، وفي الساعة الثالثة اشتد عصفها فاقتلعت اوتاد الخيمة من التربة الرملية ورمتها علينا ونحن نيام . لم نبال كثيراً في بادىء الامر ، وجرّبنا النوم على هذه الحالة القلقة ، فمنعنا تلاعب الريح باطراف الخيمة ، فلم يكن لنا بد من النهوض . بدأت انوار الصباح من الشرق تشق حلك الليل ، فقررنا ان نستأنف السير باكراً بدلاً من اعادة نصب الخيمة . وهكذا كان . فتناولنا طعام الصباح على ضوء القمر الباهت المصفرّ الممتزج بانوار الشفق السنجابي ، ثم شددنا الرحال ، فكنا على الشاطىء الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة .

سرنا بعض الوقت على الشاطىء الرملي ، ثم صعدنا قليلاً على المنحدر الصخري . هنا ايضاً وقعنا على آثار الطريق الروماني الذي يمتد متقطعاً الى صيدا . وصلنا الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين الى راس جدره البارز بين خليج النبي يونس وخليج الرميلة الصغير . بعد نصف ساعة عبرنا وادي شحيم الجاف المنحدر من جون وعليه دعائم جسر روماني . الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا قرية الرميلة الواقعة على السلسلة الممتدة نزولاً والمنتهية براس يسمى راس الرميلة ، فألقينا نظرة على صيدا وهي بعد على مسافة ثلاثة ارباع الساعة . تركنا الطريق القديمة والحديثة المؤدية الى جسر الاولي واتجهنا الى الشاطىء . عبرنا النهر عند مصبه الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين لان الطريق على الجسر اطول منها بربع ساعة . والنهر هنا اغزر منه في الدامور ، ولكنه اقل غوراً واسرع جرياً مما يسهل عبوره . الساعة السابعة والدقيقة العشرين كنا على باب صيدا الشرقي .

صرفنا معظم النهار في بيت القس المستر تومسون (كان الدكتور فانديك وعائلته غائبين) الواقع داخل المدينة الى شمالي الباب قرب السور الشرقي الذي يشرف على ضواحي صيدا الخصبة، ويمتد النظر منه الى الجبال [٢٤٨]. تسلمه مهدماً، ولكنه رممه، فاصبح صالحاً للسكن، ولم تكن اكثر نوافذه مزججة بعد كما هي الحالة في بيروت. وخصّ الكنيسة بغرفة كبيرة منه ذات قبّة.

صرفنا الوقت في جمع المعلومات عن احسن الطرق التي يجب علينا سلوكها وعما يجب ان نبحث عنه في طريقنا اذ عزمنا على استئناف السفر بعد الظهر. ساعدنا في ذلك ابرهيم نخله وكيل القنصل الذي جاء لزيارتنا وهو الذي ورد ذكره في زيارتنا السابقة.

الآثار القديمة في صيدا وحولها قليلة. عدة اعمدة من الغرانيت منتشرة شرقي المدينة، وعمود ُجعل منه عتبة للباب الذي دخلنا منه. ويقال ان اعمدة كثيرة بنيت في جدران القلعة الجزيرية [٢٤٩].

ودعنا اصدقاءنا الساعة الثالثة واتجهنا شرقاً لزيارة نواحي لبنان الجنوبية الشرقية. شاهدت قبلاً مضايق نهر بيروت والدامور واحواضهما الداخلية. وأود الآن ان القي نظرة عامة على مضايق الاولي. ينبع الاولي من فوق الباروك ويسمى نهر الباروك الى ان يتحول غرباً في زاوية مستقيمة تقريباً. هنا ينضم اليه نهر جزين المنحدر من الجنوب من جهة معاكسة تقريباً، على شرقي شعبة جبل الريحان الشمالية الغربية. وهذه السلسلة تنتهي في الشمال

بنتوء عال يحتل الزاوية بين النهرين بعد اتصالهما، ويقع فوقه مقام النبي ميشي الولي المشهور . يطلـــق اسم الاولي على النهر الذي يتكوّن من اتصال نهر الباروك بنهر جزين ، ويجري بعض الوقت في بقعة خصبة رسابية هي مرج بسري . قررت ان ازور رويسات روم ، وهو راس صنوبري عال على مسافة قصيرة غربي نتوء النبي ميشي وجنوبي الاولي ، يشرف على واديه العميق وعلى نهر الباروك من اسفل مجراه الى اعلاه .

تنتهي سلاسل لبنـــان الغربية ومنحدره الغربي العظيم عند الاولي . وقمة الجبل العالية او سلسلته الفقرية الواقعة شرقي نهري الباروك وجزين تتابع امتدادها جنوباً ، ولو انها تنفصل الى سلاسل صغيرة ، فتكوّن قمتي نيحا (توأم نيحـا) وتواصل امتدادها فتنتهي اخيراً في جبل الريحان شمالي قلعة الشقيف بين نهر الليطاني ووادي الجرمق . ويطلق اسم جبل الريحـان على طرف لبنان الجنوبي كله الى الجنوب من كفرحونة ، ويشمل ايضاً السلسلة العالية او الصنارة الممتدة غربي نهر جزين .

والريف بين صيدا وجبل الريحان مدرج وغير مطمئن ، وآكامه مستديرة ، واوديته واسعة ، ولا جبال فيه . وتبتدىء الاودية العميقة بجانب الريحان وتمتد بينها سلاسل مرتفعة تكوّن نتوءات ضخمة من الجهة الامامية ، ثم تنخفض تدريجاً فتصبح بمستوى الريف .

بين صيدا والشقيف

بعد عشر دقائق من خروجنا من صيدا بدانا نصعد اول تلة

قرب قرية حارة صيدا . الطقس جميل ، والمنظر الى الجنوب شائق عبر الاراضي الخصبة ، حتى الآكام عند صرفند او صربتة [٢٥٠] . وصلنا القمة الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين فكانت قرية مجدل يون عن يميننا [٢٥١] . كانت الارض امامنا اكمية والتربة دلغانية مائلة الى البياض ، والظاهر انها تلائم شجر الزيتون . وهذا المنظر باخضراره الكثير يختلف كثيراً عن الاقليم الواقع الى الشمال . واصلنا السير فوصلنا الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة الى الحاجب الشرقي من النتوء نفسه وهو يشرف على سهل جميل وحوض ارض واقعين بيننا وبين الجبل [٢٥٢] . وهنا ابتدأ انحدار طويل ، ثم ظهر امامنا دير المخلص الكبير في الشمال الشرقي وراء الاولي [٢٥٣] . وبعد عشر دقائق من السير كانت قرية لبعه عن يسارنا الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين على الجبهة الغربية من واد عميق يجري فيه جدول يصب في الاولي جنوب بَقسطه . وصلنا الى جبهة الوادي المقابلة الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة [٢٥٤] ، ثم تابعنا السير في بقعة ترتفع تدريجاً فوصلنا الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين الى كفرفالوس حيث عزمنا ان نبيت ليلتنا . ضربنا خيمتنا وسط كرم من الزيتون الى حيث سبقنا البغالون [٢٥٥] .

كفرفالوس قرية كبيرة تظهر عليها دلائل النمو ، والارض حولها زراعية كما هي سائر اراضي الاقليم وقراه الكثيرة ، وتقع على اطراف جبل الريحان التي تمتد نزولاً بشكل آكام عالية ومنحدرة وسلاسل صخرية . وعلى مسافة فوقها تقع متاريس روم ، ورويسات روم المخروطية .

كان دليلنا في يومنا هذا واليوم الذي تلاه شاب ذكي من صيدا له معرفة تامة بهذه الناحية التي سنزورها لانه سكن فيها وعمل كاتبه في جباية الضرائب وغيرها من الاموال الاميرية .

قيل لنا هنا ان الزهراني هو الحد الجنوبي لاقليم التفاح وهذه القرية هي منه . اما شمال سنيك فيخص جبل الدروز ، ولكن سكانه كلهم مسيحيون خلا قرية حارة صيدا التي يسكنها متوالة .

الاربعا ٧ نيسان . — نعمنا بنوم هانيء هادىء ، فاستيقظنا نشعر بانتعاش ونشاط ، ولم يعكر علينا صفو الهدوء سوى صياح بومة كأنه الصفير لم ينقطع طيلة الليل . الصباح ينذر بالمطر ، والريح جنوبية غربية دلالة عــلى قرب نزول المطر ، والغيوم الدكناء المتقطعة منتشرة فوق الجبال والافق ، لكن بما ان فصل الامطار قارب نهايته فلم نتوقع سوى سحات متقطعة ، ولذا قررنا السفر .

سرنا الساعة السابعة فنزلنا سلسلة منخفضة بين راسي واديين الساعة السابعة والدقيقة العاشرة ٢٥٦ ، احدهما يجري الى سنيك في الجنوب الغربي ، والآخر وادي قربان يجري شمالاً على ٢٥ درجة غرباً الى الاولي . الطريق امامنا الآن صعداً في سلسلة عالية صخرية . وصلنا الى القمة وتحولنا الى الشمال الشرقي ، ثم هبطنا ثانية فمررنا على رقبة ضيقة بين واديين آخرين يجريان لينضما للاولين . وراء هذه الرقبة قرية عينان . لم نسر فوق السلسلة ، بل هبطنا صبباً شديد الانحدار الى بطن وادي شماس العميق الواقع عن يميننا ، فوصلناه الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين . مجراه جنوباً على ٣٠ درجة غرباً لينضم الى سنيك ، ثم صعدنا المرتقى المقابل ، فاذا بنا نعود الى طريق روم ، فنصل القمة الساعة الثامنة .

بدأ المطر ينهمر . وصلنا الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة الى زريبة (مراح) للماعز حيث توقفنا ساعة . وأينـــا زرائب كثيرة في طريقنا ، وهي عبارة عن فسحة كبيرة تحيط بها جدران من الحجر اشبه بالبيت ، علوهـا ثمـاني اقدام الى عشر ، يغطي قسماً منها سطح منبسط . لم نتمكن من دخولها مع خيلنا لانخفاض بابها ، فالتجأنا الى الحائط الشمالي العالي ندرأ عنـا المطر بمظلاتنا . رأينا ان المطر سيطول امره ، فسرنا الساعة التاسعة والدقيقـة الخامسة عشرة علنا ندرك روم فنلجأ الى احد بيوتهـا . الطريق اليها خربة ، والقسم الاخير منها يلتف صعداً حول جنوبي الاكمة المنحدرة المخروطية المبنية عليها روم . ترجلنا عن خيولنا بعد ان رأينا حصان الدليل يسقط الى الوراء وهو يتسلق سلسلة مـــن الصخور ، ولكنه لم يتضرر . وصلنا روم الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين ، وتوقفنا فيها ساعتين .

روم قرية كبيرة واقعة قرب القمة عـلى الجانب الشرقي من تلتها المخروطية . وتُرى هذه التلة بوضوح تام من صيدا ولا تمكن رؤية القرية . ثلثا سكانها مسيحيون وكلهم روم كاثوليك خلا ثلاثة او اربعة موارنة ، والباقون متاولة . عدد الذكور بين المسيحيين مئة وعشرون . أخضع المتاولة حديثاً لقانون الجـندية ، ولكن خرجت قرعة ثلاثة اشخاص فقط من الذين لا يكترث بهم احد في القرية ، وكان واحد منهم غائباً . هكذا كانت القرعة العسكرية في سائر انحاء الجبل كما فهمنا .

نزلنا في بيت احد المسيحيين وهو مـــن احسن البيوت في القرية ، موقعه على ارض منحدرة . الجبهة الامامية من الغرفـــة

الكبيرة يُدخل اليها بدرج ، بينما الجبهة الخلفية على مستوى الارض . الدور الاسفل من البيت اصطبل ربطنا فيه خيولنا . الدرج الخارجي ادى بنا الى دكة عالية امام باب الغرفة الكبيرة حيث استقبلونا . تتصل بهذه الغرفة غرفة اخرى لسكن العائلة او على الاقل النساء . سطوح البيوت في هذا الاقليم منبسطة . تبنى اولاً بوضع جوائز كبيرة على بعد بضع اقدام ، ثم فوقها روافد خشنة ، توضع عليها قضبان متلازة او اشذاب . ثم يوضع التراب او الحصى فوقها وتحدل حتى تقسو . والحدالة تعاد مراراً ولاسيما بعد المطر منعاً للوكف . ولذلك يستحضرون محدلة حجرية تُترك على السطح الذي كثيراً ما ينبت عليه العشب .

اما ارض البيت فيضعون عليها مزيجاً من الطفال والقش والنشارة فتتصلب ، ثم يصقلونها في الصيف بحجر املس ، ولكنهم يهملونها في الشتاء فتبدو قذرة وتكثر فيها الحفر . لا يوجد داخنة في البيت فيتسرب الدخان الى الخارج من الابواب او النوافذ . وليس للموقد مكان معين ، بل يكون في اية جهة من الغرفة ، وهو عبارة عن حفرة في الارض تشبه المقلاة او الحوض لحفظ الرماد ، على جهة منه توضع حجارة على شكل نعلة فرس مفتوحة من الامام يوضع عليها وعاء لغلي الماء . ويبسطون الحصر بقربه ، واحياناً سجادة مبالغة في الاحترام ، يجلس عليها الضيوف الاربعاء .

البيت الذي لجأنا اليه مسكن ملاّك قروي . في الغرفة عدة خوابي للزيت او الدبس [٢٥٧] ، وعدة اطباق مصفوفة فوق بعضها لتربية دود القز ، مصنوعة من قش وخثي البقر ، وخزانة للحبوب

يُعمل قالبها من الخشب ، يُصفّ بينه القصب ثم تُطيّن بالصلصال او الطين ، ويوجد ايضاً ركائس غليظة في انحـاء الغرفة لدعم السقف . لم يخل علينا البيت بالبراغيث وغيرها من الهوام كأكثر بيوت الشرقيين من سائر الطبقات .

استقبلنا صاحب الدار بلطف وبشـاشة ، واسرع في اضرام النار ، وعمل ما بامكانه لاراحتنا والترفيه عنا . واخبرنا ان بامكانه الحصول على بوند ونصف من اللحم في كل سنة (ما يعادل ثلاثة ارباع الكيلوغرام *) تقريباً . والمأكولات العادية هي الزيتون والعدس والعنب والبرغل والخبز الخ ...

كانت خطتنا لهذا النهار الذهاب من روم الى رويسات روم ، ثم نصعد ونسير جنوباً بجانب سلسلة جبل الريحـان العالية حتى نصل الى الطريق المارة فوقه من جزين الى جرجوع ، وننحدر من هناك الى جرجوع . ولذلك ارسلنا البغالين رأساً من كفرفالوس الى جرجوع ليكونوا بانتظارنا ، ولولا ذلك لبتنا الليلة في روم . في هذه الحالة لم يعد امامنا سوى سلوك اقرب السبل عن طريق جباع الى جرجوع . هدأ المطر بعد انتظار ساعتين ، فاغتنمنـا فرصة انقطـاعه واستأنفنا السير الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين . كانت وجهتنا اولاً شمالاً بشرق ، ثم جنوباً بشرق حول رؤوس اودية عميقة للوصول الى جناح جبل الريحان الغربي . عاد المطر الى النزول تصحبه ريح خفيفـة فلم نعد نتمكن من رؤية ما حولنا ، ولكن عند انقشاع الغيوم ، بين حين وآخر ، كنا نرى اننا سائرون حيناً على اعالي جوانب اودية كثيرة العمق ، وتارة

* المعرب .

نتسلق سلسلة جبل عابرين من راس وادٍ الى آخر، وطوراً على قمة منزلقات هاوية. اخطأ دليلنا الطريق لشدة الظلام والارتباك. وصلنا الى مفرق الطريق، ولسوء الحظ سرنا يميناً وتهنا فوق حرف جبل تكسوه اشجار الصنوبر، ثم انحدرنا حتى رأينا على تلة عن يسارنا قرية قيتولي التي تمر الطريق القويمة بقربها من الجانب الآخر. ولكي نتمكن من الوصول اليه يجب ان نعبر وادياً عميقاً شاقاً هو احد روافد سنيك. كان نزولنا سهلاً، ولكن المرتقى في الجانب الآخر شديد الانحدار، وفي مكان منه يستحيل على الراكب عبوره لان الممر الضيق يسير فوق سلسلة من الصخور الرملية ولا يمكن السير فيه لغير المشاة او الماعز. ترجلنا، ولكن شق علينا كثيراً حمل الخيل على تسلق الصخور. ولو لم نخطىء طريقنا لكنا درنا حول راس هذا الوادي. وصلنا القرية الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة، ولكن توقفنا قليلاً لنصطحب دليلاً يهدينا سواء السبيل، وكان المطر قد هدأ قليلاً.

نحن الان على طريق جباع، وقد اضرّت بها السيول كثيراً اذ احدثت اخاديد عميقة في الحجارة والتربة الرمليتين مما زاد في صعوبة السير واخطاره، ولذا كان تقدمنا جد بطيء. الطريق على حافة عالية من جبل الريحان فوق الاودية الكثيرة والاحياد الموصلة بينها. مررنا على قرية زحلته الصغيرة الساعة الثانية والدقيقة العاشرة، وهي على راس رافد آخر من روافد سنيك. وصلنا الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين الى راس وادي جباع وهو يجري عن شمال القرية ويتصل بوادي ملكي فوق جرنايا.

قيل لنا ان الواديين ، بعد اتصالهما ، يجريان الى سنيك . هنا بدت لنا جباع واقعة على اكمة واسعة منعزلة تحيط بها اودية عميقة خلا رقبة ضيقة الى الشرق تربطها بجبل الريحان . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة كنا على الرقبة مقابل القرية ، لكن مررنا عليها على بعد خمس دقائق عن يميننا . الى الجنوب واد قصير يجري الى وادي ملكي . الاكمة الواقعة عليها جباع محروثة جيداً وتكثر فيها الاشجار المثمرة ، والارض مشبعة بالاخضرار والجمال . كانت الشمس تطل علينا حيناً بعد آخر من وراء السحب فنرى الجبال مجللة بالغيوم والمطر ، بينما السهول تحتها ترقص في اشعة الشمس والجو الجميل .

كانت جباع قبلاً قصبة اقليم التفاح ، وهي قرية كبيرة سكانها متاولة ، ولم يبق من الحصن او القصر الذي كان يسكنه المشايخ حكام الاقليم إلا الاطلال . كان القصر مشيداً على مرتفع بارز من التلة . اما حاكم الاقليم الحالي فهو تركي ومركزه الرئيسي الغازية . ويبلغ ارتفاع جباع ٢٤٨٦ قدماً كما دونه الدكتور دي فورست ، ومركزها عموماً صحي ، وموقعها يلائم مصطافي صيدا . لذلك اختارها السادة تومسون وفنديك مصيفاً لعائلتيهما العام ١٨٥٢ ، فرمما قسماً من القصر ، فأصبح صالحاً للسكن [٢٥٨] .

عشر دقائق من الرقبة المقابلة جباع اوصلتنا الى قمة السلسلة التي بعدها [٢٥٩] ، ووراءها راس وادي ملكي الذي يجري عن شمال صربا . الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين كانت مزرعة بيت الكركة الصغيرة عن يسارنا . تكثر في هذه الناحية من جبل الريحان اشجار الجوز الاسود . عاد هطل المطر ايضاً . الساعة

الثالثة والدقيقة الخمسين وصلنا طريق جزين جرجوع . وبعد خمس دقائق كنا في اعلى نقطة من الطريق بين جباع وجرجوع وهي على ارتفاع ٤٨٣٥ قدماً . وصلنا جرجوع الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة بعد ان عبرنا راس وادٍ آخر يجري الى الزهراني ، فالتجأنا الى بيت قروي كان بشاره تقدمنا اليه مع البغالين وجهز لنا غرفة واضرم النار . وهذه اول مرة نبسط سريرينا الخشبيين الخفيفين . لم تكن ثيابنا مبللة كما كنا نتوقع ، ولم يؤثر بنا تعرضنا للمطر والبرد .

الخميس ٨ نيسان . – كان الصباح غائماً مظلماً والمطر يهطل في فترات ، مع ان الريح انقلبت الى الشمال الغربي وانقشعت الغيوم قليلاً . عزمنا على البقاء حيث نحن لان الامطار وحّلت الطرق فأصبحت شاقة ، وهذه اول مرة تخوفنا فيها من المطر او تأخرنا بسبب رداءة الجو .

يبلغ ارتفاع قرية جرجوع ٢٤٨٦ قدماً ، وهي كبيرة ومزدهرة واحد الاماكن المشهورة في هذا القسم من الجبال . تقع على نتوء متسع او ظهر قصير من جبل الريحان ، وتمتد نزولاً الى الجنوب الغربي بين وادي الزهراني والوادي التالي من الشمال ، وتكوّن قسماً من الجدار الشمالي من هوة النهر الكبيرة ، وابعد قليلاً الى تحت ينضم الوادي الشمالي الى وادي الزهراني . سطح التلة متسع وكله محروث ولكنه غير مستوٍ وصخري ، وجوانبها تنحدر الى الاودية المجاورة . تحيط بالقرية بساتين التين والزيتون . وعدا الحقول المفلوحة توجد عدة بقاع من الحشيش اشبه بالمرج مما لم اره قبلاً .

كان المنظر من هذا الارتفاع فسيحاً متسعا ، وقد تمتعنا به كثيراً اثر انقشاع الغيوم بعد الظهر واليوم التالي . لم نعد نرى سلسلة الآكام الواقعة في الشمال غربي جبل الريحان بما فيها روم ورويسات روم وغيرهما . الاقليم في جهتيه الغربية والجنوبية مفتوح ومدرج ، وارضه زراعية متسعة ومتنوعة تملأها الحقول الخضراء الشاسعة . يمتد هذا المنظر من مصب الاولي الى راس الابيض جنوبي صور ، ويشتمل على اقاليم الخرنوب والتفاح والشقيف وبشاره والساحل ايضاً . ولم نتمكن من تمييز الاودية العميقة الضيقة والآكام المنحدرة والسلاسل الصخرية التي تقاطع سطح هذا الاقليم .

ولكن المنظر الاهم ، في موقع جرجوع ، هو المنظر الى الجهة الاخرى، الى هوة الزهراني الضيقة الموحشة . ينبع هذا النهر منذ القديم حول كفرحونه ووراءها ، وهي قرية على طريق جزين — حاصبيا الجنوبي ، ومن ثم ينحدر وسط هذه السلسلة الشمالية الغربية من جبل الريحان ويشق الجبل الى اسفله ، فيكوّن مضيقاً قل ان يوجد اعمق منه في لبنان واوحش . وعلى الجانبين ترتفع الجبال بانحدارها الى علو الفين او ثلاثة آلاف قدم فوق النهر تقريباً . وقد رأينا بعد ذلك ان الجبال الى الجهة الشمالية اكثر ارتفاعاً من سواها . صعّدنا ابصارنا في الشِعب الفسيح فرأينا القمم الصخرية حول كفرحونه ووراءها ، وقيل لنا انها تبعد ساعة ونصف او ساعتين . جوانب الجبل الجنوبي (ريحان) تكسوها انجم السنديان وغيرها من الاشجار القزمة . ينحدر النهر في هوته متجهاً الى الجنوب ٥٠ درجة غرباً ، ومقابل جرجوع يدور حول الزاوية المنحدرة

الماوية او برج جبل الريحان الجنوبي ، ويدخل في واد مستقيم يجري في خط قويم تقريباً الى الجنوب بجانب اسفل الجبل الغربي حتى الليطاني . هذا الوادي يسمى وادي الجرمق باسم قرية هناك ، وله على طول جانبه الغربي سلسلة منخفضة . وبعد عشرين او ثلاثين دقيقة من جريانـــه في الوادي يتحول الزهراني فجأة الى الغرب فيخترق السلسلة المنخفضة في شعب ضيق ويتابع طريقه الى البحر . مقلب الماء في وادي الجرمق يبعد خمس دقائق عن عطفة الزهراني هذه . تحت العطفة يوجد عدة ينابيع في الوادي وجدول يجري الى الليطاني . فكأن هـذا الوادي وجد في الاصل من اوله الى آخره ليستقبل مياه الزهراني ويصبها في الليطاني . ولكن يعترضه نتوء منخفض يوقف اتجاهه ويحوله غرباً . ويرتأي الدكتور دي فورست نقل نحو ثلاثين قدماً من التراب عند مقلب الماء ، فيتمكن الزهراني من الجري مستقيماً في وادي الجرمق الى الليطاني قرب جسر الخردلة . ثم يقول « ان هذا التغيير الفجائي في اتجاه الانهر يجعلها تجري في وهاد موحشة كأنها اخطأت طريقها ، فينوّع مناظر هذه الاقاليم الجذابة [٢٦٠] . »

على الجبل الشمالي فوق جرجوع بكثير مقام ولي يدعى النبي صافي . وعلى زاوية الجبل الجنوبي العالية المقابلة مقام ولي آخر اسمه النبي سجد . وكلا هذان يدلان على حدود الارض (معلمان) . سرحنا الطرف نزولاً في وادي الجرمق فاذا امامنـــا ملء العين قلعة الشقيف العظيمة قائمة وحدها على سلسلة جبل عن يمين ملتقى وادي الجرمق بالليطاني ، وتُرى بوضوح من سائر الجهات . موقعها من هنا جنوباً على خط مستقيم تقريباً . ويقع بينها وبيننـــا على السلسلة المنخفضة

غربي وادي الجرمق ، مقام الولي نبي علي الطاهر وهو ايضاً مَعلم . وعلى السلسلة نفسها الى شمال الموضع حيث يخترقها الزهراني تقع قرية عرب صالم الصغيرة . بعد ان صحا الجو وانقشعت الغيوم سجلنا مواقع عدة مهمة . موقع صيدا من جرجوع ٣١٨ درجة والمسافة المستقيمة تعدّ بست ساعات [٢٦١] .

كان البيت الذي شغلنا فيه غرفة في جرجوع اكثر حقارة من البيت الذي نزلنا فيه في روم ، فهو كسائر بيوت القرية مؤلف من دور واحد . دخلنا من الطريق رأساً الى غرفة العائلة وهي متصلة باصطبل ، وليس بينهما اي حاجز . زحفنا من باب وطيء او ممرّ الى غرفة اخرى ارضها اعلى من الاولى . مكثنا فيها يوماً وليلتين . في احد جوانبها باب كسيح يُصعد اليه بعدة درجات من الداخل يؤدي الى طريق آخر . والغرفة خالية من النوافذ ولا يتسرب النور الى داخلها إلا من الباب . في وسطها موقد يتسرب دخانه الى الخارج بواسطة ثقب في السقف ، ويوجد ايضاً تنّور للخبز ، وهو عبارة عن حفرة في الارض مغشاة بالفخّار يضرمون فيها النار فتحمو ، فيُلصق العجين على جوانبها ويُخبز . اطباق دود القز موجودة بكثرة ، وكذلك الخزائن للحبوب . السقف من النوع الدارج تسنده عضادات ضخمة . امطرت كثيراً في الليل فتسرب الماء الى غرفتنا . وفي الصباح المبكر سمعنا مضيفنا يحدل السطح ورأينا العمل نفسه على البيوت الاخرى . والماعز ترعى العشب النابت على سطوحها . وكل الماعز التي رأيناها الى هذا الوقت كانت سوداء ، طويلة الآذان متدليتها .

كان صاحب البيت فخّارياً يشتغل في بيته ، يزخرف جراره

بحلقات وغيرها من النقوش مما يدل على اتقان في العمل . اسعار الحاجيات مرتفعة في جرجوع ، والسبب في ارتفاعها يعود الى ندورتها من جهة ، ولاننا فرنجة من جهة ثانية . ولذلك اضطُررنا الى مشترى الشعير للخيل من قرية اخرى . دليلنا والخدم باتوا في الغرفة الاخرى مع العائلة . صرفنا الدليل من الخدمة وارجعناه الى صيدا .

جاء شيخ القرية وهو اخ صاحب البيت لزيارتنا ولتقديم احتراماته . كذلك فعل الخوري المسنّ البالغ الواحدة والسبعين من العمر . وهو متزوج وقد صرف خمساً وثلاثين سنة في خدمة القرية ، ولا يميزه شيء عن باقي رجالها سوى عمامته السوداء ولحيته الشائبة . نشأ حوله جيل كامل فلم يكلف نفسه تعليمهم حتى القراءة . لا توجد مدرسة في القرية ولا من يحسن القراءة قليلًا سوى اربعة او خمسة . عدد الذكور في القرية اربعة وتسعون كلهم روم كاثوليك ، وست عائلات متوالة . الآثار القديمة غير موجودة في القرية ، ولكن في الصخور فوقها نقرتان او ثلاث ربما كانت قبوراً .

صفا الجو قليلًا بعد الظهر ، فركبنا بهداية مضيفنا لزيارة ما اسماه الينبوع الدائم الاعلى للزهراني ، على بعض المسافة صعداً الى الهوة الكبيرة . هبطنا الى الشمال الشرقي بانحدار عظيم الى بطن الوادي حيث النهر الطامي يرغي ويزبد في مجراه وسط بقاع من العشب الاخضر تظلله اشجار الجوز السوداء وتؤنسه مطحنتان او ثلاث على ابعاد بجانب ضفته . جمعت هذه البقعة بين الجمال العذب ، واللطف والجلال الصاخب . صعدنا في الوادي فاصبح الطريق

اكثر مشقة . وصلنا الى مكان قُطعت صخوره لشق ممرّ بينها ، ورأينا ايضاً بلاطاً قديماً مثبتاً بملاط . فلم نتمكن من معرفة ما اذا كان طريقاً او قناة ، ولكن عرفنا اخيراً انه قناة . وصلنا الى الينبوع بعد سير خمس وعشرين دقيقة من القرية ، وهو ينبوع عظيم يندفع بشدة ويكفي ماؤه لقناة مطحنة . هنا وجدنا أخدوداً محفوراً في الصخر الصلد عرضه ثلاث اقدام وثمانية انشات وكذلك عمقه . طُيّن جانباه بملاطٍ وغُطي بحجارة جُبلت بملاط ايضاً ، مما يدل على ان الاخدود كانَ قبلاً مغطى . واخبرنا مضيفنا وغيره ان النهر يجف في الصيف فوق هذا الينبوع ، ولكنه يستمر في جريانه تحته .

تأثرنا في ايابنا مجرى القناة على مسافة طويلة في المنحدر الهادي فالفيناها محفورة في الصخور تارة ، وطوراً مبنية بالحجارة من جهة واحدة ، وارضها مبلطة بطبقة او طبقتين ومثبتة بالطين . تابعنا سيرنا بجانب المنحدر تحت القرية فكنا نرى القناة تتغلغل في اخدود حول صخر بارز منحدر بعيد الى الجهة السفلى ، ثم تدور الى الشمال الغربي فترجع الى سطح الارض كالسابق . في مكان ما من الحقل جنوبي القرية وجدنا بقية الحائط القديم الذي بني للقناة بوجه القسم المنحدر من التلة . اما مجرى القناة الباقي فقسم منه كان معروفاً حتى كفر ملكي على الطريق المستقيم من صيدا الى جباع ، على مسافة ساعة وربع من جباع . وبعد بضعة اسابيع مرّ الدكتور دي فورست على هذا الطريق فوجد على التلة ، شرقي كفر ملكي ، قعر مجرى الماء القديم مطيناً ، ورأى ايضاً المكان حيث رفعت القناة حول قمتي اكمتين ، ثم على قناطر فوق مضيق

عميق على مسافة نصف ساعة او اكثر شمال غربي جباع . ولم تزل اسس هذه القناطر ظاهرة للعيان ٢٦٢ .

ومع ان آثار هذه القناة الممتدة اكثر الى الغرب كانت معروفة سابقاً ، فأنا لم يسبق لي ان عرفت باكتشاف بدايتها عند الينبوع في مضيق الزهراني . فقد تكون بنيت لتوصل مياه الشرب من هذا الينبوع الى صيدا . وكانت مياه الاولي القريبة الغزيرة تُنقل بقنوات الى صيدا للري ، وهم حتى الآن يعتبرونها غير صالحة للشرب ، والعائلات في المدينة تُموّن بالمياه من ينابيع تبعد ساعة او اكثر . والماء من رأس الزهراني هذا غزير وصالح للشرب .

في ايابنا صعدنا الى القرية من الجنوب فأفضت بنا الطريق الى نبع القرية الكبير الذي ينبع على بعض المسافة تحتها . ومررنا على البيادر حيث المنظر رائع ولطيف .

وبينما نحن منهمكين في تتبع آثار القناة جنوبي القرية ، ارشدنا دليلنا الى لوحة من الحجر الرملي ملقاة في حقل محروث ، قال انها وجدت في القناة الصيف الماضي . طولها تسعة وعشرون قيراطاً ، وعرضها اربعة عشر قيراطاً ، نُحت عليها شكل جد بارز لرجل يرتدي قباءً ، لا يلصق بالصخر منه غير ظهره . والرأس بارز وحده فوق الحجر ، ولكنه كُسر وقت الحفر قبلما عرفت حقيقته . في اعلى اللوحة على الزاوية اليمنى كتابة يونانية ناقصة ، ولكن يُرتاب في صحة الاحرف الصغيرة .

(ثمانية اسطر او كلمات يونانية باحرف كبيرة وصغيرة) .

ويظهر ان الجانب الايمن في اعلى اللوحة كُسر فعُطل قسم

من النقش . ساومنا على اللوحة واتفقنا على ثمنها على ان ترسل للمستر تومسون في صيدا ، ولكنها لم تصله . ثم بعد ذلك عرضوا ان يرسلوها الى صيدا بضعفي الثمن المتفق عليه . وبما ان هذا الثمن يبلغ عشرين غرشاً فلم يكن من الصعب قبوله لو ان المستر تومسون كان في صيدا . وعلى كل حال فعمل مثل هذا يبرهن عن تناقض وعدم استقرار في اخلاق القوم .

الى قلعة الشقيف

الجمعة ٩ نيسان . — كان مطمع انظارنا اليوم زيارة قلعة الشقيف العظيمة، التي كنا نراها بوضوح تام على بعد اكثر من ثلاث ساعات الى الجنوب . المسافة بين جرجوع والزهراني على الطريق المباشرة الشديدة الانحدار اربعون دقيقة ، ثم تسير عشرين دقيقة بجانب النهر الى المعبر حيث ينعطف النهر غرباً ، وبعدها بجانب وادي الجرمق الى أرنون . وقد سلك دي فورست بعد ذلك هذه الطريق نفسها ، ولكن بما ان النهر الآن طام والمعبر شاق ، فضلنا عبوره على الجسر الواقع على الطريق المؤدية الى النبطية .

تركنا جرجوع الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين ، فرافقنا شيخ القرية بعض المسافة سيراً على قدميه تأدباً منه ولطفاً . لم يكن نزولنا الى الجنوب شاقاً ولو انه كان طويلاً ومنحدراً . كنا نشرف على وادي الجرمق ونرى النهر في تحوّله غرباً الى هوّته الصغرى . وكان بطن الوادي يبدو كالحوض

الاخضر المطمئن المنبسط بين الصخور الشاهقة . في هذا الحوض توقف الدكتور دي فورست لتناول طعام الظهر « تحت ظلال اشجار الجوز الاسود وغيرها . وكانت جفنات العنب البري وغيرها من النباتات المعترشة تتأرجح من شجرة الى شجرة ، والانجم الصغيرة تغطي ضفافه . بجانب النهر مطحنة قديمة ، وفوقه جسر حقير معد للمشاة . والمنظر بجملته ريفي اخاذ . ويقع وادي الجرمق تحت هذا الحوض.

الساعة الثامنة كنا قبالة عرب صاليم الواقعة على ضفة الوادي الغربية المنحدرة الهاوية ، على ارتفاع نحو اربعماية قدم فوق الزهراني ، وعلى مسافة عشرين دقيقة الى شمالي عطفته وهوّته . وكانت قبتها الكبيرة البيضاء على مسافة عشر دقائق عن يسارنا .

تابعنا السير بانحراف الى اليمين وهبطنا المنحدرات اليمينية لوادٍ جانبي ، فوصلنا الى الزهراني الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين. يجري الزهراني هنا شمالاً على ٥٥ درجة غرباً . كان النهر وقتئذ طامياً ولكنه لم يكن بغزارة نهر الدامور عند مصبه ، وهو يجري مسرعاً في واد جميل نما الدفل على جانبيه . فوقه جسر حديث البناء ، لكنه حقير ، يبعد خمس دقائق نزولاً . والمسافة من جرجوع اليه تنيف على الف قدم .

الطريق الآن تصعد تدريجاً باتجاه الجنوب الى البقعة العليا المتدرجة . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين كنا مقابل تل حبوش الواقع عن يميننا ، ولكنا تحولنا عنه ، وتمتعنا بمنظر جرجوع الخلفي وبمنظر الجبل وراءها . تقع تلك القرية جلية على كتف السلسلة العالية (الريحان) الى شمال هوة الزهراني الكبيرة ،

فكنا نرى الطريق الذي سلكناه يوم الاربعاء تحت المطر المتساقط على طول المنحدر الهاوي في تلك السلسلة . اطلت علينـــا قمم لبنان العالية من وراء المضيق العظيم ومن فوقه . بينما في الجنوب الشرقي ، بدت قمم جبل الشيخ ، حرمون القديم ، المكللة بالثلج ، من وراء طرف جبل الريحـــان الجنوبي . هـذا منظر جانبي لقمتين اعلاهما القمة الشمالية الشرقيـة . الثلج منتشر على جوانب جبل الشيخ ، بينما لم نر شيئاً على رؤوس لبنان المقابلة . تبعد قرية حبوش مسافة ميل او اكثر ، باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي ولا توجد خرائب على التل [٢٦٣] .

رجعنا الى الطريق واستأنفنا السير الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين . ولم يطل الامر بالدليـــل حتى تحوّل شمالاً على طريق مباشرة الى الشقيف ، عوض ان يتبع طريق النبطيـة التي امرنا بغّالينا بموافاتنا اليها . مرّ بعض الوقت قبل ان ننتبه الى خطئنا ، ومرت عشر دقائق في رجوعنا وسط الحقول الى الطريق السوي . كان الريف متدرجاً واكثره محروثاً . وصلنا النبطيـة الساعة العـــاشرة ، وهي قرية كبيرة في وادٍ متسع فسيح خصب او حوض ارض تنزح مياهه للشمال الغربي الى الزهراني . والنبطيـة سوق تجارية يقـام فيها معرض كل يوم اثنين ، فيها خان كما يسمونه يشتمل على صفين او ثلاثة من القناطر الحجرية وطيئة وضيقة لا تكاد تغطي طول الحصان ، على نمط ظِلل (خيام) الخيل في انكلترا . في القرية بيتان فقط مؤلفان من دورين ، احدهما لشيخ اقليم بلاد الشقيف الذي كان غائباً في بيروت ، والآخر لفـلاح مثرٍ . ويقال ان للشيخ مجلس شورى مؤلفاً من اعضاء ينتسبون

الى مذاهب مختلفة . توقفنا هنا اكثر من ساعة لتسمير نعـال الخيل . البيطار شاب نشيط وحذق يتقن عمله ، وامامـه عدة احصنة تنتظر دورها . اما نهيق الحمير فلم ينقطع . تقع النبطيـة في منتصف الطريق بين صيدا وحاصبيا على مسافة ست ساعـات من كل منهما ٢٦٤ .

الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة سرنا على طريق مطمئن سهل ، باتجاه القلعة التي كانت امامنـا مباشرة على مسافة ساعـة ونصف . وبعد خمس عشرة دقيقة كنا مقابل النبطية العليـا ، وهي اصغر بكثير من النبطيـة السفلى وموقعها عن يميننا على ارض اكثر ارتفاعاً . على الطريق مقبرة حقيرة كانت الحيوانات المارة تطأ القبور المبعثرة فيها ٢٦٥ . وكنا كلما تقدمنا نرى الحقول والمراعي اكثر خصباً ، والارض مغطاة بالبرسيم والاقحوان وشقائق النعمان وغيرها . اما حرمون الشامخ بجلاله فلم يغب عن انظارنا . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة كانت بركة ماء عن يميننا ٢٦٦ . مررنا على عدة اشخاص مخيمين ، يراقبون خيلاً كثيرة معقولة ترعى . الساعة الثانية عشرة والدقيقة العشرين وصلنا ارنون قرب سفح السلسلة التي تقع عليها القلعة ٢٦٧ . وهـذه السلسلة تبتدىء من وادي الجرمق وتمتد جنوباً بغرب بموازاة مجرى الليطاني ، والطريق من صيدا الى حاصبيا تمر اكثر الى اليسار وتنحدر الى القسم الاسفل من وادي الجرمق ، شمالي السلسلة ، وهكذا الى جسر الخردلة . والمسافة من ارنون الى الجسر خمسون دقيقة .

قلعة الشقيف

ارنون قرية صغيرة بائسة لا يعرف اسمها الا المؤرخون العرب ، يستعملونه للدلالة على الحصن المجاور لها ، شقيف ارنون ، تمييزاً له من حصون اخرى تسمى الشقيف ، افل شهرة منه [٢٦٨] .
توقفنا لتناول طعام الظهر تحت شجرة ظليلة تحيط بها صخور متفرقة ، في صخرين منها نقرت نواويس بأخاديد للاغطية ، وأحد هذه النواويس مستدير عند طرفيه .
بين القرية وسفح السلسلة الواقعة عليها القلعة ، بقعة كالمرجة المنخفضة ، عرضها نحو عشر دقائق ، ثم يبدأ المرتقى الشديد الانحدار مباشرة . ركبنا الى الظاهرة في عشرين دقيقة من القرية . الصعود من الجنوب الغربي اسهل من اية جهة اخرى . في طريقنا الى فوق ، مررنا على حوض ربما كان للماء ، مبني من الجهة الامامية بناء متيناً بالحجارة والملاط ، والجهة الخلفية قدت في المزلج الشديد الانحدار . طلعنا جنوب غربي الحصن مارين بين خرائب قرية في تلك الناحية كانت سابقاً ملك القلعة ، محاطة بسور ذي برجين مستديرين . هنا مُهدت ظاهرة المرتفع على بعض المسافة ، وربما كانت ساحة لعرض الجيش . اما الآن فلم تزل ، في عزلتها ، مكاناً فخماً للنزهة . اقتربنا من الحافة الشرقية وتطلعنا فجأة وعمودياً تقريباً الى الليطاني في واديه الضيق على الف وخمسماية قدم تحتنا ، كما تأكد منها بعد ذلك الدكتور دي فورست . ارتفاع السلسلة

من الجانب الآخر فوق ارنون اقل من خمسماية قدم . اما ارتفاعها فوق سطح البحر فهو الفان ومئتان وخمس اقدام .

نحن الآن بين خرائب الحصن القديم الضخمة ، بلفور الصليبيين . المشهد حولنا جد فسيح وفخم . اما السلسلة المنفردة ، الواقع عليها الحصن، فجرداء تماماً ، وهي اعلى من كل السلاسل المجاورة والريف المتاخم ما عدا جبل الريحان . ويبرز الحصن مَعلماً واضحاً كل الوضوح ، ويُرى عن بعد شاسع من سائر الجهات . في الشرق تبرز مرتفعات حرمون المغطاة بالثلوج وتسمى احياناً جبل الثلج . وبين الشرق والشمال الشرقي ، على مسافة قصيّة ، تُطل قمة مغمورة بالثلج ، وهي اعلى قمة في انتي لبنان ، شرقي الزبداني . في الشمال الشرقي تقع العين على سهل البقاع ، وهو الوادي الكبير بين لبنان ولبنان الشرقي . وبين الشمال الشرقي والشمال ، شعاب لبنان الجنوبية او جبل الريحان ، تنحدر متهاوية متساقطة ، كأنها اجرام مظلمة ثقيلة تفصل بين الليطاني ووادي الجرمق وتملأ الفضاء كله حتى المفرق . ومن هناك على مسافة ساعة او اكثر فوق المفرق ترتمي بين الجنوب والجنوب الشرقي سلسلة جبل صخرية متسعـة اقل ارتفاعاً . وفي وسط هذه السلسلة يشق النهر مجراه بانحراف كثير في هوة عميقة مدهشة . وتنقسم السلسلة نفسها وراء الليطاني ، فتسير شعبة منها مع النهر وتكوّن الحائط الشرقي لواديه ، والجانب الغربي من مرج عيون ، والشعبة الاخرى تنضم الى السلسلة الواقعة شرق مرج عيون ، وتفصلها عن وادي التيم . كانت انظارنا تمتد عبر السلسلة الاولى فنرى السلسلة الثانيـة ، ونرى وراءها حصن بانيـاس الكبير . وفي الجنوب والجنوب الشرقي كانت الآكام

الاكثر ارتفاعاً غربي الحولة . امـا وادي الليطاني العميق تحت القلعة فهو « دردور هائل » راسخ هناك ، يقف حاجزاً منيعاً بين الاقاليم على جانبيه . وجسر الخردلة ، عند فم وادي الجرمق فوق القلعة ، هو احد المعابر المطروقة ، ولا يمكن رؤيته منها . للجسر قناطر حادة ، يحميه برج مبني عند طرفه الغربي لم يبق منه إلا آثار دارسة . تتابع السلسلة المبنية عليها القلعـة ومنحدرها الغربي امتدادها جنوباً ، ولكن بعد نصف ساعـة ينعطف النهر فجأة الى الغرب في زاوية مستقيمة تقريبـاً ، مقابل دير ميماس ، ويشق طريقه وسط السلسلة في هوة ضيقة متجاوزاً السلسلة والمنحدر ، ويستمر في جريه مبتعداً عنهما غير مكترث بما فعل . ويتابـع النهر جريانه في اخدود ضيق وعميق وسط هذا الصعيد حتى مصبة في البحر قرب صور باسم القاسمية . الانجم تغطي جانبي هـذا المنحدر ، والهوة بينهما جد ضيقة ، والارض عن جانبيه مطمئنة مستوية وغير متقطعة تخدع السائح ، فيصل فجأة وعلى غير انتظار الى حافة هذه الهوة الكثيرة الانحدار .

وفي الشمال وادي الجرمق ، يحجبـه من الشرق جبل الريحان العالي ، ومن الغرب سلسلة اقل ارتفاعاً منه ، ولكنها في الجانب الآخر تعلو قليلاً عن الصعيد الذي مررنا فيه . تحت مقلب الماء ، قرب زاويـة الزهراني ، يتسع الوادي الى سهل لا يقل عن عشرين دقيقة عرضاً ، وساعة او اكثر طولاً . وعلى عشر دقائق من مقلب الماء ينبوع في السهل يسمى نبع المدينة ، يخرج منه جدول صغير اسمه زريقين ، وبعد ان يجري خمس عشرة دقيقة الى تحت ينضم اليه جدول آخر يأتي من نبع شقه على جانب جبل الريحان .

وبعد ربع ساعة اخرى تقع قرية الجرمق القذرة ونبعها وجدوله في سفح جبل الريحان ، وأبعد الى تحت يضيق الوادي ويصير اكثر انحداراً ، ويستمر كذلك الى الليطاني . تقع طمرا ، وهي خرائب قرية حديثة ، في المفرق مباشرة وتبعد ساعة عن الجرمق وعشرين دقيقة فوق جسر الخردلة . وسائر انحاء الوادي خصبة ومحروثة وتكثر فيها المراعي ، ولكن يقال ان السهل غير صحي ، ويملكه مشائخ دروز من آل جنبلاط . ووادي الجرمق هو الحد الفاصل بين بلاد الشقيف وجزين في لبنان . وكذلك الزهراني يفصل بلاد الشقيف عن اقليم التفاح في الشمال .

كان منظر كتل لبنان الجنوبي او جبل الريحان الفسيحة المرتفعة مظلماً وعراً ، ولكنه فخم ، لانها تبدو محصورة بين الليطاني ووادي الجرمق . طرفه الجنوبي ينحدر تدريجاً الى مشعب الواديين . ومع تقدير او ترجيح وجود اراضٍ زراعية فيه ، لا توجد اية قرية صغيرة او كبيرة في كل البقعة جنوبي كفرحونة ، والمعتقد ان اكبرها هي الجرمق [٢٦٩] .

ها نحن ندخل الحصن . المدخل الرئيسي من الجنوب . هنا حوض ماء يتصل بالخندق . والخندق مقدود في الصخر الصلد على طول الجانب الغربي وطرف الحصن الجنوبي . اما باقي النواحي فلا يمكن الوصول اليها لانها غاية في المناعة . ظاهرة السلسلة ضيقة جداً ، والحصن يشغل كل سعتها ويزيد . يُدخل الى الحصن من الجنوب على جسر يُفتح ويُقفل عند الحاجة ، ومنه ، على حرف منخفض في الشرق ، ينخفض ثلاثين قدماً او اكثر عن البناء الرئيسي . هنا اطلال ابنية ربما كانت اصطبلات ، بناها الصليبيون

على دكات او اسس سابقة ، كما يظهر ، جاثمة على صخور ناتئة اقل ارتفاعاً من ارض القلعة . بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية ابنية ضخمة تستند الى اعلى الحصن ، وهي مدخل الحصن الرئيسي . فالقلعة اذاً تتحكم بكل من تحدثه نفسه بالدنو منها . سطح المنزلق ، بين الحرف الاسفل والقلعة فوقه ، مغطى بحجارة ملساء زلاقة كثيرة الانحدار في المكان الذي لا يكون انحداره طبيعيا ، واملس زلاقاً كي يستحيل عبوره. وهذه الحجارة تزهو الآن بشقائق النعمان الفياضة .

من يمعن النظر في القلعة لا يرى تناسباً بين ابعادها ، فهي طويلة ولكنها جد ضيقة ، نتيجة طبيعية لضيق الارض . والظاهر ان الجانب الشرقي من عمل الصليبيين ، لا المنزلق المبني خارجاً . هنا في الوسط تقريباً الكنيسة اللاتينية ذات السقف المصالب ، والباب الغوطي المؤدي الى القاعة الداخلية . ولكن لمحة واحدة الى الجانب الغربي كله مع الزوايا في الشمال وفي الجنوب الغربي كافية للدلالة على ان هذه الاقسام من عصر اقدم كثيراً من عصر الصليبيين . وهذا القسم لا يزال هو الجسم الرئيسي للبناء ، وتظهر عليه آثار قليلة جداً من عمل العصور المتوسطة . وهو مبني بكامله بحجارة منحرفة الزوايا ، ولكنها ليست كبيرة كالتي في القدس ، ولا انحراف زواياها منظماً كالتي في برج هيبكس Hippicus ، بل هي من الفصيلة نفسها خلا انها في الوسط حادة وخشنة . الحجر ايضاً اطرى فتأكل بتأثير عوامل الطقس . هنا ايضاً عدة ابراج مربعة ناتئة تدعمها قواعد تنحدر من الخندق الى فوقه ، ويمكن القول انها طبق الاصل عن هيبكس .

في الجنوب الغربي برج زاوية مستدير تسنده دعامة منحدرة مستديرة . وهذا مما يزيد في مناعة الحصن . الى الشرق من هذا البرج باب صغير تعلوه قنطرة مستديرة حجارتها منحرفة الزوايا تماماً ومنحوتة نحتاً ناعماً .

الجدران متينة وصلدة وشامخة ، وتعلو ستين او ثمانين قدماً فوق الخندق . الطول نحو ثمانمـــاية قدم ويبلغ اقصى العرض ثلاثماية قدم . وليس يخفى على الناظر ما رممه الصليبيون لانه بيّن يختلف كلياً في شكله عن البقية . هذا الحصن العظيم مهجور في الوقت الحاضر ومهدم ، واصبحت اصطبلاته المعقودة وقاعاته الفخمة ملجأ للمعاز وقطعانه .

مما لا ريب فيه مطلقاً ان هذا الحصن وُجد قبل عهد الصليبيين بكثير ، ولكني لا اعرف له تاريخاً ، قبل القرن الثاني عشر [٢٧٠] . ربما يُكتشف شيء من هذا في المستقبل يعيّن تاريخ بنائه ، ولكن على كل حال لا يمكن ان يكون بعد عهد الرومان او البزنطيين في سوريا اذا لم يكن قبله . هنا كان دائماً الطريق الهام من صيدا الى الشرق . وفي زمن مبكر كان الصيداويون يملكون الاقليم حول بانيـاس وسهل الحولة الذي يقول عنه يوسيفوس انه سهل صيدا الكبير [٢٧١] .

ومن هـذا الممر كان الصيداويون يمرون الى اقليمهم ، وهو الممر الوحيـد الذي يمكنهم من عبور الليطـــاني والوصول الى مرج عيون والحولة . ولا يبرح الى الآن اسهل الطرق من صيدا الى دمشق ، فيغني المسافر عن السير على منحدرات لبنان وطرقاته الشاقة . ومن العسير جداً افتراض عدم وجود حصن في هـذا

المكان لحماية هذا الممر الهام في ابان ازدهار التجارة الفينيقية .

بين قلعة الشقيف وحصن تبنين

رجعنا من القلعة الى ارنون ، ثم تركناها الساعة الثانية والدقيقة العشرين متجهين الى الجسر فوق الليطاني عند قعقعية . كان طريقنا الى الحمرا وسط بقعة غنية وجميلة غير حرجة . فوصلناها الساعة الثانية والدقيقة الخمسين ٢٧٢ . القينا نظرة على المنظر الخلفي لهوة الزهراني وقمم الريحان المجاورة ، ففتنا بجمالها الجذاب ، ورأينا الجبل شمال الهوة اكثر ارتفاعاً . تابعنا سيرنا وسط حقول غنية وفوق هضبة من الارض ٢٧٣ ، فشاهدنا ولداً منفرداً بنفسه مع جملين وحمار معقولة ترعى ، والولد يغني بمنتهى قوته . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا الى قرية زوطر الشرقية . وبعد عشر دقائق وصلنا الى زوطر الغربية . بين القريتين ضرب قوم من النوَر خيامهم وسرحوا خيلهم في الحقل . هنا اشرفنا على دردور الليطاني الواقع الى يسارنا ، وهو يجري غرباً ، تغطي الانجم جوانبه المنزلقة . بدأنا لتونا بالنزول الى واد جانبي يجري بموازاة الليطاني تقريباً ، يسمى وادي عين عبد العال . كنا نرى في نزولنا مجرى الليطاني على بعض المسافة تحت الاتصال ، حيثما يدخل النهر هوة ضيقة بين ضفتين شامختين . ولا يقل ارتفاع جانبي الهوة المكسوة بالاشجار فوق الجسر وتحته عن خمسماية الى ثمانماية قدم . وصلنا الى النهر والجسر الساعة الرابعة والدقيقة

الخامسة والعشرين، وضربنا خيمتنا الليلة على الضفة الشمالية، وسط عشب المرج الطويل قرب الجسر في بطن هذا الوادي العميق. وقد بلل الندى الغزير المتساقط، طيلة الليل، الخيمة حتى اوتادها.

النهر هنا يجري محاذياً الضفة الجنوبية العالية، وكان اغزر من اي نهر عبرناه، يندفع فوق ارض صخرية كثيرة المنكدرات. اما الجسر فقد بني على جزيرة صغيرة يحيط بها رافد انضم الى النهر من الجهة الشمالية. والقسم الاوسط من الجسر عبارة عن طريق مرصوفة. الدعائم والقنطرتان الشماليتان في القسم الشمالي من الجسر عريقة في القدم. اما الاقسام الباقية فحديثة البناء. والجسر قديمه وحديثه كسيح ومغطى ببلاط سمج [٢٧٤]. بالقرب من الجسر مطحنتان كبيرتان، وواحدة ابعد الى تحت، وهذه لا تشتغل إلا في اواخر الفصل عندما تنقص مياه الجداول التي تدير المطاحن الاخرى.

يوجد بيتان او ثلاثة فقط قرب الجسر. وقرية القعقعية مرتفعة على جانب التلة الشمالي عن يميننا في انحدارنا الى النهر، ولا تقل المسافة التي تفصلنا عنها عن الميل الواحد. على المرتفع الواقع بين وادي العين والليطاني قرية الجديدة الصغيرة. وراء النهر صعّدنا النظر في وادي حجير المنحدر من جوار تبنين. وفوق ملتقى وادي حجير بالليطاني تقع قرية زَقية، وعلى مسافة قصيرة فوق ضفته الشرقية العالية تقع قرية قُصير. والنهر يفصل بين اقليمي بلاد الشقيف وبلاد بشارة [٢٧٥].

السبت ١٠ نيسان. — كانت خطتنا لهذا النهار زيارة قريتي قبريخا وخربة سِلم حيث سمعنا بوجود خرائب واعمدة، ثم الذهاب

الى تبنين ، اخذنا دليلا كهلا اسمه محمد كان يسكن بالقرب من النهر ، وهو ذو عين واحدة وهيئة شؤم ، ولكنه ذكي ، وقد سبق وحضر لنا مؤونة النهار .

عبرنا شعبة النهر الشمالية فتخلصنا من اردإ قسم من الجسر والطريق الموصوفة في وسطه . تركنا الجسر الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين ، ودخلنا تواً وادي حجير ، فصعدنا متجهين جنوباً بشرق ، وهو الطريق العادي الى تبنين . الوادي ضيق وضفتاه عاليتان جداً تمنعان المسافر من مشاهدة اي شيء سوى قرية على منحدرهما بين حين وآخر . كانت المنحدرات المنزلقة على الجانبين شجراء يجملها البطم والسنديان ونوع من الاسفندان والغار والخروب . وكلما امعنا في تقدمنا كنا نرى جانبي الطريق مزدانين بالازاهر ، كشقائق النعمان ، والحمص الارجواني الزهر او الحشاش الاحمر ، والاقحوان الاصفر وغيرها . وفي الوادي يجري جدول قوي رائق يدير في جريانه ما لا يقل عن ست مطاحن على مراحل قصيرة ، ويتخطى خرائب السابعة . وهذه المطاحن تطحن الآن لسائر سكان الاقليم ، ولكن في اواخر الفصل تنقص المياه في هذه الجداول ، فتبدأ حركة المطاحن الكبيرة الواقعة قرب الجسر . في طريقنا قطف لنا رشيد قرناً اخضر من الخروب ازهر باكراً جداً قبل اوانه ، والارجح في شهر شباط ، كاللوز . الوادي لوحة فنية لمنظر ريفي جميل[٢٧٦] . كان تغريد القبرات وغيرها من العصافير الصغيرة يملأ الفضاء ، فيردده النسيم اللطيف انغاماً موسيقية ناعمة بهجة . وتغريدة احدها تشبه تغريدة العصفور الازرق . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين وصلنا عين حجير حيث يجف

مجرى الماء في الصيف احياناً فوقها . الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين تحولنا الى اليسار صاعدين في وادي سلوقي المنحدر من الجنوب الشرقي . هنا التقينا رجلا يصحب قطيعاً كبيراً من الخيل والمواشي، وكنا رأينا قبلاً في وادي حجير جمالاً كثيرة بينها واحد صغير على ظهره سرج . بعد خمس عشرة دقيقة بدأنا نتسلق الضفة الجنوبية المنحدرة لنصل الى قبريخا .

كان الطريق شاقاً لا يختلف كثيراً عن طريق الماعز ، يصعد بين الصخور وبين العليق . ولا يقل المرتقى عن سبعماية الى ثمانماية قدم . وقد يكون الدليل اخطأ الطريق اذ انه من غير المعقول عدم وجود طريق اسهل بين القرية ومطاحنها . وصلنا الى حاجب الوادي الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين ، فاذا امامنا قبريخا ، جنوباً على ٤٠ درجة شرقاً على مسافة خمس عشرة دقيقة . اصبحت طريقنا الآن وسط حقول من القمح المفرط في النمو الذي لم ار اجمل منه في هذه البلاد او غيرها .

بين حقول القمح الزاهية نبت الزؤان المذكور في العهد الجديد [٢٧٧] . ويصعب التمييز بينه وبين القمح قبل ظهور السنبلة التي تشبه القمح تماماً بشكلها ، سوى انها اصغر منها ، ولونها ضارب الى السواد . هكذا وصفوها لي . في بيروت يطعمون الدواجن شعيراً ولهذه الغاية يباع . واذا لم يفصل عن القمح عند طحنه يسبب خبزه دواراً لآكله . وهو ينطبق على « لوليوم تميولنتوم » Lolium Temulentum او الشيلم المنتحي [٢٧٨] .

وصلنا قبريخا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين . وهي قرية بائسة على الحاجب الجنوبي لوادي سلوقي العميق، تشرف

من الشرق على منظر فسيح يمتد حتى السلسلة الواقعة غربي الحولة ، ومن الشمال يمتد النظر الى بلاد الشقيف . البحر منبسط امامنا في الافق ، وجبل الريحـــان وجرجوع يطلان من بعيد ، بينما قلعة الشقيف على سلسلتها العادية ظهرت كأنها منعزلة في حوض ارض متسع على التخم الجنوبي الشرقي لسهل مترامي الاطراف . جبل الشيخ واضح تماماً يلتمع بثلجه . ويقال ان وادي سلوقي يبتدىء عند عيترون بين بنت جبيل وقدس ويستنزف مـــاء كل ذلك الاقليم الواقع بينهما . وراء الوادي دلّونا على شجرة شمالاً على ٦٥ درجة شرقاً تبعد نحو ميلين يقال ان حولها خرائب اسمها كساف . والاسم هذا يطابق اسم اكشاف المذكور في سفر يشوع . وهي مدينة على حدود سبط اشير ، وقد ذكر ملكها مرتين لصلته مع ملك حاصور [٢٧٩] . وبما ان حاصور كان موقعها في مكان ما غرب الحولة وتشرف عليها ، فربما يكون موقع اكشاف الحقيقي قد تخلد تحت اسم كساف [٢٨٠] .

عندما قربنا من القرية رأينا بيوتاً خربة بعضهـا من حجارة منحوتة ، رأيت بينهـا حجر قنطرة مقوّساً له كتف بارز كما يشاهد في خرائب التياترو في ازمير .

كانت الاطلال التي جئنا لفحصها في القرية نفسها . وهي تشتمل على صفين من الاعمدة المصنوعـة من الحجر الكلسي المبيض ، لهيكل قديم يمتد من الشرق الى الغرب . في الصف الشمالي اربعة اعمدة قائمة في مكانها وعمودان مطروحان على الارض ، وقطع من عمودين آخرين . في الصف الجنوبي ثلاثة اعمدة قائمة واثنان مرميان . على احد الاعمد القائمة تاج ايوني موشّى بدقـة تحت الثنيات الحلزونية . ارتفاعه مع التاج نحو اثنتي عشرة قدماً . في

جدران البيوت الزرية ، حول العمد وبينها ، احجار كثيرة منحوتة مبنية وتظهر جيداً انها في غير موضعها . ولا ارتاب في وجود هيكل وثني في هذا المكان . ولكن أكان الهيكل فينيقياً او يونانياً او رومانياً ؟ هذا ما لم نعثر على اي اثر تاريخي يلقي نوراً ولو ضئيلاً عليه ، او يتكافأ مع ما بذلناه من الجهد في البحث عن حقيقته .

استأنفنا السير الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين متجهين غرباً تقريباً الى تولين . كان الطريق غير ممهد ، يمر عبر اودية قليلة العمق وسلاسل جبال منخفضة . ضل دليلنا الطريق فأخرنا عشر دقائق . وصلنا تولين الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين . تقع تولين على شاهق يشرف من الغرب على وادي حجير . الوادي هنا عميق وكثير الانحدار وينعطف الى الشرق ٢٨١ . لا آثار قديمة في القرية . في احدى الحظائر قطيع من المواشي الصغيرة ، والحمير ، والخيل . بين الذين جاؤوا يستطلعون امرنا امرأة تغزل . رأيتها تفتل مغزلها باصابعها . ورأينا البارحة رجلاً عجوزاً يعمل العمل نفسه .

درنا كثيراً بطريق قرية صوانة حول راس وادٍ عن اليسار لنتمكن من الوصول الى قرية خربة سلم . استأنفنا السير الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وعدنا ادراجنا خمس دقائق على الطريق نفسها ، واتجهنا جنوباً بشرق ثم جنوباً بغرب ، فوصلنا قرية صوانة الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، مع ان المسافة من تولين على طريق مستقيم لا تعدو الميل ونصف الميل . صوانة عش بائس ، محاطة ، مثل غيرها من

القرى التي رأيناها سابقاً ، باكوام من الحجارة ، هي اطلال بيوت الفلاحين . هنا ضربنا في واد جانبي ينحدر الى الجنوب الغربي الى وادي حجير . وصلنا الى طريق تبنين الذي يسير بجانب وادي حجير ، الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . تحوّلنا نزولاً في الوادي ، وبعد عشر دقائق وصلنا الى خربة سلم الواقعة على كتف الوادي الى اليسار ، على سلسلة من الصخور المرتفعة المزيلة المرأسة بين وادي حجير وواد آخر جانبي صغير على موازاته .

خربة سلم مبنية على اعلى نقطة في الطرف الشمالي من هذه السلسلة الضيقة . بيوتها مكومة بعضها فوق بعض حتى اعلى السلسلة ولا تظهر بينها فسحات او طرق . منظرها مجلبة للسأم لا يرتاح النظر اليه . الى جنوب القرية ، حيث السلسلة منخفضة قليلاً ، فسحة مطمئنة او دكة طبيعية من الصخر ، يقوم في وسطها عمود منفرد . في الجهة الغربية من هذه الدكة حائط وطيء ، بني في قسم منه عمود وقاعدتان او ثلاث . العمودان من الحجر الكلسي العادي وهما اكثر حقارة من تلك التي رأيناها في قبريخا ، وهما يندبان تاجيهما المفقودين . وقد لحظنا ان سطح الصخر مبلط لوجود بعض الحفر والاخاديد فيه . ربما كانت هذه الاطلال موقع هيكل وثني .

تناولنا طعام الظهر في ظل حائط وطيء على الدكة المذكورة . خلال ذلك وفد علينا شيخ القرية لتحيتنا . هو كهل وقور المنظر . حيا دليلنا بفتور وتكلف ظاهرين . والسبب في تحيته هذه ، كما فهم رشيد بعدئذ ، ان محمداً سرق للشيخ ثلاثة جياد فكان

جزاؤه مئتي جلدة وغرامة مالية . ومن حسن حظنا ان انتهت مهمة هذا الحرس الامين .

يبعد المليطاني عن خربة سلم اقل من ثلاث ساعات بطريق وادي حجير نزولاً ٢٨٢ .

تركنا خربة سلم الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين ، وسرنا صعداً في وادي حجير . غاب عنا الجدول اللطيف الرقراق . جوانب الوادي اقل ارتفاعاً واقل اشجاراً من السابق ، ولكن الازاهر كانت تزين طريقنا بين آونة واخرى . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة كنا في راس الوادي على حرف جبل منخفض ، هبطنا منه وادياً آخر ، هو وادي عين المزراب ، سمي هكذا من ينبوع فيه هو اقرب الينابيع الى تبنين . يتشعب راس هذا الوادي عند حداثة وحاريص في الجنوب الغربي ، وينعطف حول الطرف الشمالي الشرقي من الحرف الواقعة عليه تبنين ، ثم ينحدر ليتصل بوادي عاشور باتجاه قانا . صعدنا منحدراً بجانب الحرف في منزلق الوادي الجنوبي فوصلنا تبنين الساعة الثانية والدقيقة الاربعين . يقع حصن تبنين على اعلى ظاهرة من الحرف . ويشرف من الشمال على وادي العين ، وعلى حوض الارض الذي ينزح الى الوادي نفسه من الجنوب الغربي والجنوب . اما قرية تبنين فتقع على ظهر وطيء من الحرف الى الجنوب الغربي من الحصن . وتقع المقبرة العمومية بين القرية والحصن ، تمر عليها طرق كثيرة ، فتظل القبور موطىء اقدام السابلة .

ضربنا خيمتنا على العشب بالقرب من البيادر ، في بقعة حبتها الطبيعة موقعاً يشرف على مناظر جميلة جذابة واقعة الى الجهة

الجنوبية تحت الحصن تماماً . وبينا نحن منهمكين في ضرب الخيمة ، تقدم منا رجل انيق اللباس عرفنا منه انه مسيحي ووكيل عائلة المشايخ القاطنين في القلعة ، جاء يدعونا للنزول في بيته في القرية . اخبرنا ان المشايخ غائبون ، وهو مكلف اكرام وفادة الفرنجة الذين يؤمون الحصن ومعاملتهم بما يليق بهم من الاحترام ، ولكنا فضلنا البقاء حيث نحن ، لنأخذ قسطاً من الراحة ، وشكرنا له لطفه ، وضربنا ميعاداً لزيارة القلعة . جاءنا ايضاً شيخ القرية مسلماً .

حصن تبنين

في الوقت المتفق عليه ، رافقنا اشخاص عديدون الى القلعة . في الجنوب الغربي من الاكمة الواقع عليها الحصن مرتقى منحدر يؤدي الى المدخل . جدران الحصن الحالية اكثرها مرمم حديثاً ، ولم يبق من البناء القديم سوى الرتاج القوطي الفخم ، والممرات الداخلية المعقودة . فوق هذه الممرات والرتاج ، وعلى ارتفاع اكثر من الجدران ، بنت عائلة علي السغير ، وهي احدى العيال المتزعمة في المتوالة ، مسكناً لها ، تسكنه مع اتباعها في حالة من الرثاثة لا تحسد عليها [٢٨٣] . تقدمونا الى البيت ثم الى غرفة استقبال العائلة ، فاذا بها تستغرق سعة البيت كله ، وتشرف من موقعها المرتفع على منظر فخم . للغرفة نافذة بارزة او شرفة تطل على الجهة الجنوبية الغربية فتشرف على قرية تبنين والريف حولها . اتكأنا على السجاد الحائل ولكنه كان قبلاً زاهياً ،

فاطل علينا من النافذة المقابلة ، الواقعة في الشمال الشرقي ، جبل الشيخ الشامخ وقلعة الشقيف الجاثة كالطود ٢٨٤ . قدم لنا المرطبات (ماء السكر) صبي يحمل منشفة على كتفه يمسح بها الضيف فمه بعد الشرب ، واتبعوها بالقهوة المحلاة بالسكر ، ثم بالغلايين . وبعد الفراغ من الضيافة والمجاملات ، كثر مرافقونا حول القلعة ، يتبرعون بارشادنا على مختلف الاشياء المهمة .

قلعة تبنين من عمل الصليبيين . اسموها تورون Toron (Toronum) ، ولكن اسم تبنين اعرق من ذلك بالقدم ٢٨٥ . في القرن الثالث عشر جردت القلعة من وسائل الدفاع ، ويظهر انها لم تسترجع مركزها القوي ومناعتها . ربما اعيد بناء الجدران في ازمنة متباينة ، ولكنها الآن في طور الانحلال ، لانها متداعية وعلى وشك السقوط في امكنة كثيرة منها . شيد الصليبيون هذا الحصن في هذه البقعة على اسس حصن قديم مبني قبل عهدهم بوقت طويل . وهذه الاسس القديمة ظاهرة في بعض المواضع في السور خارجاً ، وتشتمل على حجارة كالتي في قلعة الشقيف ، ولكنها غير منحرفة الزوايا تماماً ، بل منحوتة نحتاً ناعماً على الاطراف ، وخشنة او بارزة في الوسط . يحدونا على هذا القول ما رأيناه من هذه الحجارة مبنياً في الداخل في اماكن متفرقة وفي اوقات مختلفة ، فترى منها حجراً واحداً في جدار وحجرين او اكثر في غيره . يضم السور مساحة مربعة تقريباً تنيف على فدان (آكر) من الارض (اي ٤٣٥٦٠ قدماً مربعة او ٤٨٤٠ يرداً مربعاً *) . ويظهر ان هذه البقعة الفسيحة كانت قبلاً تزدحم

* المعرب .

بالمساكن وغيرها من الابنية الحجرية ، ولكنهـــا الآن مهدمة ومنثورة هنا وهناك اطلالاً بالية متراكمة . وليس من شيء قائم ضمن السور في الوقت الحاضر سوى البيت الذي يقطنه المشايخ واتباعهم .

قيل لنا ان الشيخ الحاكم ، او البك ، يتقاضى سبعماية وخمسين قرشاً راتباً شهرياً بوصفه حاكم المقاطعة ، ويدفع لكل من الكتبة الثلاثة الذين يستخدمهم ثلاثماية قرش راتباً شهرياً ، ويدفع لوكيل املاكه الفاً وخمسماية قرش سنوياً وطعامه . لا يوجد مُلك مطلق في المقاطعة لان الارض ملك للحكومة تؤجرها السكان . امـــا الضرائب او اجرة الاملاك فتقدر على « الكدنة » اي ما يعمله ثوران مقرونان (مكدونان) في اليوم . عدد الذكور في قريـة تبنين ثلاثماية وثمانون ، منهم مئة وثلاثون مسيحيين ومئتـــان وخمسون متاولة . وعدد الثيران اربعـة وعشرون زوجاً . يدفع سكان تبنين اثني عشر الف قرش ضريبة على الارض ، والفين ومئة قرش ضريبة عـلى الاعناق . ومـــن مدة ليست بالطويلة أنقص السلطان الفين وثلاثماية قرش من الضريبـة ، ولكن البك استمر على جبايتها والاحتفاظ بها لنفسه . وخلا هـــذا ، توجد ضرائب اخرى تافهة وهدايا . ليس للشيخ ملك خاص به ، ولكن عندما انتزع سليمان باشا صور وراس العين من عائلة علي السغير ، عين لها دخل ست قرى في قضـاء شومر ، ظـل المشايخ يقبضونه . وبهذه المناسبة ، يقال ان رشيد باشا من اسطمبول زارَ راس العين والمنطقة التي تُروى من مياهها للاكثار مـن زراعة التوت وانتاج الحرير . ويقال انه بدأ بالعمل .

بين تبنين وحدود لبنان الجنوبية

سمعنا برسوم منقوشة في الصخور على احدى الطرق المؤدية الى صور . بالقرب من حناويه القريبة من قانا ، رسم ثلاثة رجال منحوتة على لوحة في جبهة الصخر . الرسم الذي في الوسط يمثل رجلاً جالساً على كرسي وهو اعلى من الرسمين الآخرين ، ولكن العوامل الجوية اضرت كثيراً بهذه الرسوم [٢٨٦] . في قرية مزرعة ، الواقعة في وادي عاشور على مسافة ساعة من قانا ، مغارة يُدخل اليها من باب صغير ، تضم رسوماً تشبه تلك التي ذكرت اعلاه ، رؤوسها مغطاة بقبعة (قلنسوة) مخروطية لم تتعرض لعاديات الجو لوجودها داخل المغارة ، فظلت على رونقها . لم يتح لنا زيارتها ، ولكنها تستحق اهتمام السياح في المستقبل .

الاحد ١١ نيسان . — حوالى نصف الليل عصفت من الجنوب الشرقي ريح قوية ، وتوالى عصفها بشدة كادت تقطع حبال الخيمة او تقتلع اوتادها ، ونفى عنا النوم اهتزازها وتصفيقها . وما ان اشتد الخطر حتى ارسلنا رشيداً نحو الساعة الرابعة والنصف ليدبر لنا مكاناً في القرية ، فلم يلبث ان رجع بدعوة للنزول في بيت وكيل البك الذي زارنا البارحة . فلم نتردد لحظة في القبول واسرعنا بالذهاب . استمر عصف الريح التي تحولت الى شرقية عاصفة ملأت الجو سحاباً رقيقاً ، بينما كنا نرى سحات المطر تهطل متقطعة على جبل الريحان . تغير الهواء بعد الظهر وتحوّل الى

الجنوب الغربي وهي الجهة الماطرة . توقعنا سقوط المطر في الليل . ولكن الشمس غربت تحت ثوب شفاف من السحاب وانقشعت الغيوم وسكنت الريح .

ها نحن نستقبل احد الفصح ، وقد انتهى الصيام نصف الليل ، وبدأ الاهلون يأكلون اللحم . وهم جد فرحين بالعيد . وهذا ما سهل لرشيد تدبير الغرفة بهذه السرعة . كان مضيفنا بالكنيسة عندما تسلمنا الغرفة ، ثم جاء الينا معتذراً لان اعماله تحتم عليه البقاء في القصر طيلة النهار . عاد الينا في المساء وقد برهن بسلوكه على ما فطر عليه من اللطف والاحتشام . في القرية كاهن مسيحي ، ولكن لا يوجد بناء خاص بالكنيسة . ويوجد ايضاً دكان لبيع السلع الاوروبية المختلفة ، بينها قوالب سكر لم نكن نتوقع ان نراها في هذا المكان .

اما بيت مضيفنا ، فيظهر انه بني في اوقات مختلفة حول الردهة ، فهو مؤلف من دور واحد وبعض غرف غير متساوية في الارتفاع . ولذلك كان السطح يختلف في الارتفاع ويستقل بمحدلته . يوجد غرفتان للسكن ومطبخ واصطبل وتوابع اخرى . والغرفة التي نزلنا فيها كانت احسنها . في احدى زواياها موقد فوقه داخنة . في زاوية اخرى ديوان عريض او تخت ، وفي الحائط الخلفي فجوات لوضع الجرار . في وسطها قنطرة من الحجر تقطع الغرفة من حائط الى آخر ، ترتكز عليها الجوائز والروافد المغطاة بالاغصان والاشذاب والتراب الذي يحدل حتى يقسو . في غرفتنا كرسي خشبي من النوع الحقير ، البخس ، وهو نادر في هذه الناحية ، وربما استحضروه لاستقبال الفرنجة . تكثر في

البيت وحول الفسحة ابراج الحمام الذي يملأ الدار . وقد تمثلت لنا مراراً صورة الاناء الشهير والحمام يشرب منه . ولكن الاناء الذي نراه الآن ليس سوى اناء حجري للغسل وضع في وسط الدار .

تقع اكثر بيوت القرية على جانب التلة ، فترى بعضها قائماً بكل ارتفاعه فوق الطريق ، بينما سطوح غيرها على مستوى الطريق ، وهكذا دواليك . والماعز والحمير ترعى العشب النابت على هذه السطوح ، والطريق تمر فوقها .

في الطريق صبية يصخبون ويضجون بخشونة ووقاحة ، والكهول يتلهون بفتل مغازلهم . اما نحن فتمتعنا براحة هانئة طيلة يومنا .

الاثنين ١٢ نيسان . — استأجرنا دليلاً متوالياً من اتباع البك اسمه اسماعيل ، للذهاب معنا الى رامة . فبرهن عن امانة ومهارة . عندما ازف وقت السفر نهض واسرج حماره القوي وسار برفقتنا سيراً حثيثاً .

تركنا تبنين الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين وجهتنا حاريص . نزلنا عرضاً في وادي عين المزراب المنحدر من الجنوب الغربي . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين وصلنا الى بطن الوادي ، فألفيناه متسعاً محروثاً جيداً وعلى درجة من الخصب لا بأس بها . ثم تابعنا سيرنا صعداً في احدى شعابه الرئيسية حتى رأسها . الساعة التاسعة والدقيقة العشرين خرجنا الى طريقنا السابقة المؤدي من بنت جبيل الى صور ، مقابل حاريص تماماً ٢٨٧ . تبعد حاريص من هنا خمس دقائق وموقعها شرقاً على ٦٠ درجة غرباً . اما تبنين فتقع شمالاً على ٦٠ درجة شرقاً . تحولنا الى اليمين وسرنا خمس دقائق على

طريقنا القديمة الى الحرف المشرف على سائر السهل واقليم صور ، وهي بعد على مسافة قصية منا . الصباح غائم والمطر يهطل في الغرب ، وكذلك كان المنظر اقل اتساعاً من السابق . ها راس وادي عاشور تحتنا مباشرة [٢٨٨] .

رجعنا ومررنا على حاريص الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين ، ثم سرنا بجانب الوادي الايمن ، ويطلق عليه اسم وادي سِربّين بعد مسافة قصيرة الى تحت . تتبعناه حتى اتصاله بوادي العيون الكبير ، فظهرت لنا قرية إرشاف فوق التلال عبر الوادي . صعدنا المنحدر الايمن الى قرية سربين الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين [٢٨٩] . تابعنا الطريق المنحدر فوصلنا الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين مقابل اتصال وادي سربين بوادي العيون . ينحدر وادي العيون بين الجنوب والجنوب الشرقي ، ثم ينعطف في زاوية حادة الى الجنوب الغربي . ينحدر الطريق من رميش الى صور في وادي العيون ، ثم يصعد ويعبر حرف الجبل في الشمال الغربي . امامنا على مرتفع عن يسار وادي العيون قريتا القوزح وصالحاني . وكذلك قرية بيت ليف الى الجهة نفسها في الوادي [٢٩٠] .

نحن الآن على طريق صور باتجاه بين الشمال والشمال الغربي ، وصلناه بطريق متعرج . بعد خمس عشرة دقيقة صعداً ، وصلنا الى الظهر الشرقي من سلسلة صعيد متسع [٢٩١] . اجتزنا الصعيد هذا فوصلنا الى ياطر الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين . ياطر قرية قديمة بالقرب من الجانب الغربي تشرف على صور وسهلها . هنا توجد بعض الآثار القديمة . ففي ساحة كوخ واصطبل ارونا حجراً نحو قدمين تربيعاً نقشت عليه نقوش شتى ، ولكنها

مطموسة . جنوبي القرية غرفتان مقدودتان في صف من الصخور ، في احداهما فجوتان توضع فيهما جثث الموتى ، واكثر الصخور حوالى القرية مكسرة . وقفنا في اعلى نقطة من هـذا الصف ، فرأينا قلعة تَشمَع على الجبل جنوبي صور ووراءها راس الابيض ، وعلى بعد قصي باتجاه الناقوره كدنا نرى قرية طيرحرفا . ولم يكن تل مريمين والخرائب التي بقربه بعيداً عنا . وعلى تل يبعد ربـع ميل الى الجنوب عمد يرجح انها بقايا هيكل قديم ٢٩٢ . قيل لنا ان بالقرب من قُنيفض الواقعـة في اسفل الجبل قرب السهل ، مغارة ضمنها عمودان من المرمر عليهما نقوش . السنة الماضية وجد في بيت ليف كمية من النقود الذهبية اخذت الى بيروت واعطيت الى الباشا . رأينا عدداً كبيراً من الرجال يحرثون الارض حول القرية ، يمسك كل منهم منخساً (مساساً) طوله نحو عشر اقدام ، في طرفه مسمار . والحراثة في هذا الوقت هي للدخن والتبغ .

تركنا ياطر الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين ، ورجعنا الى مفترق الطرق ، ثم نزلنا بانحدار كثير عشر دقـائق الى وادي العيون عند اتصـاله بوادي سربين ثم يتحول الى الجنوب الغربي . وبعد ان يسير في هذا الاتجاه مدة قليلة ، عن يسار سلسلة القوزح ، يتحول ثانيـــة بين الغرب والشمال الغربي ، ثم يخرج من الجبل بضيق عميق ويسمى هنـا وادي العزّية ويسير بجـانب سفح الجبل الشمالي الى البحر قرب راس الابيض . الساعة الواحـدة والدقيقـة العشرين طلعنا في وادي العيون باتجـاه بين الجنوب والجنوب الشرقي على طريق رميش . فوصلنا الساعة الثانية الى حوض ارض جميل . بين الآكام ، على احد التلال عن اليســار ، كانت قرية

دبل ، وهي تبعد نصف ميل شمالاً على ٦٠ درجة شرقاً . الى الجهة اليمنى يمتد السهل اكثر الى الجنوب والجنوب الشرقي . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة قطعت طريقنا طريقٌ من دِبل الى الرامة ، فأرسلنا البغالين ليكونوا هناك بانتظارنا . بعد خمس دقائق تحوّلنا اكثر الى اليمين عبر الحقول . والساعة الثانية والدقيقة العشرين وصلنا الى قنطرة حظور وخرائب حزيرة حولها . والبقعة مرتقى سهل ، يبعد قليلاً عن جنوب طريق رميش [٢٩٣] .

هنا بقعة كبيرة من الخرائب ، واحجار كثيرة منحوتة ، وفي مكان واحد بضعة احجار منحرفة الزوايا كالتي في الشقيف . يوجد عدد من الاحواض ، احدها كبير ومكشوف نبتت فيه شجرتا تين صغيرتان . والآثار الهامة التي تستلفت النظر هي القنطرة او العقد المسمى حظور ، القائم على صخر مسطح فوق مدخل قبر مقدود . القنطرة مستديرة ، وحجارتها كبيرة ولكنها غير منحرفة الزوايا ، تظهر على كل اجزائها دلائل الاغراق في القدم . طول العقد اثنتا عشرة قدماً ، وعرضه ست اقدام ، وعلوه تسع اقدام وثلاثة انشات . تحت هذا العقد ، قُدّ ممر منحدر في الصخر المسطح يؤدي الى القبر . عرض هذا الممر اربع اقدام وطوله اثنتا عشرة قدماً وعمقه الى اسفله خمس اقدام ونصف . هنا في اسفل الممر باب منخفض يؤدي الى غرفة مقدودة في الصخر ضمنها ناووس . الى الجنوب الغربي من هذا القبر ، ضريح آخر على شكله مقدود في صخر مسطح ، ولكن بدون عقد فوقه . واول من اهتدى الى هذا المكان هو القس W. M. Thomson ، وهو الذي لفت نظرنا اليه وزاره مع آخرين . واسم حظور هذا يذكرنا

بحظور المذكورة في سفر يشوع ، ولكن تلك المدينة ، كما سنرى فيما بعد ، كانت قريبة من الحولة ، بينما هذه البقعة بعيدة عن الحولة وفي سبط اشير [٢٩٤] . ولم يوفق احد بعد الى اكتشاف ادلة تاريخية تنبىء عن اسم هذه البقعة الحقيقي ، وصفة هذا الموقع القديم . وقد تكون حظور قديمة مع انها لم يرد لها ذكر في اشير .

سرنا الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين ، وتحوّلنا الى الجنوب الشرقي فوصلنا الى طريق رامة . مواشٍ كثيرة ترعى في السهل ، واكثر منها سيقت لورود بركة ماء هناك . السهل يزداد ضيقاً كلما تقدمنا فيه . وصلنا راسه الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة ، وصعدنا حرف جبل منخفضاً [٢٩٥] . وراء الحرف راس واد آخر اسمه خلة الوردة يجري الى جهة معاكسة ، ويقال انه ينضم الى وادي القرن . اتجهنا اكثر الى اليمين ، وبعد عشر دقائق بدت لنا رامة وعيتا وراء الوادي المذكور اعلاه [٢٩٦] . تابعنا السير نزولاً الى رامة ، ثم صعدنا تلتها المنعزلة ، على طريق عليها آثار مستغرقة في القدم وطأتها الاقدام منذ اجيال عديدة . وصلنا القرية الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين . ضربنا خيمتنا تحتها في الجهة الجنوبية الغربية في احد الجلالي المكسو بالعشب .

تقع رامة على تلة منعزلة وسط حوض ارض وحقول خضراء ، تحيط بها آكام اكثر ارتفاعاً منها . تتجمع مياه القسم الجنوبي الغربي من هذا الحوض في بركة راكدة تجف في الصيف ، اذ لا يوجد منزح للماء في هذا القسم من الحوض . في الشمال الغربي

من حرف الجبل ، ثغرة تؤدي الى وادي العيون ، ولكن وجود مقلب الماء المنخفض فيه يمنع الماء من الجريان . في الشمال الشرقي من القرية ثغرة مماثلة تجري الى وادي العيون ، وتنزح ماء ذلك الجزء من الحوض . يجلب الاهلون حاجتهم من الماء ، من البركة فحسب ، بجرار تحملها النساء على رؤوسهن من مسافة تقارب ثلاثة اثمان الميل معظمها مرتقى منحدر . وعندما تجف البركة في الصيف يجلبون الماء على ظهور الحمير من ينبوع يبعد عدة اميـــال عن القرية .

عثرنا على ناووس قديم في سفح التلة ورأينـا غيره في صعودنا على الطريق . وعلى راس الاكمة بالقرب من القرية اثنـــان جد كبيرين . طول احد الغطائين سبع اقدام ونصف القدم وعرضه قدمان ، وكذلك سماكته تقريباً . في حقل تحت خيمتنا ، نحو منتصف الطريق على جانب التلة ، نواويس شكلها نادر غريب . وفي صخر كبير منعزل ، قدت لا اقل من ثلاثة نواويس جنباً الى جنب ، ونحت الصخر من الخارج ، وجعلت زواياه مستديرة . وقد ترك حرف بارز في اعـلى الناووس يتناسب مع اخدود في الغطاء . كلها آثار تذكارية قديمة تستلفت الانظار . ولا مجـــال للتساؤل اذا كانت هذه القرية هي رامة اشير القديمة [٢٩٧] . ولكن اذا تركنا التشابه بالاسم فليس لدينا برهان او دليل على قدميتها إلا النواويس المذكورة اعلاه ، وليس لها اثر او ذكر في اية وثائق تاريخية بعد عهد يشوع . إلا ان جيروم ويوسيبيوس جاءا على ذكر اسمها عرضاً مجرداً عن اي وصف او تعليق [٢٩٨] .

غربي رامة وراء الحوض المذكور اعلاه تلة عالية اسمها بلاط ،

وهي اعلى قمة في ذلك الاقليم ، عليها اطلال تمكنا ان نميز منها صف اعمدة لم يزل الطنف (كورنيش) فوقها ٢٩٩ . المسافة من تبنين الى رامة على الطريق المباشر نحو ثلاث ساعات ونصف الساعة .

الثلاثاء ١٣ نيسان . — عصفت الريح شمالية غربية طيلة الليل واشتد البرد . لاول مرة في حياتي اسمع عُواء ابن آوى ، وهو يشبه صراخ الطفل او نباح جرو الكلب . سمعه الخدم ايضاً وكان مصدره الآكام المجاورة .

اتفقنا في الليل على زيارة اطلال بلاط وترك التغلغل اكثر الى الغرب ، الى قلعة شمع مثلاً ، لظروف مؤاتية . الصباح قارس وغائم . سرنا الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة ، يرافقنا دليل على حصانه الخاص . نزلنا من شمالي المستنقع ، ثم صعدنا وادياً مفتوحاً يقع الى جنوب تلة بلاط ، فوصلنا بعد جهد ومشقة على الخيل الى جناحها الجنوبي الغربي ، اذ لا اثر لطريق في صعودنا . وصلنا الى القمة الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ، اي بعد سير نصف ساعة من رامة ، والمسافة لا تعدو ثلاثة ارباع الميل على طريق مستقيمة . الريح عاصفة وباردة ، وميزان الحرارة يدل على ٥٦ درجة فارنهيت . المشهد فخم ومنفسح . وبينا رفيقي يسأل الدليل عن اسماء الاماكن ويدوّن مواقعها ، انصرفت الى فحص الخرائب .

هنا موقع هيكل قديم ، بقي منه عشرة اعمدة قائمة . اتجاه جوانبه في طرفه الشمالي جنوباً على ٢٠ درجة شرقاً . في الجانب الشرقي عند الطرف الجنوبي اربعة اعمدة لم تزل اطنافها باقية . وكذلك ثلاثة اعمدة في الزاوية الشمالية الغربية ، اي عمود الزاوية وعمود على كل

من جهتيه . وكل هذه الاعمدة مصنوعة من الحجر الكلسي المعروف في الاقليم . رؤوسها غير كاملة وتشبه البناء الدوري Dorie . طول العمود نحو اثنتي عشرة قدماً ، وقطره قدم وثلاثة ارباع ، ومحيطه خمس اقدام ونصف ، والمسافة بين الواحد والآخر سبع اقدام ونصف القدم . اما طول البناء كله فيبلغ نحو تسعين قدماً وعرضه اثنتان وعشرون قدماً . والاعمدة على الزوايا الاربع مربعة من الخارج ، ولكنها من الداخل مستديرة بشكل يجعلها تظهر كأنها عمود مزدوج . العمودان الواقعان في الوسط مربعان من الخارج ومستديران من الداخل ، ويتضح من شكلهما انهما صنعا على هذا الشكل لبنائهما على جانبي الباب . في الجانب الغربي بقايا دكة كان البناء قائماً عليها وهي تمتد سبع اقدام وراء صف الاعمدة . اما الاعمدة الكثيرة الملقاة هنا وهناك والتيجان وخلافها فانها تملأ الفسحة كلها . ولم نعثر على اثر لبناء داخلي او معبد وقد تأكلت الحجارة كثيراً من تأثيرات الطقس ، ولا يظهر اثر للاتقان على البناء ، ولا توجد نقوش او اي آثار للحفر إلا على الاعمدة . عثرنا على حوض نحت نحتاً خشناً فيه قليل من الماء . وبالقرب من المكان عثرنا على آثار قرية صغيرة وبعض الحجارة المنحوتة ، وعلى ناووس واحد منقور في الصخر غطاؤه غير متقن .

امر هذا الطلل غريب ويصعب عليّ تعليله . فهو لا يشبه الهياكل الوثنية في لبنان او لبنان الشرقي التي رأيت الكثير منها ، بعدئذ ، ولا الاطلال التي رأيناها حديثاً في قبريخا . ففي بعض الاماكن وخصوصاً في شكل التيجان وفي العمد المبنية في الزوايا الاربع يوجد شبه بينها ، وبين ما شيده اليهود في العصور

المبكرة بعد المسيح ، والتي رأيناهـا بعد ذلك في كفر برعم وقدس واماكن اخرى ، ولكن يصعب التخمين عن سبب اقدام اليهود على تشييد ابنية كهذه هنا ، طالما ان عهد عبادة الاوثان وتشييد الهياكل لها انصرم منذ عهد متقادم . والناظر الى الغرب يشرف على كل من صور وسهلها في الشمال ، الى عكا والكرمل في الجنوب . رأينا الهوة العظيمة التي يخرج منها وادي العزّية من الجبال الى السهل . الى شمال هذا المنفذ تقع زبقين وخرائبهـا ومريمين . مجد لزّون وقلعة شمع تقعان على سلسلة الجبال التي تنتهي براس الابيض في اقصى الشمال . والظـاهر ان القلعـة هي احد الحصون الكثيرة الباقية من عهد الصليبيين . تحتنا راس وادي حـامول القصير وهو يشق الجبل ويخرج من ثغرة ضيقة الى الشاطىء شمال الناقورة . في هذا الوادي اطلال مدينة حامول وربما كانت حمون القديمة الخارجة من نصيب سبط اشير ٣٠٠ . وابعد الى الجنوب حرف الجبل الاكثر ارتفاعاً والممتد صعداً من راس الناقورة ، ويفصل الاراضي التي تنزح مياهها الى وادي حامول في الشمال ووادي القرن في الجنوب . وقد تمكنا من تمييز مجرى وادي القرن العـام ، وهو يبتدىء من ملتقى واديين منحدرين من البقيعة وبيت جن ويشق سائر الاقليم وينحـدر في هوّة عميقة حتى الشاطىء الى جنوب راس الناقورة . رأينـا قرية طرشيحا الكبيرة على جانبه الجنوبي العالي ، وإكرت ، وهي قرية مسيحية على تل قديم على حافة الوادي نفسه . ويقال ان هذا الوادي الكبير واقع في اقليم الجبل . ويقول دليلنـا انه كثير العمق وشديد الانحدار ، ويستحيل عبوره ، حتى النسور لا تتمكن

من الطيران فوقه . ويقع حصن قُرين الذي يسميه الصليبيون مونفور Monfort على شاهق منعزل في هـذا الوادي ، ولكنه الآن خراب ويصعب الدنو منه . امامنا في الشرق جبال الجرمق التي يخرج منها ومن جوارها وادي القرن [٣٠١] .

نحن الآن في اقليم جبلي ، في بحر من الآكام الصخرية والاودية العميقة المنحدرة ، المكسوة بالاشجار ، ولكن القرى فيه قليلة ، وقد اعطي الى عرب من قبيلة الموسي . والاقليم وعر ، واكثر اراضيه محروثة تكثر فيها المراعي ، وهو مشهور بسمن قطعـانه وصيرانه . والقسم الشمالي الذي ينزح اكثره الى وادي حامول يسمى شاب ، وهو قسم فرعي من بلاد بشاره [٣٠٢] .

والاقليم ، الممتد امامنا الى الغرب ، كان الى وقت قريب ، ارضاً مجهولة Terra incognita ، خالياً من الطرقات الكبيرة إلا على الساحل . ولذلك لم يطرق مجاهله إلا نفر قليل من السياح . وكان الفرسان التوتون ، وهم صليبيون ، يملكون حصوناً متنوعة في الانحاء القريبة من البحر . ولكن طبيعـة الارض المتقطعة لا تسمح بالقيام بالاعمال الحربية ، فلم يجد مؤرخو ذلك العهد إلا القليل مما يستحق الذكر .

في السنة ١٧٥٤ سافر Stephan Schulz من عكا الى يانوق ، وزار بعدها طرشيحا وبقيعة وبيت جن وسعسع [٣٠٣] . وبعد نحو عشر سنوات توغل ماريتي Mariti حتى قلعة جدين [٣٠٤] وطرشيحا ورجع عن طريق وادي القرن وحصن ُقرين [٣٠٥] . ويبين مخطط الطرقات كالير Callier العام ١٨٣٠ ، ٣١ طريقـاً من عكا الى رميش بطريق َجدين وطرشيحا ، ولكنه خالٍ من الشرح الوصفي .

العام ١٨٤٤ مرّ الدكتور سمث والمستر كلهون بالقرب من عكا بطريق عمقه وسحماتا الى رميش وقدس وبانياس، ودوّنا مشاهداتهما على هذا الطريق الهام، ولكني لم انشر منها شيئاً بعد. وفي العام ١٨٤٧، اي بعد ثلاث سنين، زار E. S. Schulz قنصل بروسيا في القدس، قلعتي جدين وقُرين، وذهب من صفد بطريق رميش الى تبنين، ولكن Ritter استقل بخطوطته اليومية في الاعمال الهامة التي يقوم بها [٣٠٦].

اقلعنا عن فكرة الذهاب الى قلعة شمع، لان الطقس بارد والريح تهب عاصفة، ورجعنا الى الرامة. سرنا الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين، ودليلنا هو نفسه، على الطريق التي سرنا عليها البارحة. وبعد عشرين دقيقة كنا على مفرق الطرق، منها طريق يؤدي الى عيته. التقينا في الطريق بصياد حجال يحمل قالباً خفيفاً من القصب مغطىً بستار مخطط، ترك فيه ثقباً لبندقيته، وهو يختبىء وراء هذا الستار الذي يجتذب اليه العصافير بالوانه الزاهية، كما يقال. تركنا المفرق الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة، وانحدرنا عبر راس وادي خلة الوردة المذكورة البارحة، باتجاه الجنوب الشرقي بجنوب، فدخلنا فم وادٍ جانبي آتٍ من تحت الجهة الجنوبية من تلة عيته. ثم لم نلبث أن تحولنا صعداً الى وادٍ آخر منحدر عن شمال الاكمة نفسها وغربها. وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين دخلنا حوض ارض صغيراً فيه بركة ماء. هنا قطعت طريقنا طريقٌ من دِبل الى عيته التي اصبحت عن يميننا. تابعنا صعودنا تدريجاً. وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين، خرجنا الى حوض ارض اكبر هو

قطعة جميلة محروثة يكوّن مقلب الماء بين شُعَب وادي خلة الوردة الذاهب الى وادي القرن ، وواد آخر امامنا ينحدر الى وادي العيون ٣٠٧ . لم يزل اتجاهنا العام نحو الجنوب الشرقي بجنوب . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين كنا على بركة هادئة في الطرف الابعد من السهل على مدخل واد سرنا فيه نزولاً ، فلم نلبث ان وصلنا فيه الى وهدة صخرية ، في جانبها الايسر قبر بابه وطيء ، وغرفة مقدودة في الصخر . ثم ينعطف الوادي تحت الوهدة بضع يردات الى اليسار ، وينضم الى وادي العيون الذي رجع الى انكماشه . تابعنا السير فوق حرف جبل منخفض ، الى جهته اليسرى تل على مفرق الواديين ، حيث خرائب كورة الصغيرة . دخلنا وادي العيون الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة ، فلم يلبث ان انفسح الى سهل كبير جميل ، تحيط به الآكام من بعيد . وصلنا الى رميش الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين ، وهي واقعة في جنوبي السهل ، جنوباً ١٠ درجات شرقاً .

ورميش قرية مارونية كبيرة ، سكانها الذكور مئتان حسب الاحصاء ، تحيط بها حقول خصبة تكفي محاصيلها القرية . اشترينا منها تيناً يابساً وخلافه لنا ، وشعيراً لخيلنا مما لم نجده في الرامة . تحيط بالقرية عدة برك بعضها طبيعي والبعض الآخر صناعي . البارحة سرق عشرون راس ماعزاً من القرية ، فاتهم العرب الرحّل بالسرقة .

يدخل هذا القسم من السهل ثلاثةُ اودية مجتمعة من جهات مختلفة . فالوادي الواقع في الوسط يأتي من جهة بين الجنوب والجنوب الشرقي ويصعد فيه طريق الى سعسع وكفر برعم

وصفد ٣٠٨ . وآخر يأتي من الجنوب الغربي ، يسير فيه طريق من سحماتا . والثالث يبدأ من بنت جبيل ، وقد رأيناه سابقاً باسم وادي الرميش ٣٠٩ . ومن ثم ينزل متعرجاً اشجر الى هذه القرية ، وينضم الى الآخرَين فيتكوّن من الثلاثة وادي العيون الذي يمر مجرى مائه وسط السهل .

في العام ١٨٤٤ كانت طريق رفيقي من سحماتا الى بنت جبيل في الواديين الاخيرين . تركنا رميش الظهر واصطحبنا دليلا راجلا لمرافقتنا ما بقي من النهار ، وسرنا فوق ما خلناه دمنة القرية العامة ، فدخلنا طريق صفد في الوادي الاوسط . كنا في حيرة بين ان نذهب الى سعسع او الى كفر برعم ، ولكننا قررنا المبيت في كفر برعم ، ثم الذهاب في نزهة الى سعسع ، اذ لدينا متسع من الوقت . ولكن افسد علينا قرارنا اشتداد عصف الريح وقرس البرد . الوادي خصب ومحروث ولكنه غير متسع ، تحيط به التلال من جانبيه ، وقد غاب عنا تدوين اسمه . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين كان الى يميننا موقع بياض المرتفع وخرائبه . بالقرب من هذا المكان تتحول طريق سعسع الى اليمين صعداً في واد جانبي . الساعة الواحدة ظهرت لنا كفر برعم على اكمة في راس الوادي ، ثم سعسع من خلال ثلمة على اليمين ٣١٠ . هنا صارت التلال صخرية اكثر من ذي قبل ، والوادي اضيق ، ولكن فوقها قليلا صارت الارض اكثر حرثاً . تسلقنا التلة العالية الواقعة على الجانب الشرقي من الوادي حيث تقع كفر برعم ، فوصلناها الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والعشرين .

منعنا اشتداد الريح وقرس البرد من ضرب خيمتنا . الحرارة ٥١ فرنهيت . دُعينا الى بيت الكاهن الياس ، وهو عجوز في نحو السبعين من عمره ، قضى خمساً واربعين سنة يكهن لهذه القرية المارونية . بيته رحب ، ويلتف حوله خمسة وعشرون شخصاً من عائلته بين نساء واولاد . تشغل غرف العائلة والاصطبلات الدور الاول ، كما ان هناك اصطبلات اخرى حول الساحة . ترجلنا في الساحة ثم دخلنا من باب صغير وطيء وزحفنا على درج وطيء وضيق مبني في الحائط الى الغرفة العليا الكبيرة المخصصة للاستقبال والضيوف . وهذه الغرفة تشغل كل الدور الاعلى . بنيت فيها ثلاث قناطر وضعت فوقها جوائز السطح . للغرفة ثلاث نوافذ اثنتان مقفلتان بسبب الريح مما جعل الظلام يخيم على معظم انحاء الغرفة . اضرمت النار في كل غرفة ، وفي غرفتنا كان الموقد المصنوع من الطين على شكل حوض او مقلاة في وسط الغرفة . في جانب من الغرفة بسطت السجاجيد والمساند فدعينا للجلوس او التمدد عليها بصفتنا ضيوفاً . في الجانب الآخر جلس مضيفنا وشيخ القرية وبعض الجيران حول النار ، وبديهي ان لا يتركونا وحدنا . راقبوا جيداً وبشيء من الاستغراب كيفية الحلاقة ، ودُهشوا من نسق كتابتنا ، ولازمونا بينما كنا نتناول طعام الظهر . واحضر لنا مضيفنا خبزاً ولبناً وزبداً ، والزبد من حليب الماعز . ولكنا رأينا بنتاً تحلب بقرة . في احدى غرف الدور الاول مهد طفل على النمط الاوروبي ، قيل انه معروف شائع .

جلنا حول القرية وفحصنا الخرائب وسيأتي وصفها فيما بعد . موقعها في بقعة جميلة ، سكانها موارنة ، منهم مئة وستون ذكراً

حسب الاحصاء . امامنا في الجنوب الغربي على تلة بارزة قلعة سعسع القديمة واضحة تمام الوضوح ، تبعد نصف ساعة سيراً على الطريق ، واقل من ميل في خط مستقيم ، وهي الآن خربة كما قيل لنا . ويظن شلز Schulz انها كاستلوم راجيس الصليبيين Castellum Regis [٣١١]. في الشرق قرية علما ، ذكر بنيامين التودلي وغيره من السياح اليهود ان فيها عدة قبور لرجال قديسين [٣١٢] . وكنا نرى امكنة اخرى مررنا بها قبلاً في طريقنا [٣١٣] .

نصبنا سريرنا في الليل منعاً للمتطفلين . نام الكاهن العجوز معنا في الغرفة ملتحفاً احراماً ، على فراش رقيق بسطه على الارض ، ولولاه كنا في خلوة . وازدحمت الساحة ليلاً ، وهي مكان امان ، بالخيل والبقر والمواشي الصغيرة والعجول والبغال والحمير والكلاب والجمال والقطط والدواجن .

اما الاشياء الجديرة بالاهتمام في كفر برعم فهي بقايا بنائين بدت لنا غامضة اول الامر . احدهما في الجهة الشمالية الشرقية من القرية ، يشتمل على واجهة بناء يواجه الجنوب ، امامه صفّان من الاعمدة المصنوعة من الحجر الكلسي خاصة برواق . الجدار الامامي من حجارة منحوتة ملساء بعضها من الحجر الضخم . في الوسط باب كبير متناسق ، على جانبيه ركيستان منقوشتان ، تعلوه عتبة منقوشة ، في وسطها اكليل . فوق الباب تاج (كرنيش) ، ثم قنطرة مستديرة منقنة يزين دائرتها اكليل . على كلا جانبي الباب الكبير باب اصغر ، يعلو كلاً منهما تاج يختلف نقشه عن نقش الآخر . فوق كل من هذين البابين الصغيرين نافذة صغيرة مغطاة بحجر مزخرف . واكثر العمد في الصف الخارجي او الامامي قائمة في

مكانها . رؤوس الاعمدة تظهر اولاً كأنها دورية Dorie ، ولكنها مصنوعة من حلقات متتابعة تستدق وتصغر حتى تصل الى العمود . بعض هـذه الاعمدة يحتفظ بتيجانه ، لكن الرواق قضي عليـه بالخراب . اما البناء الرئيسي فقد هدم وحل مكانه في قسم مـن ساحته مسكن حقير يُدخل اليه من احد البابين الصغيرين . ولم يبق سوى عمود او اثنين قائمين في هذه الساحة ، مما يدل على سبق وجود صف او صفوف مـن الاعمدة في الداخل . وفي الزاوية وراء العمودين عمود قائم ، وهو مربع من الخارج ومستدير من الداخل كأنه عمودان كالعمد التي شاهدناها في بلاط .

اما الطلل الآخر فيقع في الحقول الشمالية الشرقية ويبعد ربع ميل . وهذا البناء يشبه البنـــاء المذكور اعلاه ، ولكنه تهدم ومضى لسبيله ، ولم يبق منه سوى الباب في الوسط والركيستان المنقوشتان على جانبيه ، والساكفة المنقوشة وفي وسطها اكليل ، وفي اسفلها حيز طويل ضيق عليه كتابة محفورة بالاحرف العبرية العادية او الشكل المربع . ولكن تقلّب الطقس شوّه الاحرف ، ولم نتمكن من نسخها لان الريح كانت تعصف شديـدة والبرد قارس . والكلمة الاولى ، وهي سلام ، هي الوحيـدة الواضحة . وقد رأينا نسختين من هذه الكتابة وهما من نسخ المستر تومسون والمستر فـان دي فالد Van de Velde ، ولكنهما مختلفتـان الواحدة عن الاخرى ، ولم يتمكن المستر نيكوليسون Nicolayson ولا غيره من الحاخامين فهم معناها . وقد عرفنا بعد ذلك مـن المستر فِن Finn القنصل الانكليزي في القدس انه زار المكان مع رئيس حاخامي صفد في ظروف ملائمة ، وان الحاخام قرر ان

الكتابة تدعو لمؤسس البناء بالسلام، ولكن بدون اسم واضح او تاريخ. وقـد فحصت خصيصاً عما اذا كانت الكتابة زيدت في عصر متأخر، ولكن كل الظواهر تدل على انها معاصرة للنقوش التي فوقها *.

الاربعاء ١٤ نيسان. — تركنا كفر برعم الساعة السابعة والدقيقة العاشرة واصطحبنا دليلاً الى ميرون. تابعنا سيرنا الى جانب الوادي الذي خرجنا منه البارحة، فوصلنا بدون ابطاء الى حرف جبل بينه وبين وادي ناصر، وهو ينحدر شمالاً ٦٠ درجة شرقاً لينضم الى وادي المعضمية الكبير. وهذا الحرف المذكور يكوّن مقلب الماء بين الاردن والمتوسط. رأينا من هنا جبل الشيخ بجلاله وجماله تحت اشعة شمس الصباح المشرقة، بينما جبل الجرمق عن يميننـا تكفنه الغيوم التي لم تلبث ان انقشعت. وكانت سعسَع امامنا واضحة كل الوضوح. وصلنا الى بطن وادي ناصر الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين، ثم بعد خمس دقائق كنا على حرف الجبل التالي ٣١٤. اطللنا من هنا على وادٍ آخر موازٍ لذاك وهو وادي خلال سبع، آتٍ من الناحية الشمالية الغربيـة من جبل الجرمق، ثم ينفرج عن سهل عند سفح هذا الجبل الشمالي، فينضم الى وادي ناصر ويدخلان معاً الى المعضمية عـلى مسافة نصف ساعة تحت الجش ٣١٥ التي رأيناها امامنا، كما رأينا صفد عـلى تلتها العالية. هبطنا وادي خلال، فعبرنا مجرى الماء وبدأنا نصعد تدريجاً ٣١٦، فوصلنا الساعة الثامنة والدقيقـة الثلاثين الى قمة

* حذفنا هنا صفحة لا علاقة لها بالموضوع. — المعرب.

حرف جبل منخفض يخرج من زاوية جبل الجرمق الشمالية الشرقية .

اما اعلى قمة في هذا الجبل كله فهي هنا على زاويته الشمالية الشرقية تشمخ كالبرج المشيد عن يميننا . وفي الشمال الشرقي على الصعيد الذي يفصل مياه الحولة عن البحر المتوسط ، يقع جبل عداثير ، وهو قمة مخروطية الشكل منعزلة عن يسار سعسع وجنوبي رميش . وقد استعان به رفيقي في رحلته العام ١٨٤٤ ليستدل منه على اتجاه تنقلاته [٣١٧] . عن يسارنا سهل او حوض ارض جميل يمتد الى الجش ، ولكن جهته الجنوبية الغربية تنزح الى بحيرة طبريا بواسطة وادي الطواحين ووادي العمود . اصبحت طريقنا الآن تتدرج نزولاً الى الجانب الشرقي من سفح الجبال التي تمتد من الشمال الى الجنوب . الساعة الثامنة والدقيقة الاربعين ظهرت لنا صفصاف ، وهي مزرعة صغيرة في القسم الشرقي من سهل الجش . مررنا اولاً في بقعة ارض صخرية ثم في بقعة محروثة فيها الكثير من اشجار الزيتون القديمة . الساعة التاسعة وصلنا الى مفترق طرق يتجه اكثر الى اليمين ، الى ميرون . اما الطريق المستقيمة فتؤدي الى سموعي ، وتدور حول الجناح الجنوبي الشرقي من الجبل الى الرامة ، ويقال انها سهلة ومستوية .

تحوّلنا الى ميرون ، وهي قرية قديمة واقعة على صف من الصخور الخشنة بالقرب من اسفل الجبل . الطريق اليها قديم ومنحدر . تحت القرية عن يميننا قبور نقرت في الصخور . في مكان واحد مدّت اربع قناطر او عقود في جبهة الصخر بجانب بعضها ، عبر كل منها ناووس . يتسع عمق السرداب لناووس

واحد ، وأحدهـا يتسع لناووسين . وهذه الاضرحة تختلف كل الاختلاف عن سائر الاضرحة التي رأيناهـا حتى الآن . ابعد قليلاً الى فوق ، رأينا اثنين لا يختلفان عنها . وصلنا القرية الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة ، فاذا بها قرية صغيرة سكانها مسلمون . تحتها الى الشرق ، سهل جميل اكثر انخفاضاً من السهل الواقع باتجاه الجش ، وينزح الى الجنوب الشرقي الى واد في الجنوب الغربي من صفد . في الوادي ، جنوبي ميرون ، ينبوع غزير كما قيل لنا ٣١٨ . *

كانت خطتنا الذهاب من ميرون الى الرامة ، إما بمتابعة السير في السهل الى سموعي ثم على طريق صفد ـ الرامة بجانب الجناح الجنوبي الشرقي من جبل الجرمق ، او بتسلق سلسلة الجبل الرئيسية وعبورها الى بيت جن . فاخترنا الطريق الثاني لانه يتيح لنا رؤية الجبال والريف المجاور . وجدنا بعض الصعوبة في انتقـاء دليل ، ولكنا وجدنا اخيراً رجلاً كهلاً رافقنا ماشياً . وبدأنا السير الساعة العاشرة ، فتسلقنا وادياً صغيراً منحدراً باتجاه الشمال ٦٠ درجة غرباً . وبعد عشرين دقيقة وصلنا الى مفترق تسير شعبة منه الى اليمين عبر الوادي الى قرية الجرمق . خرجنا من الوادي وانحرفنا الى اليسار فوصلنـا الى جانب المنحدر الساعة العـاشرة والدقيقة الثلاثين ٣١٩ . هنا وجدنا خمس شجرات زيتون جد قديمة . تابعنا صعودنا تدريجاً فرأينا بحيرة طبريا . الساعة العـاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين كنا على صعيد مرتفع ، فيه بركة ماء اسمهـا بركة زِبود ، وهو اسم طلل قريب منها ، ويسمى الجبل احياناً

* اهملنا صفحتين لا علاقة لهما ـ بالموضوع . المعرب .

جبل زبود .

تابعنا السير عبر السهل ، فوصلنا حاجب السلسلة الغربي الساعة الحادية عشرة . اشرفنا على الوادي العميق المتسع امامنا ، وهو يجري الى الشمال الغربي الى وادي القرن ، ومن ورائه بيت جن في منتصف الطريق على جانب الجبل . كانت قرية الجرمق الدرزية [٣٢٠] عن يميننا على حرف جبل مرتفع وراء رأس واد قصير ينحدر الى الشمال الغربي من وادي القرن . تبعد قرية الجرمق ساعة عن ميرون . وقد زارها العام ١٨٣٩ السيدان بونار Bonar وماك شين Mc Cheyne ، وهي واقعة على حاجب الجبل الغربي المنبسط ، وتشرف على الجليل ، ويقال انها مهجورة في الوقت الحاضر [٣٢١] .

بدأنا ننحدر الى الوادي الكبير . الطريق ينحدر مسافة قصيرة عن يمين وادٍ جانبي طويل ، ثم يسير اكثر الى اليمين ويتابع انحداره عن يسار وادٍ اقصر من الوادي السابق وكثير الانحدار . وصلنا بطن الوادي الكبير الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين ، وهو يجري شمالاً ٤٥ درجة غرباً . لم نعرف اسمه في هذا الموضع ، ومن المرجح انه وادي بيت جن ، ويسمى وادي حبيس بعد مسافة قصيرة الى تحت . هبطناه نزولاً ودرنا حول رأس صغير فاذا بنا امام وادٍ آخر صغير على موازاة الوادي الذي نحن فيه تقريباً يجري فيه جدول رائق ، فبدأنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين نصعد بانحدار باتجاه بيت جن ، فوصلناها الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة .

بيت جن قرية كبيرة عامرة . بيوتها مبنية بالحجارة الكلسية

المكونة منها الجبال القريبة . لحظت على احد السطوح محدلة من الحجر البركاني الاسود قد تكون جلبت من مكان بعيد . عدد سكانها الذكور مئتان وستون ، وكلهم دروز . لا توجد فيها آثار قديمة سوى قبر منفرد في جنوبي القرية . زارها استيفان شلز العام ١٧٥٤ قادماً من البقيعة . وهو يذكر ان سكانها يشتغلون بصنع الزقاق من الجلود ، ويطنب في وصف لذة العنب وكبر عنقوده الذي يزن عشر ليبرات او اثنتي عشرة [٣٢٢] ، مع ان منظر هذه الجبال والمنحدرات كما رأيناها في نيسان عارٍ وقاحل ومقفر الى درجة متناهية .

في الجنوب الغربي تحت القرية حوض ارض وبركة ماء . يخرج من الحوض وادٍ ويشق سلسلة الجبل الغربية حتى سهل البقيعة وراءه . والى شمال هذا الوادي طريق عبر السلسلة من بيت جن الى القرية الكبيرة البقيعة ، وهي قرية درزية واقعة في ذلك الحوض . ويقول استيفان شلز ان طول السهل من الشمال الى الجنوب لا يقل عن ساعة ، وعرضه نصف ساعة ، تحيط به تلال مرتفعة [٣٢٣] . يجري في هذا السهل جدول صغير يخرج من ينبوع القرية ، الواقع في جنوبي السهل في بقعة ارض محروثة . يخرج مجرى وادي البقيعة من هذه البقعة المحروثة وينحدر في السهل ، ثم يخرج منه الى الغرب في مضيق عميق يفصل سحماتا عن طرشيحا . ضفاف هذا المضيق عالية جداً وهاوية في بعض المواضع [٣٢٤] . تبعد قرية البقيعة ساعة عن سحماتا . اكثرية سكانها دروز ، ويقول شلز انه وجد فيها عشر عائلات يهودية يومئذ . اما الآن فلم يبق منها سوى عشرين شخصاً تقريباً [٣٢٥] ، يشتغلون بحراثة الارض كما يفعل

الفلاحون . وقد اكد لنا الحبر بعد ذلك القس المستر رايتشارد Reichard الذي تعرّفنا عليه في القدس . وهذه اول مرة نسمع ان اليهود يشتغلون بالحراثة . لذلك يعتقد البعض ان يهود البقيعة من اليهود الذين سكنوا قديماً في تلك القرية ولم يطردهم اسياد البلاد ، مسيحيين كانوا او مسلمين . سكنوا مطمئنين في هذه الجبال البعيدة عن الطرق الحربيـة وطرق السياحة ، وعن مواقع الحج اليهودية .

نحن في بيت جن بين شعب وادي القرن الرئيسيـة ، فهي تنحدر من الجبال وتنزح سائر اقليم الجبل . اما سلسلة جبل الجرمق الرئيسية فهي تلك التي قطعناها في القسم الاكثر انخفاضاً منها . اعلى قممها في الشمال قمة الجليل ، وفي الجنوب لا تبلغ هـذا الارتفاع . طولها ساعتان او اقل ، وتفصل بين اقليميّ الجبل وصفد . في الجنوب الغربي من صفد ، وبالقرب من سموعي ، تنحدر بانخفاض الى الجنوب وتحجب الرامة من الشرق ، ولكن السلسلة الرئيسيـة تتحول جنوباً في زاوية مستقيمة وتتاخم سهل الرامة في الشمال ، وهي اعلى من سائر سلاسل الجبال الموازية لها في الجليل الاسفل . وهي تقع بين اقليمي الجبل والشاغور . يخرج وادي بيت جن من الفجوات الداخلية في زاوية هذا الجبل الجنوبيـة الشرقية ، وينحدر الى الشمال الغربي ، فينضم الى وادي البقيعة باسم وادي حبيس على بعض المسافة تحت سحماتا وراء آخر حرف الجبـل الذي يفصلهما في الجنوب . قبل هذا الاتصال ينضم وادي برزه الى وادي حبيس من اليسار ، ومن اليمين وادي حرفش المنحدر من تحت قرية الجرمق . ويمكن القول ان حرف الجبل ، الواقع بين

بيت جن والبقيعة ، يفصل زاوية الجبل الداخلية المستقيمة الى زاويتين حادتين ، كل منهما تنزح الى شعبة رئيسية في وادي القرن . وتفصل اقليم الجبل من بلاد بشاره في الشمال الارض المرتفعة الممتدة صعداً من راس الناقورة شرقاً .

هذه المجموعة من الجبال كانت احياناً تعتبر انها أسمون Asamon التي يذكرها يوسيفوس ، والتي لجأ اليها مرة عصاة ولصوص هربوا من صفورية Sepphoris . ولكن هذا الجبل يقع في وسط الجليل وتجاه صفورية ، والوصف ينطبق اكثر على السلسلة المزدوجة المتاخمة البطوف من الشمال ٣٢٧.

تركنا بيت جن الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ودرجنا على طريق الرامة برفقة دليل جديد راجل . سار الطريق اولاً بجانب حرف جبل منخفض بين الوادي الصغير الذي صعدنا فيه ، وحوض الارض الصغير في الجنوب الغربي ٣٢٨ . ثم انحرف اكثر الى الغرب بجانب منخفض ، او ظهر في الجبل باتجاه عام بين الجنوب والجنوب الشرقي . الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة ، اي بعد نصف ساعة سير من بيت جن ، وصلنا فجأة حاجب الجبل الهاوي ، وهو يمتد هنا من الشرق الى الغرب ، ويشرف على اقليم جميل يمتد من خليج عكا الى بحيرة طبريا . على جانبه الواحد الكرمل وعلى الجانب الآخر جبل طابور . سرنا خمس دقائق ودرنا حول شاهق بارز لنتمكن من الاحاطة بالمنظر كله . امامنا الآن اقليم الشاغور ، وهو سهول تمتد من الشرق الى الغرب تفصل بينها سلاسل آكام متوازية صخرية مرتفعة ، ولكنها كلها اقل ارتفاعاً من الاكمة الواقفون عليها الآن . وعلى انخفاض نحو الف وخمسماية

قدم تحتنا مباشرة سهل الرامة الخصب المحروث ، وقرية الرامة على منحدر الجبل الاكثر انخفاضاً . في هذا السهل يمر الطريق من عكا الى صفد ، وكذلك الى دمشق بطريق خان جب يوسف والجسر. على حرف الجبل التالي يرتفع تل مشهور بين الشرق والجنوب هو تل حاظور ، ووراءه سهل ثانٍ يقسمه حرف جبل معترض. حرف آخر موازٍ له يتاخم سهل البطوف الكبير وراءه . ثم حرف اقصر شرقي صفورية بين البطوف وسهل طُرعان .

يحجب سهل الرامة من الشرق الحرف المنخفض الممتد الى الجنوب من زاوية جبل الجرمق ، ومن الغرب تحجبه الآكام الصخرية الهاوية التي تطل على سهل عكا . في الطرف الغربي ثغرة كأنها مخرج اخدود ، ولكنها طريق وليس فيها مجرى للماء. القسم الشرقي من السهل حتى رامة ينزح الى وادي سلامه . يتسرب من الشرق ويخرج من ثغرة في السلسلة الجنوبية غربي تل حاظور تماماً ، ثم يتحول شرقاً وسط السهل التالي ويجري الى بحيرة طبريا باسم وادي سلامه . اما حوض الارض الجميل الغربي في سهل الرامة فينزح الى راس وادي شعب الذي يمر في ثغرة في السلسلة الجنوبية ، ويتحول غرباً الى سهل عكا . هنا ينضم مجراه الى نهر نعمان . في السهل وراء هذه السلسلة الجنوبية ، وعن يسار الثغرة الثانية المذكورة اعلاه ، قريتا عرابه وسخنين . وهذه الاخيرة هي قاعدة الشاغور [٣٢٩] .

المنظر من هذا الحرف من اجمل وافسح المناظر في فلسطين. ولا يضارعه منظر آخر من سائر المناظر التي تمتعنا بها في رحلتنا الحالية . وهذا الحرف يشكل الحد الفاصل النهائي بين الجليل

الاعلى والجليل الاسفل ٣٣٠ .

تابعنا السير الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، فهبطنا منحدراً طويلاً الى الرامة ، فوصلناها الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين ، بعد ساعة من السير ، لان احد البغال سقط ولم يستطع النهوض محملاً ، فاضطررنا الى رفع حمله . تقع القرية في بقعة محروثة على اسفل منحدر الجبل ، ولكنها تعلو مئات الاقدام عن السهل تحتها . وهي قرية كبيرة ، عليها مظاهر الثراء والعمران ، سكانها مسيحيون ودروز ، والمسيحيون ارثوذكس وكاثوليك ، ويقدّرون بثلثي السكان تقريباً . والقرية محاطة ببساتين متسعة من الزيتون . وكان الكثيرون من سكان القرية جالسين على الطريق قرب مدخلها ، فلم يكلفوا انفسهم الاجابة على اسئلة الغرباء ٣٣١ * . لم نسمع بوجود آثار قديمة في القرية ، ولكننا سمعنا بوجود آثار في تل حاظور فقررنا زيارتها ، فنبيت ليلتنا في مغار ، وهي قرية على منحدر التل الجنوبي الشرقي . تركنا الرامة الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة ، وسرنا باتجاه الجنوب الشرقي في السهل المتموج بالالوان المختلفة ، تملأه اشجار الزيتون القديمة ، تشكل دغلاً كبيراً كالادغال التي بالقرب من غزة وبيروت . وهذه الادغال ، كما سمعنا في انحاء كثيرة من البلاد ، يسميها السكان رومي ، اي يوناني ، اعتقاداً منهم انها دخلت الى البلاد قبل الفتح الاسلامي ، وهو اعتقاد يصعب تعليله . وصلنا الى طريق دمشق الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين . الساعة الثالثة والدقيقة

* ضربنا هنا صفحاً عن نطعة لا علاقة لها بالموضوع . — المعرب .

الخامسة والاربعين ، انفصل طريقنا عن طريق دمشق ، وتحولنا الى اليمين ، فعبرنا مجرى ماء جافاً تقريباً . السهل خصب جداً والتربة صلصالية حمراء . الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة ، وصلنا الى قمة السلسلة الى شرقي التل ، فأشرفنا على وادي سلامة . وصلنا الى مغار الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين ، وضربنا خيمتنا شرقي القرية .

القرية كبيرة واقعة على منتصف أحدور التل المنحدر ، اتجاهها بين الجنوب والجنوب الشرقي[٣٣٢] . بيوتها وطرقاتها يتدرج بعضها فوق البعض الآخر على شكل جلالي او مدرجات . سطوح بيوتها مسطحة ، وعلى الكثير منها اماكن للمنامة في الصيف . وهذه اول مرة رأيت مثلها في مغار والرامة . وهذه الاماكن تظهر كأنها دكات من الحجارة او الطين ، تحيط بها عيدان محبوكة . رأينا في قرى اخرى حجباً او ستائر مصنوعة من اغصان خضراء او اشذاب . ثلثا سكان مغار دروز ، والثلث كاثوليك ومسلمون . والمسلمون والكاثوليك يزرعون الارض ويدفعون الضرائب معاً . يدفع سكان مغار اربعين الف قرش ضريبة عن الاملاك ، وخمسة قروش عن كل شجرة زيتون ، لان ادغال الزيتون الكثيرة الواسعة في وادي سلامة تملكها الحكومة . لا آثار قديمة في مغار سوى ناووسين مقدودين في صخر الى شمالي القرية ، وعدد من المغائر في صف من الصخور في الجهة نفسها ، اعلى قليلاً من الناووسين . ويظهر ان المغائر ليست صناعية . وقد يكون اصل تسمية مغار من مغارة قديمة لم يرد ذكرها ، ولم يصلنا شيء عنها[٣٣٣] .

عكا *

ليست عكا نفسها سوى حصن في البحر . فهي مبنية على نتوء منخفض مستطيل بارز من السهل ، يكون الحد الشمالي للخليج الكبير . كان موقع الميناء القديم عند الطرف الجنوبي الغربي الذي تمتد منه خرائب ممر سابق الى الشاطىء . ترسو السفن الآن في ميناء حيفا المقابل تحت الكرمل لان مرفأ عكا قليل الغور وخطر . وتحرس المدينة ، من جهة البحر على الجانبين ، تحصينات ضخمة . وددت لو يتاح لي مشاهدة تلك الجدران والابراج الجسيمة المتلازة ! انها لنزهة فخمة ولكنها غير مباحة للعموم . في الزاوية الشمالية الشرقية ، قصر مهدم ، دمرته قنابل العام ١٨٤٠ ** . الى جهة البر ، سور مزدوج ، بنى جداره الداخلي الجزّار باشا ، بعد انسحاب الفرنسيين العام ١٧٩٩ ٣٣٤ . يظهر ان الاكمة المتسعة المنخفضة الواقعة شرقي المدينة هي تورون Turon الصليبيين ، وهي التي عسكر عليها الملك غويدو Guido الاورشليمي في اثناء حصار عكا ٣٣٥ ، ونصب عليها الفرنسيون بطارياتهم العام ١٧٩٩ .

شوارع عكا اكثر اتساعاً من شوارع بيروت ، والمدينة اكثر

* لم تثبت كل ما كتبه المؤلف عن عكا وتاريخها وما ذكره السياح عنها . بل اقتصرنا على ما له علاقة مباشرة بالموضوع مع بعض التوسع كي لا يفوت القارىء تسلسل الحوادث وتشابكها . — المعرب .

** في العام ١٨٤٠ اطلق الاسطول الانكليزي والاسطول النمساوي قنابلها على بيروت وصور وصيدا وحيفا وعكا . — المعرب .

انطلاقاً. تظلل الاشجار ساحة الجامع الكبير الذي بناه الجزّار، وتبهج الناظر (الفسقيات) النوافير التي شيدها فيها. تصل المياه الى المدينة بواسطة قناة بناهـا الجزار تمتد من الشمال الشرقي، ولكنها الآن مخربة، والماء يُجلب من نبع يبعد مسافة ميل * .

عندما احتل الخليفة عمر بن الخطاب القدس العام ٦٣٧ م، تابعت جيوشه المظفرة اخضاع فلسطين. وبعد استسلام قيصرية، لبت سائر المدن الباقية بما فيها عكا نداء الغزاة واستسلمت، دون مقاومة، العام ٦٣٨ م [٣٣٦] .

لم يصلنـا الا القليل عن عكا في تلك الحقبة الطويلة بين الاحتلال العربي والحروب الصليبية. في العام ١٠٩٩ وصلت اول حملة صليبية الى الشرق، ولم تتعرض لعكا وغيرهـا من المدن بل تركتها بيد المسلمين، لان هدفها الاول كان الاسراع بالوصول الى القدس. فاخذت عهداً على حاكم عكا بتسليمها المدينة بعد ان تحتل القدس ما لم تحله بعد ذلك [٣٣٧] ، ولكنه اخلف وعده. في العام ١١٠٣ عسكر الملك بولدوين الاول على رأس جيش من خمسة الاف رجل امام عكا. اعتبر الـلاتين احتلال عكا بالغ الاهمية، نظراً لسعة مينائها وصيانته، لانه في ذلك الوقت كان ضمن اسوار المدينة [٣٣٨] . ظـل المسيحيون يشددون الحصار على المدينة طيـلة خمسة اسابيع، ولكن وصول اسطول، من صور وطرابلس لنجدة الحامية، اضطرهم الى سحب قواتهم [٣٣٩] . جدد الملك بولدوين الحصار في الربيع التالي، العـام ١١٠٤، يعاونه

* ضربنا صفحاً عن صفحة كاملة لا علاقة مباشرة لها بالموضوع. — المعرب.

بذلك اسطول جنوي ، فسلمت المدينة الى المسيحيين بعد عشرين يوماً من حصار امتاز بشدته وقوته [٣٤٠] .

اصبحت عكا ، بعد القدس ، اهم مدينة للصليبيين في الارض المقدسة ، وانتهت الى صيرورتها مقراً للملوك المسيحيين . فتوالت على مينائها اساطيل البيزيين والجنويين والبندقيين وغيرها ، حاملة الصليبيين والحجاج ، ومشحونة بالمؤن والسلع التجارية والبضائع [٣٤١] . وهذا ما يفسر قيام التحصينات الضخمة وتشييد القصور الكثيرة والمستشفيات ومصانع الاسلحة ومستودعات البضائع التي زادت في مناعة المدينة واهميتها . في العام ١١٤٨ اجتمع في عكا مجلس خاص كبير للتداول في شؤون مملكة القدس ، اقتصر على ثلاثة ملوك هم كونراد الثالث الهوهنستوفين Conrad III of Hohenstaufen ، ولويس السابع الفرنسي Louis VII of France ، وبولدوين الثالث الاورشليمي Boldwin III of Jerusalem ، عدا عن عدد كبير من الامراء والبارونات الروحيين والعلمانيين ، بينهم الاستاذان الساميان للرتبتين الكبيرتين : الهيكليين والمستشفيين [٣٤٢] *

ولكن بالرغم من غناها وجلالها وقوتها وما توصلت اليه طيلة ثمانين عاماً من السطوة والرخاء ، فقد استسلمت عكا في العام ١١٨٧ الى صلاح الدين ، دون اية مقاومة ، وبعد يومين من معركة حطين الفاجعة . اما الغنيمة التي غنمها الفاتح فانها لاتحصى [٣٤٣] .

غير ان الاستيلاء على عكا ، التي تعتبر مفتاح سوريا ، كان ضرورياً

* نسبة الى الهيكل والمستشفى ، وهما منظمتان دينيتان وحربيتان زمن الحروب الصليبية . — المعرب .

للمسيحيين ، ولم يكن من مصلحتهم تركها للمسلمين ، دون ان يبذلوا جهوداً لاسترجاعها . حوالى آخر آب من العام ١١٨٩، عسكر الملك غويدو Guido على رأس قوة تربو على العشرة آلاف رجل ، على اكمة تورون Turon الى الجهة الشرقية من عكا . لم يجدِ عكا نفعاً ما بذله صلاح الدين في تقوية تحصينها ، فقد تمكن الصليبيون حالاً من حصارها براً ، بينما قطع عنها طريق البحر اسطول بيزي Pisan . كان صلاح الدين وقتئذ منهمكاً بمحاصرة قلعة الشقيف (بالفور) ، فاسرع لنجدة عكا ، ولكنه لم يتمكن الا من الحومان حول اطراف المخيم المسيحي . دام الحصار سجالاً بين الفريقين المتحاربين ما يقرب من سنتين . ولكن وصول فيليب اغسطوس Philip Augustus ملك فرنسا ، في نيسان العام ١١٩١ ، وريتشارد Richard الانكليزي ، في حزيران بعده ، على رأس قوات جديدة ، انعش الامل في صدور المحاصرين واعاد الثقة الى نفوسهم ، وأوقع اليأس في قلوب المحاصَرين . وفي الثاني عشر من تموز سُلمت عكا ثانية الى المسيحيين وانتقلت اليهم ثروتها الطائلة من الذهب والفضة ، ومخازن الاسلحة ، ومستودعات المؤن وسائر المراكب الحربية والتجارية الراسية في الميناء [٣٤٤] .

ظلت المدينة طيلة قرن خاضعة للمسيحيين . وتضررت كثيراً من جراء الزلزال الذي حدث في ايار من العام ١٢٠٢ [٣٤٥] . وفي العام ١٢٢٩ صارت المقر الرئيسي لمملكة اورشليم ، وملتقى الصليبيين [٣٤٦] . لم تكتفِ عكا بصيرورتها (بلاطاً) ملكياً ، بل اصبحت ايضاً المقر العام لجماعات الفرسان الهيكليين ، ومار يوحنا الاورشليمي St. John of Jerusalem ، والتوتونيين ، واطلق فرسان

مار يوحنا الاورشليمي على انفسهم اسم فرسان مار يوحنا العكاوي المعروف عند الفرنسيين بـ St. Jean d'Acre . واصبحت عكا فيما بعد تعرف بهذا الاسم في اوروبا [٣٤٧]. وقد احرز الفرسان التوتونيون اراضي شاسعة ، وتحصينات عديدة في الاقليم الجبلي الى الشمال الشرقي من عكا ، لم يزل بعضها قائماً الى الوقت الحاضر [٣٤٨] .

تقلص الحماس الديني الذي رافق الحملات الصليبية ، وانحط الى طموح سياسي وشخصي . اصبحت عكا ، التي تمركزت فيها مصالح المذاهب المختلفة ، وجماعات الفرسان على تفاوت رتبهم ، ومختلف الشعوب ، ميداناً للتنازع الاقطاعي المرير . تطور النزاع بين البيزيين والجنويين العام ١١٩٢ وبين هؤلاء والبندقيين العام ١٢٥٦ ، فأفضى الى حرب دامية [٣٤٩] . كان المستشفيون والهيكليون على خلاف دائم ، ناهيك بالعداء الشخصي والدسائس المستحكمة بين الامراء والاشراف من كل الدرجات والرتب . وقد وقف مسيحيو المدينة موقفاً عدائياً من الصليبيين ودأبوا على خداعهم وغشهم وخياناتهم ، واخلصوا للعرب [٣٥٠] . ومع كل هذه الاساءات والشرور فقد ازدادت الثروة زيادة فائقة الحد ، وافرطوا في البذخ والاسراف . كانت المدينة مركزاً للمواصلات بين الشرق والغرب ، فأمها الكثيرون من الاشراف والاغنياء ، من المدن السورية ، ومن اوروبا ، للسكن فيها . وكذلك التجار من سائر البلدان ركزوا اعمالهم وملأوا مستودعاتهم بالمحاصيل المستوردة من كل الاقاليم (والمناخات) . وكانت العوامل الخارجية تدل على مدى نشاط المشاريع التجارية واتساعها وازدهارها .

هذه كانت حالة عكا ، عندما ضرب السلطان الملك الاشرف

ابن قلاوون خيامه امامها في الخامس من نيسان العام ١٢٩١ لمحاصرتها ٣٥١ . وبعد نزاع قوي وهجمات عنيفة من المحاصرين ، ودفاع باسل لكنه غير متضامن من المحاصرين ، أخذت المدينة عنوة في الثامن عشر من ايار . وبعد ان ذبح العديد من السكان المسيحيين غدراً وخيانة ، ونهبت المدينة ، أضرمت النار في كل زاوية منها ، فتهدمت الجدران والكنائس والقصور المنيفة ، ودكت المدينة دكاً الى الحضيض ٣٥٢ . فانسحب الصليبيون من سائر المدن الاخرى ، وهكذا كانت نهاية السلطة المسيحية في فلسطين .

ويقول لودلف فون سوشم Ludolf von Suchem ، بعد خمسين سنة ، ان اعمال التخريب بقيت متواصلة عدة سنين ، ولكنها لم تقض على كل شيء . ويمكن اعادة بنـــاء الكنائس والجدران والابراج والقصور في ظروف اكثر ملاءمة . كانت عكا في ايامه خالية ومهجورة ، تعج بالحمام والحجال . ولم يكن فيها سوى نحو ستين اعرابياً لحراستها وحراسة الميناء . وكانوا يحصلون عـــلى معيشتهم من الطيور المذكورة ومن تربية دود الحرير .

ويظهر ان السيـــاح في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر لم يزوروا عكا . وما حديث البعض منهم عنها سوى ما سمعوه او رأوه عند مرورهم بحراً عليها . في العام ١٦١١ ، مكث ساندز اربعة ايام في عكا ، ويقول ان الآثار الباقيـة لا تزال تظهر عليها امائر القوة والضخامة . والسكان ، الذين يبلغون مئتين او ثلاثمائة ، يسكنون بين الانقاض . ويوجد ايضاً تجار فرنجة يسكنون مغارة مربعة منيعة ، ويشحنون مراكبهم بالقطن الذي ينمو بكثرة في البلاد المجاورة . ويصف عكا ايضاً ، والخراب

الذي يشبع فيها ، اوجين روجير Eugene Roger العام ١٦٤٥ ، ودوبدان Doubdan العام ١٦٥٢ ، ودارفيو العام ١٦٥٨ [٣٥٦] . ويضيف دارفيو قائلاً : ان المكان كومة من الخرائب الفخمة ، غطت قسماً منها الرمال التي حملتها الريح [٣٥٧] . ويذكر ايضاً خمسة ابنية باقية من عهد الصليبيين ، وهي : ١ - كنيسة القديس اندراوس ، ٢ - مصنع الاسلحة البحرية ، ٣ - المستشفى الخاص بالفرسان المستشفيين ، ٤ - قصر استاذهم الاعظم ، ٥ - وكنيسة القديس يوحنا الملاصقة له [٣٥٨] . وشيد الامير فخر الدين في عكا خاناً كبيراً مربعاً ، وفي الوقت نفسه ردم الميناء كما فعل بصيدا وغيرها من المدن [٣٥٩] . سكن التجار الفرنسيون في الخان الذي شيده الامير فخر الدين ، وفي تموز اصابت دارفيو وغيره حمى ، يعزوها الى رداءة الجو وفساده [٣٦٠] .

وخلال قرن آخر تقريباً ، لم يضف السياح ، امثال نو العام ١٦٧٤ ، وموندرل العام ١٦٩٧ ، وبوكوك ١٧٣٧ [٣٦١] ، شيئاً جديداً الى ما نعرفه عن عكا . ولكن حوالى العام ١٧٤٩ ، بزغ فجر جديد على المدينة المهجورة . فقد استولى على عكا الشيخ ظاهر العمر الذي ألمحنا الى شيء من تاريخ حياته في مجلد سابق [٣٦٢] ، وقد اسهب قليلاً في وصف تاريخه نيبوهر Niebuhr وفولني [٣٦٣] . جعل الشيخ ظاهر مكان اقامته في عكا ، وكان متسلطاً على صفد وطبريا وسائر الجليل ، مدعياً انه استأجرها من الباشا في صيدا [٣٦٤] . ومع ذلك فقد كان يتصرف تصرف الزعيم المستقل في ادارة شؤونه ، ويصد هجوم الباشاوات المجاورين ، ويحبط دسائسهم واحابيل عائلته . فبكر في بناء الاسوار وتشييد التحصينات [٣٦٥] ،

فازداد عدد السكان [٣٦٦]، وساد العدل والنظام بما يستحق الشكر عليه [٣٦٧] . وقد بذل جهوداً جبارة لانعاش التجارة واتساعها ، فكان النجاح حليفه . وفي ايام ماريتي العام ١٧٦٠ عينت اكثر الدول الاوروبية قناصل لها في عكا . وفي العام ١٧٧٥ ، احتال عليه جواسيس السلطان وذبحوه وارسلوا رأسه الى اسطمبول ، وكان في نحو التسعين من عمره [٣٦٨]، فخلفه على امارة عكا احمد الملقب بالجزّار .

هذا الشخص الذي اشتهر بالوحشية والضراوة هو من بلدة في البشناق Bosnia . ولما كان بعد صغيراً باع نفسه من تاجر رقيق في اسطمبول ، ثم اشتراه علي بك في مصر ، ولم يلبث ان قفز من مهنة رقيق مملوك الى منصب رفيع ، حاكم القاهرة [٣٦٩] . يقول فولني : ان الامير يوسف ، امير الدروز ، اقام الجزار ، صنيعة الاتراك ، حاكماً على بيروت العام ١٧٧٣ [٣٧٠] . فكانت باكورة اعماله الاستيلاء على خمسين الف قرش تخص الامير ، ثم اعلن انه لا يعترف إلا برئاسة السلطان . فلجأ الامير يوسف الى الباشا في دمشق ، فأنكر هذا على الجزار عمله ولكنه لم يعزله . فثار ثائر الامير يوسف من اهمال الباشا لهذا الامر ، واتفق مع الشيخ ظاهر في عكا على مهاجمة بيروت بمساعدة اسطول روسي ، هجوماً موفقاً . أجبر الجزار على التسليم بشروط اتفق عليها مع المهاجمين ، ولجأ بمفرده الى الشيخ ظاهر ، وتبعه الى عكا ، ولكنه لم يلبث ان فر منها . ولما توفي الشيخ ظاهر ، عُين الجزار باشا على عكا وصيدا ، فجعل مقره في عكا . وانهمك في اول سني حكمه في اخضاع اولاد الشيخ ظاهر وافنائهم ، والاستيلاء على

املاكهم [٣٧١] . وفي ايام فولني ، اي العام ١٧٨٥ ، امتدت سلطة باشويته فشملت سائر البلاد بين نهر الكلب وقيصرية على الساحل ، وامتدت في الداخل الى انتي لبنان والاردن الاعـلى ، وشملت بعلبك ايضاً [٣٧٢] .

اصبحت عكا في هذا الوقت احدى المدن الرئيسية على الساحل . وانشأ الباشا جامعه الفخم ، والسوق (البازار) المغطاة ، والقناة التي يأتي فيها المـاء وسط السهل من الشمال الشرقي ، والنوافير (الفسقيات) الجميلة في ساحة الجامع . واشرف الجزار بنفسه على هذه المشاريع وغيرها . وكان هو نفسه المهندس ورئيس البنائين والمدير والناظر . ومع انه اعتنى كثيراً ببناء التحصينات فلم تك بذات اهمية [٣٧٣] . ويقول برون Brown في العـام ١٧٩٧ « ان مناعة السور متوسطة » . اضر بالتجارة والزراعـة كثيراً جنوح الجزار الغريزي الى الاستبداد ، فاقتصرت موارد الدخل والثروة على قضاء دمشق . في العام ١٧٩١ ، تخاصم مع المعامل الفرنسية في عكا وصيدا وبيروت ، وطرد التجار الفرنسيين من مقاطعاته بعد منحهم مهلة ثلاثة ايام . كان يضمر العداء للفرنسيين ، ولم تخمد جذوة هذا العداء الحوادث التالية في تاريخه [٣٧٤] .

هذه كانت حالة عكا عندما حاصرها الجيش الفرنسي بقيـادة نابوليون في العشرين من اذار العام ١٧٩٩ . ولكن الاميرال الانكليزي السر سدني سمث Sir Sidney Smith سبقه بيومين ، على راس مركبين حربيين ، وساعد الجزار على جعل التحصينات قادرة عـلى صد الهجوم . واسر الاميرال الانكليزي اسطول نقل فرنسي ، كان ينقل المؤن والمدافع الثقيلة الى الجيش الفرنسي من

الاسكندرية ، واستغلها لمحاربة الغزاة . وبما ان هذا الحصار الشهير يتعلق بالتاريخ الحديث ، فاقتصر على القول انه بعد ثماني غارات دامية ، تراجع الفرنسيون امام البسالة العربية والمهارة الانكليزية : وعلى الرغم من النصر الذي احرزه الجيش الفرنسي خلال الحصار . في جبل تابور ، فقد ترك الحصار بعد ستين يوماً وبدأ تراجعه [٣٧٥] .
هنا خان الحظ نابوليون وبدأ نجم سعده بالافول .

من بيسان الى حاصبيا *

صرفنا يوم الاحد بين مناظر قدسية ندر زائروها. فشعرنا بانتعاش ونشاط بعد الراحة والهدوء اللذين تمتعنا بهما وتذوقناهما في زيارتنا هذه، فاستعدينا للسفر باكراً، والاسراع الى حاصبيا.

الاثنين ١٧ ايار. – ركبنا هذا الصباح اولاً الى تل بيسان، على مسافة نصف ساعة من القرية شمالاً. فاكملنا البحوث التي بدأناها قبلاً وسجلنا المواقع المذكورة اعلاه.

تركنا التل الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين، واتجهنا الى بيت الفا على سفح جبال جلبوع، موقعها شمالاً ٧٦ درجة غرباً. بعد عشر دقائق كانت عن يميننا بعض الاسس. عرقلت تقدمنا قليلاً كثرة مجاري الماء. عبرنا لا اقل من خمسة

* رافقنا المؤلف في هذه المرحلة القصيرة من رحلته، ولكن سرنا سراعاً ولم نقف معه على اطلال تل حوم وكرازه وكفرناحوم وبيت صيدا وغيرها من القرى الفلسطينية التي لها اهميتها التاريخية الخاصة في بحثه، وهي على اهميتها خارجة عن الموضوع الذي نحن بصدده. ولكنا لم نتجاوز عن بعض الوصف الجغرافي الذي يربط لبنان بحدود جارته الجنوبية. – المعرب.

عشر او عشرين جدولاً تجري شمالاً الى جالود ، كلها آتية على ما يظهر من مستنقع متسع في الجنوب الغربي من بيسان ، تحجب طرفه القريب منا الادغال والعليق . لم يرضَ احد من الحاصدين بمرافقتنا ، فسرنا بدون دليل . الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين عبرنا آخر جدول اعترض سبيلنا ، ولم يكن الجسر القديم بعيداً عنا . الساعة السابعة صعدنا تلاً منخفضاً ، عبرنا بعده نهيراً آتياً من ينبوع عن يسارنا بالقرب من اسفل الجبال لا يجري الى جالود . الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى موقع بيت الفا على منحدر خفيف في اسفل الجبال امام اخدود صغير .

عثرنا اولاً على ناووسين منحوتين ومنقوشين من الخارج ، قائمين على حدة في الحقول بالقرب من المرتقى المنحدر . تحتهما قليلاً بقعة كبيرة مليئة بالحجارة المربعة الزوايا ، ولكنها غير منحوتة ، لا يتجاوز طول اكبرها القدم والنصف [376] . على نجد صغير في الجانب المنحدر من الجبل ، على مسافة نحو مئتي قدم من الناووسين ، آثار قرية اسمها جديدة . في الاخدود غربي هذه الآثار ينبوع صغير اسمه عين جديدة . لم نكلف انفسنا الصعود لرؤية هذه الآثار . تقع قرية قومية على الجانب الشمالي من الوادي . موقعها من بيت الفا شمالاً ٢٤ درجة غرباً . اعتقدنا بوجود طريق مباشرة عبر هذه الجبال الى جنين ، ولكن لمحة عجلى الى المرتقى الصخري الهاوي اقنعتنا باستحالة وجود طريق كبيرة مطروقة في هذه الناحية [377] . العام ١٨٤٧ زار E G. Schultz بيت الفا [378] .

كنا عزمنا ان نتجه شمالاً ، فنعبر الآكام الواقعة شرقي قومية ،

ولكن خيام عرب صفد السوداء تملأ السهل ، فتحامينا غبوزة حرصاً على امتعتنا التي قد تكون عرضة للضياع ، او لا تكون .

تركنا بيت الفا الساعة الثامنة والدقيقة الاربعين ، فوصلنا بعد خمس عشرة دقيقة الى مفترق طرق تؤدي احداها الى قومية . مررنا بها فوصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين الى جالود الذي يجري في الجزء الشمالي من السهل . هنا النهر عميق وضيق ، فوجدنا بعض الصعوبة في عبوره مع الخيل ، ولكن تعذر عبوره على البغال محملة ، فاضطر البغالون الى حمل الامتعة ٣٧٩ .

قدرنا معدل عرض الوادي بنحو ميلين او ميلين ونصف . الوادي خصب ومحروث الى اعلاه . تابعنا السير الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة ، فصعدنا تدريجاً وسط حقول من القمح الناضج يملأها الحاصدون حياة ونشاطاً . الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، وصلنا قومية الواقعة على قمة اكمة او تل الى الجنوب الشرقي من دوهي . في الشمال والشرق ، حوض ارض محروث جيداً يمتد الى كوكب تقريباً ، وينزح الى جالود في واد غربي تلة قومية . القرية ليست كبيرة ولا آثار قديمة فيها . السكان يحصدون في الحقول تحتها ، والبيادر حولها عامرة بالقمح ، والعمل عليها على قدم وساق ٣٨٠ .

يقع النظر من هنا على عدة قرى ٣٨١ . الطيبة في حوض الارض الواقع الى الشمال الشرقي من قومية . مُرصّص على خط الآكام الذي يفصل هذا الحوض عن وادي جزريل . شطة على المنخفض شمالي الجالود . وَزَر على احدى قمم جلبوع الغربية ٣٨٢ .

تركنا قومية الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وانحدرنا الى حوض الارض ، فعبرنا الى مجرى الماء الذي يجري الى الغرب الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة . فوصلنا الى ناعورة الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . تقع ناعورة على مرتفع في زاوية بالقرب من الآكام الشمالية . تمتد سلسلة الآكام هذه من حرمون الصغير شرقاً وتنتهي بالقرب من كوكب . العمل جارٍ بنشاط على بيادر ناعورة . على احد البيادر ولدان راكبان حصانين يسوقان امامهما ثلاثة حمير . توقفنا هنا لتناول طعام الظهر ٣٨٣ . الاحجار البركانية السوداء هنا وفي قومية متوافرة ، ولكنها اقل سواداً من تلك التي رأيناها عند بيسان واقل منها عدداً .

تابعنا ركوبنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة العشرين ، وانحدرنا قليلاً . وبعد ثماني دقائق كنا على بئر القرية الواقعة في وادٍ صغير . صعدنا تدريجاً الآكام المليئة بالعشب او المغطاة حتى سطوحها بحقول الحنطة . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، وصلنا الى قمة السلسلة ، فكانت قرية طمرة الفقيرة على مسافة بضع دقائق عن يميننا . تقع هذه السلسلة بين حوض ناعورة واللسان الشمالي الشرقي من سهل ازدرَيلون Esdraelon . اطل علينا فجأة هذا السهل الكبير الاخضر كالسجادة المنقوشة ، ويختلف كلياً عن الغور ووادي جزريل اللذين مررنا بهما منذ قليل من الوقت ، حيث قضى الطقس الحار على الاخضرار . وراءنا جبل طابور ، وعن يسارنا على مسافة ميل او اكثر ، اندو الواقعة على الكتف الشمالي الشرقي من حرمون الصغير الذي يبرز قليلاً في السهل

ويمتد بانحدار تحت القرية المهجورة ٣٨٤ .

طريقنا الآن باتجاه سفح طابور الشرقي . تابعنا السير في اعلى المنحدر الشمالي من السلسلة ، مع انحدار تدريجي ، فكان السهل الشهير تحتنا الى اليسار . وهـذا الطريق هو اقرب طريق بين طبريا وزعرين . بالقرب من اسفل المنحدر ممر يؤدي الى دبورية ، والى الجانب الغربي من طابور .

عند سفح طابور الجنوبي الشرقي ، واد آت من الغرب يسمى وادي شرار ، يشق الصعيد حول سفح الجبل ، وينحدر باتجـاه الجنوب الشرقي . ارتفاع حافتيه بين المئة وخمسين ومئتي قدم . اما الصعيد الذي يشق طريقه فيـه ، فهو على مساواة السهل في الغرب والشمال تماماً . وصلنـا الى جدول وطاحونة في الوادي الساعة الواحدة والدقيقة الاربعين . صعدنا عـلى الجانب الشمالي آملين الوصول الى السهل المرتفع ، ولكن خاب فألنا اذ وجدنا انفسنا ، بعد عشر دقائق ، على رأس السلسلة ، وامامنا واد آخر عميق منحدر من خان التجار على الجانب الشرقي من طابور ، وينضم الى وادي شرار . كنا اذاً نعبر السلسلة التي تكوّن المفرق بين الواديين . ينحدر هذا الوادي المتحد بهوة عميقـة حادة الى وادي الاردن ، وينضم اليـه تحت جسر المجامع بمسافة قصيرة . وهـذا الوادي هو وادي البيرة الذي سرنا فيـه في رحلتنا الاولى ٣٨٥ .

انحدرنا في هذا الوادي الشمالي وسرنا فيه حتى الخان فوصلناه الساعة الثانية والدقيقة الاربعين . في الوادي يجري جدول رقراق . بطن الوادي وجانباه محروثة . ارتفاع الجانبين مئة وخمسون او

مشْنا قدم . بالقرب من الخان ، يصبح الوادي طلقاً وقليل العمق ، ويخرج من بين الآكام الى شمالي طابور . جئنا على وصف الخان في مجلد سابق [٣٨٦] . قربنا من الخان فألفينا خيام عرب صبيح ، أعداء عرب صقر ، تغطي الآكام الواقعة الى الشرق . يفصل بين القبيلتين العربيتين وادي شرار .

كنا اعتزمنا الذهاب الى لوبية على الطريق المباشر الذي سلكناه العام ١٨٣٨ ، ولكن أضلّنا عن الطريق السوي رجلٌ كان يصلح حوضاً ، فتابعنا سيرنا على طريق دمشق باتجاه كفر سبط . ادركنا الخطأ الذي وقعنا فيه ، فتحولنا قليلاً الى اليسار الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة ، فوصلنا الطريق المباشر بين الخان ولوبية الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين [٣٨٧] . عبرنا السهل المنخفض وبدأنا نصعد التلة (لم نعد نرى الحجارة الرخامية السوداء) ، فوصلنا لوبية على نجدها المرتفع الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة . الى شمالي لوبية يخرج وادٍ ، ويجري وسط البطوف الجنوبي ماراً بطُرعان [٣٨٨] . هنا رأينا ان الجهة الشرقية من البطوف الشمالي محجوبة بسلسلة منخفضة ، فتتجمع المياه في الشتاء في القسم الشرقي من السهل كما ذكرنا سابقاً [٣٨٩] .

الثلاثاء ١٨ ايار . — جالسنا البارحة كهل ذكي وقور ، عرفنا انه شيخ القرية ، افادنا بمعلوماته عن الريف حوالي القرية . عرف بعزمنا على زيارة خان المنية وتل حوم ، فعرض ان يرافقنا ويكون دليلنا الى اماكن مختلفة لها اهميتها .

اتممنا استعدادنا للسفر في الصباح الباكر فرافقنا الشيخ على حصانه . ارسلنا بغالنا الى خان المنية بطريق مجدل ليكونوا

بانتظارنا . مشينا الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين باتجاه الشمال الشرقي بشرق الى حطين ، ولكننا لم نلبث ان تحولنا الى اليمين لزيارة حجر النصراني ، او حجر المسيحيين . عن يميننا البقعة المنخفضة الخصبة المسماة ارض الاحمر ، يحرثها سكان القرى حولها [٣٩٠] . وهذه البقعة تظهر عميقة مع انها تعلو بضع مئات من الاقدام عن البحيرة . في طرفها المقابل، اي جنوباً ٤٠ درجة شرقاً ، فم وادٍ ينزحها الى الاردن . جنوبي البحيرة الساعة السادسة والدقيقة العاشرة كنا في واد صغير يجري الى الاحمر . بعد خمس دقائق قطعنا طريق الناصرة – طبريا . في هذه النقطة حوضان مغطيان بحجارة كبيرة مثقوبة ، تآكلت كثيراً من مواصلة الاحتكاك بالحبال . نحن الآن الى جنوب القمة الشرقية من قرون حطين . الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين عبرنا وادياً منحدراً من غربها . تابعنا الطريق على موازاة طريق طبريا ، فوصلنا الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين الى الحجر ، على حرف الطريق المتسع بين الاحمر وسهل حطين . هنا كومة من الحجارة الرخامية السوداء الكبيرة ، دلنا الدليل على واحد منها يحترمه المسيحيون . هنا ، تقول الاسطورة المتناقلة ، اطعم السيد المسيح الخمسة الآف [٣٩١] .

تشرف هذه البقعة على سهل حطين ومن ورائه البحيرة ، كما ترى ، من بعيد ، صفد وتل حاظور ومغار التي زرناها من قبل . البقعة الواقعة بين صفد وميرون تنزح الى وادي الطواحين ، وتسمى وادي العمود بالقرب من البحيرة . وادي سلامة يصب في البحيرة باسم وادي الربضية . ينزح القسم الجنوبي من السهل

الى وادي ابو العمير الذي تسير فيه طريق دمشق الى الينابيع على الشاطىء شمالي طبريا [٣٩٢] .

وصلنا الى الحجر الذي اعتقدنا ان اركلفوس Arculfus زاره في القرن السابع ، وانه المكان الذي اطعم فيه السيد المسيح الخمسة الآف . ولكن المكان الذي اروه اياه سهل مستو معشوشب فيه ينبوع ، وهو على طريق طبريا – كفر ناحوم بجانب شاطىء البحيرة . فليست اذاً البقعة الحالية هي المكان المقصود [٣٩٣] .

تركنا الحجر الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين ، وانحدرنا وسط الحقول باتجاه إربد الواقعة امام هوة وادي الحمام العظيمة ، فوصلناها الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة . امامنا اكوام من خرائب البيوت العادية ، حجارتها مربعة الزوايا ولكنها غير منحوتة . ولا شيء غيرها يستحق الذكر ، سوى اطلال صرح واحد . يُدخل الى الصرح من الشرق ، من باب مزين بالنقوش . في الداخل عمود قائم ، وعمود آخر مزدوج ، وعدة اعمدة مرمية ارضاً ، وتاج كورنثي [٣٩٤] .

تركنا اربد الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة ، فوصلنا الى بطن وادي الحمام الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين . جوانب الوادي في القسم الجنوبي الغربي صخرية هاوية ، وعلوها من الخمسماية الى الستماية قدم . طول الوادي نحو ميل ، واتجاهه الى الشمال الشرقي ، ويتسع في اسفله . في منتصف الطريق مغائر في الصخور على الجانبين ، ولكن اكثرها الى اليمين ، وبعضها مجدر من الجهة الامامية . اسمها قلعة ابن معن ، كما قال دليلنا . لم نر طريقاً من تحت للوصول اليها الا على صف من الصخور

الضيقة البارزة الممتدة تحتها من الجنوب الغربي . وهذا الصف من الصخور يظهر كأنه قناة ، كان الماء يصل فيها الى هذه المغائر . والظاهر انها المغائر التي وصفها بركهارت والتي جئنا على ذكرها في مجلد سابق . العام ١٨٤٣ زارها الدكتور ولسن [٣٩٥]. ابعد الى تحت ، عند فم الهوة ، حيث المنحدرات العمودية فوقها تنعطف على شكل قوس دائرة ، فتكون الجانب الجنوبي الشرقي من السهل ، تجاويف شهيرة صغيرة من المغائر ، قدت في الصخور العالية على جانبي الوادي . وبعض هذه الحفر ، لاسيا في الجنوب ، واقع بعضها فوق بعض كأنها طبقات مستقلة عن بعضها ، بعضها مجدر من الامام ، تركت لها ابواب ونوافذ . هذه هي « الاديرة القديمة الغريبة » التي ذكرها إربي ومانغلس [٣٩٦] . والسبيل الوحيد الذي عثرنا عليه والذي يؤدي الى هذه الحفر هو الى الجهة الجنوبية الشرقية ، سار عليه الدكتور ولسن الى هذه التجاويف ومنها الى المغائر الاخرى .

الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين كنا على طرف الصخور العمودية ، وهي هنا يبعد بعضها عن البعض الآخر ضعفي بعدها عند طرف الهوّة الاعلى . الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة ، خرجنا من وادي الحمام الى السهل . هنا حقول خيار واسعة . الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين كنا عند النقطة الجنوبية الشرقية من التلة الاخيرة البارزة عن يسارنا . ذكر لنا دليلنا طللاً على الجانب الغربي من التلة ، اسمه نَقب . كانت المجدل الآن على مسافة ميل ، جنوباً خمس عشرة درجة شرقاً ، وتقع حيث تتصل الاكمة بالبحيرة . هنا ضربنا الطريق الذي سلكناه العام

١٨٣٨ ، فوصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين الى عين المدورة (الينبوع المدور) التي جئنا على ذكرها في مجلد سابق [٣٩٧] .

واصلنا السير على الطريق الذي سلكناه سابقاً ، فوصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين الى وادي المربضية الذي يتمم وادي سلامة . يخرج من هذا الوادي جدول يدير طاحونة ، ويروي كل القسم الجنوبي من السهل . من هنا اتجهنا مباشرة الى خان المنية . الساعة العاشرة ، كان الى يسارنا تل منخفض اسمه سرّمان عليه بعض الحجارة السوداء . بعد خمس دقائق قطعنا مجرى ماء وادي العمود الجاف وهو متمم وادي الطواحين الآتي من الاقليم الواقع بين صفد وميرون . لم نرَ العمود المنعزل المطروح ارضاً ، وربما كان في مكان آخر [٣٩٨] . وصلنا الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين الى خان المنية ، وترجّلنا على السجادة الخضراء حول عين التين .

يقع الخان الخرب تحت الاكمة الشمالية تماماً ، حيث يبتدىء طريق دمشق صُعُداً ، على بعد نحو ثلاثين او اربعين روداً * من شاطىء البحيرة [٣٩٩] . ينبوع عين التين جميل ورائق ، ومياهه غزيرة مستطابة وغير ساخنة [٤٠٠] ، وعندما تمتلىء البحيرة ، كما هي الآن ، فانها تصل الى الينبوع . حول الينبوع وبجانب الشاطىء رقعة من النَفَل المفرط في نموّه واخضراره وطراوته ، مما لم أرَ مثله في اي مكان آخر في فلسطين . اغرانا هذا المنظر فجلسنا نتناول طعام الظهر ونتمتع بقسط من الراحة .

* قياس انكليزي طوله خمس يردات ونصف . — المعرب .

قبل ان نترك خان المنية ، ركبنا الى موقع الخرائب التي تقع الى جنوب الخان ، وتمتد الى الخليج الصغير على الشاطىء . الخرائب منتشرة اكواماً مشوشة في حقل من الحنطة التي قاربت النضج .

ارسلنا البغالين لموافاتنا الى خان جب يوسف الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين ، وضربنا صعداً في المكان الصخري الهاوي من الاكمة فوق الينبوع باتجاه الشمال الشرقي . لا سبيل للمرور على سفحها الذي تغسله مياه البحيرة ، فاضطررنا في رحلتنا الماضية ان نسير في دائرة على طريق دمشق . مررنا هذه المرة على طريق مقدود في الصخر منذ ازمنة قديمة ، على ارتفاع نحو عشرين قدماً فوق سطح الماء . دهشنا من هذا الطريق الذي لا ريب انه قناة عمقها نحو ثلاث اقدام وكذلك عرضها ، قدت لنقل الماء وري القسم الشمالي من سهل الغوير ، من ينابيع الطابغة القريبة منه . نزلنا عن التلة ومررنا على فم وادٍ فوصلنا الى ينابيع الطابغة الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة .

هنا المطاحن المذكورة قبلا ، وتنور ايوب ٤٠١ ، والينابيع الضاربة الى الملوحة (عذيبية) .

تركنا الينابيع الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة ، فوصلنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين الى تل حوم .

تركنا تل حوم الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والخمسين وتحولنا الى وادٍ قليل الغور آت من الجنوب الغربي . بعد اربعين دقيقة من السير المتعرج ، تحول الوادي اكثر الى اليسار ، فصعدنا المنحدر الشمالي عرضاً على غير هدى لعدم وجود طريق

او بمر . كان تقدمنا بطيئاً وشاقاً بين الحجارة البركانية . وصلنا بعد جهد الى رأس المنحدر ، فاذا امامنا وادٍ جانبي قليل الغور ينحدر الى الجنوب الغربي لينضم الى الوادي الرئيسي . نزلنا الى هذا الوادي الجانبي ، فوصلنا الساعة الواحدة الى ينبوع ماء فاسد اسمه بير كرازه . كانت الخرائب التي اخبرنا عنها الشيخ على جانب الوادي الغربي ، ولم تكن سوى اسس قليلة من الحجارة السوداء ، لا تبعد ان تكون بقية قرية حقيرة خاملة ، يطلق عليها هناك اسم خربة كرازه . لم نذهب الى هناك لانها كانت واضحة امامنا ولا يوجد طريق اليها . تقدر المسافة اليها من تل حوم بنحو ثلاثة اميال * .

الساعة الواحدة والدقيقة الاربعين تركنا بير كرازه باتجاه الشمال ثلاثين درجة غرباً ، لنصل الى الطريق الذي يسير من طرف البحيرة الشمالي الى صفد ، ماراً بالقرب من جب يوسف حيث البغالون بانتظارنا . صعدنا تدريجاً فوصلنا الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين الى اعلى المنحدر [٤٠٢] . الساعة الثانية والدقيقة العاشرة وصلنا الى الطريق الذي سرنا عليه في رحلتنا السابقة العام ١٨٣٨ من البحيرة الى صفد . تحولنا اليه باتجاه الشمال سبعين درجة غرباً . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين ، قطعنا احد رؤوس الوادي الذي صعدناه من تل حوم ، وهو يتجه هنا جنوباً عشرين درجة شرقاً . وبعد عشر

* تركنا اربع عشرة صفحة كاملة يدلي فيها المؤلف ببراهين ومعلومات عن موقع كفر ناحوم وبيت صيدا وكورازين ، وهي مدن هامة وطأتها اقدام السيد المسيح وحدثت فيها اكثر معجزاته . — المعرب .

دقائق كنا نهبط الرأس الآخر الرئيسي المنحدر من سفح آكام صفد الاكثر ارتفاعاً. صعدنا في الجانب الثاني من الوادي فوصلنا الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والخمسين الى طريق دمشق الصاعد من خان المنية ، ماراً بخان جب يوسف حتى الجسر تحت الحولة. انتظرنا هنا خمس عشرة دقيقة الرسول الذي اوفدناه ليأتي بالبغالين من الخان الذي يبعد نحو نصف ميل.

الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة استأنفنا السير على الطريق الشمالي. لم يلبث طريق الجسر ان تحول الى اليمين. تابعنا السير في طريق مستقيم بجانب الآكام الاكثر ارتفاعاً وعبرنا رأس الوادي المذكور اعلاه [٤٠٣] . وصلنا الى الارض المرتفعة فوق الوادي فرأينا قليلاً من الحجارة الكلسية التي فارقناها منذ تركنا لوبية ، خلا منحدرات وادي الحمام . اما باقي الاماكن فحجارة بركانية . لقينا حية سوداء يربو طولها على ثلاث اقدام ، وهي الوحيدة التي رأيتها في البلاد .

عندما اشرفنا على الحولة ، اصبح الطريق ينحدر تدريجاً الى السهل بجانب شاطىء البحيرة . سرنا بعض الوقت على هذا الطريق ، وتحولنا اكثر الى اليسار، ثم صعدنا فوصلنا الى الجاعونة الساعة السابعة والدقيقة العشرين . تقع الجاعونة على منتصف منحدر الجبل الغربي تقريباً ، وهي احدى القرى الاربع الواقعة على هذا المنحدر ، والتي تطل على ارض الخيط وبحيرة الحولة وراءها . تقع فِرعم في الشمال على مسافة نحو ميل ، ووراءها وادٍ على اسمها ينحدر الى البحيرة . هنا يطل جبل الشيخ ، يشمخ بجلاله ، وقد نقص الثلج كثيراً على قمته منذ ان رأيناه في نيسان [٤٠٤] .

في الحيط ، لاسيا في المنطر ، مخيم تركمان ، قيل انهم استقروا في هذا المكان منذ زمن قديم وهم لا يخالطون غيرهم . ويوجد ايضاً مخيم اكراد ، وقبائل عربية اخرى تسكن الخيام . لم نتمكن من رؤية جسر بنات يعقوب ولا خانه من هنا لانه يبعد نحو خمسة اميال ، ولكنا رأينا الطريق الصاعد منه .

الاربعاء ١٩ ايار . — ارسلنا البغالين على طريق بجانب السهل . اما نحن فعزمنا السير على طريق فوق سفح الجبال يمر على خط من القرى فنزور خرائب اسمها قاسيون سمعنا بها مراراً .

تركنا الجاعونة الساعة السادسة والدقيقة العشرين ، فوصلنا الى مجرى وادي فرعم . اما القرية فكانت فوقنا على مسافة نحو ربع ميل الى اليسار . طار امامنا صقر اصفر الصدر اسود الجانحين يقرب من كاب معتدل الكبر ، ويسميه العرب الذين معنا أتب Atab . الساعة السابعة كنا بالقرب من مغار وهي القرية الثالثة الواقعة على المنحدر المار ذكره فمررنا تحتها تماماً . ورأينا اعمدة في حائط ، واضرحة مقدودة . هنا اطل علينا جبل صنين ، يغطيه الثلج اكثر من حرمون ⁴⁰⁵ . الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة كنا بالقرب من ينبوع القرية ، وهو اقرب الى القرية التي بعدها ، ولكن الانتفاع منه يقتصر على مغار .

الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين ، وصلنا الى قَبَع وهي كبرى القرى الاربع ، وتقع على نتوء بين واديين صغيرين . مررنا من ورائها على بركة تجتمع فيها الماء من ينبوع . الساعة السابعة والدقيقة السابعة والثلاثين كان بالقرب منا ينبوع قبع

وضريح مقدود في صخر كبير . وصلنا الى وادي لوز العميق ونزلنا صببه المنحدر المعشوشب ، فعبرنا عداه الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين . وبعد ان صعدنا جانبه الشمالي لم نلبث ان نزلنا ثانية الى وادي عَمَقة ، وهو اخدود عميق ينحدر من الجنوب سبعين درجة غرباً ، وينضم فوقنا تماماً الى واد آخر في الشمال . على جهته الشمالية الى الشرق منا قليلاً ، تل اسمه مُغر النَّمِر ، اكتسب اسمه من مغائر قريبة منه . عبرنا مجرى الماء في الوادي الساعة الثامنة والدقيقة السابعة ، فصعدنا حافته وتابعنا السير كالسابق فوق نتوءات واودية قليلة الغور . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا دوس ، وهي خرائب قرية صغيرة مبنية من حجارة غير منحوتة كالقرى التي مررنا بها ، فيها حوض لا ماء فيه الآن . وقد دلت شجرات الزيتون والتين التي حولها على ان اهلها لم يهجروها منذ امد طويل . حولها ايضاً قطعة ارض تصلح للزراعة . نحن الآن قبالة طرف البحيرة الجنوبي تقريباً الواقع شمالاً ٨٧ درجة شرقاً .

تابعنا السير الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين وعبرنا وادياً آخر صغيراً فرأينا ضريحين مقدودين في الصخور ، فوصلنا الساعة التاسعة الى موقع اسمه قاسيون . سمعنا كثيراً عن خرائب هذه القرية ولكن منينا بالخيبة اذ وجدنا انها قرية عادية ، اكبر قليلاً من ماروس ولكنها مبنية بحجارة غير منحوتة ، يغمرها الشوك المتكاثف . عثرنا ايضاً على حوض نضب ماؤه . المنحدر امامنا يفضي الى وادي هنداج الخارج من اتجاه بين الغرب والشمال الغربي . على مسافة قصيرة الى فوق ينضم اليه وادي عوبا الواقع الى شمالي

قاسيون تماماً[406] .

تحيط بقاسيون قطعة ارض تصلح للزراعة ، اكبر من تلك التي تحيط بماروس . لم نهنأ اليوم في سيرنا ، لاننـــا لم نعثر على طريق نسير عليه ، وحيث مررنا كنا نصطدم بالاشواك التي تغمر الارض . الاقليم اكمي تكثر فيه النتوءات ، ويعلو كثيراً فوق السهل ، ولكن الجبال في الغرب اكثر ارتفاعاً منه .

لم نعثر على طريق عبر وادي هنـــداج يفضي الى الشمال ، فاضطررنا الى التحوّل شرقاً الى فم الوادي . الساعة التـــاسعة والدقيقة العاشرة نزلنا اولاً في منحـدر خفيف محروث ، ثم في صبب كثير الانحدار ، لا يقل ارتفاعه عن ثلاثمـــاية الى اربعماية قدم . وصلنا الى بطنه الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، فاذا بنا امام جدول ماء صافٍ زلال . ابعد الى فوق يُطلق على الوادي اسم وادي المعضمية وهو يخرج بالقرب من الجش[407] .

سرنا مع الجدول حتى السهل . عثرنا على طريق يصعد في الوادي ، ويظهر انه آت من جسر بنات يعقوب . الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والخمسين[408] ، عبرنا رأس اكمة عن يسارنا ، ثم تحوّلنـا يساراً الى طريق شمالية ، فوصلنا الساعة العاشرة الى مفترق طرق يقطعه طريق من الجسر الى قدس . هنا كان البغالون ينتظروننا .

تابعنا طريق قدس وبدأنا الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة نصعد التلال التي تمتد الى البحيرة[409] . الساعة الحـادية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنـــا الى نجد قدس ، فـكان الى يسارنا تل مرتفع عليه خرائب اسمها خُربية ، موقعه جنوباً ستون درجة غرباً . تحوّلنا باتجاهه لزيارة الخرائب ولم نعثر على طريق نسير عليه .

اقتربنا من اسفل التل فوجدنا معصرة قديمة للزيت . صعدنا من الجهة الشمالية فاذا على مسافة قليلة فوق اسفل التل ضريح مصان . اسفل الصخر (الشمالي) ، الغارق في الارض ، مكشوف ومنحوت ، حتى صار مسطحاً عمودياً . هنا باب يفضي الى الضريح على سطح منحدر . على الصخر من فوق حائط ضخم . وصلنا اعلى التل الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين . المكان مرتفع والمنظر منه فسيح ، يشرف من الجنوب على وادي هنداج العميق الوعر ، ومن الشمال على سهل قدس وبحيرة الحولة والسهل .

على قمة التل اكوام كثيرة من الحجارة ، بعضها كبيرة ربعت اطرافها ولكنها غير منحوتة . لم نعثر على حجارة منحرفة الزوايا ولا اعمدة . والظاهر ان اكثر الحجارة استعملت في بناء البيوت في مختلف الازمنة . هنا معصرتان للزيت او بالحري واحدة منها لاستيعاب الزيت ، اذ هي مستديرة وعميقة واصغر من المعصرة واكثر انخفاضاً منها . تدل هذه المعاصر على ان زراعة الزيتون كانت منتشرة في هذا المكان ، اما الآن فليس من شجرة واحدة منه . ولم نر سوى اشجار السنديان (بلوطة) متفرقة هنا وهناك[410] .

تركنا قمة التل الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والخمسين ، ونزلنا باتجاه الشمال الغربي من طريق قدس . تابعنا السير وسط السهل وترجلنا على ينبوع قدس الشمالي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين ، ولكننا لم نصعد الى القرية .

تقع قدس على حرف عال يبرز باتجاه بين الشرق والجنوب الشرقي من الآكام الغربية[411] .

يتدرج المنحدر الشرقي من الاقليم المرتفع الواقع شرقي بنت جبيل الى الحولة ، اربع درجات بينها ثلاثة انجاد . اول هذه الانجاد هو الوادي او السهل الواقعة على رأسه عيثرون ، وهو ينزح الى الليطاني . والثاني السهل الواقع الى شمالي المالكية ويقال انه ينزح الى سهل قدس . والثالث هو سهل قدس نفسه ، بينه وبين الحولة احدور كبير .

موقع قدس جميل ، وماؤها غزير ، ومحاطة بسهول خصبة . ويعتقد اهالي الاقليم ان ماء الينبوعين غير صحي . في رحلتنا الماضية العام ١٨٣٨ قيل لنا ان القرية كانت مهجورة . ولكن في العام ١٨٤٤ وجدها الدكتور سمث آهلة بقوم من حوران ، جاؤوها قبل بضعة اشهر . وقد رأى في القرية عموداً او اثنين مطروحين ارضاً ولم ير آثاراً قديمة غيرهما في القرية [٤١٢] .

اما الخرائب القديمة فهي في السهل تحت القرية بجوار النبع الشمالي . حول الينبوع نفسه ، العديد من النواويس يستعمل بعضها اجراناً للشرب . كل هذه النواويس منحوتة نحتاً دقيقاً من الخارج والداخل ولكنها خالية من النقوش . الى شرقي الينبوع ، اطلال بنائين قديمين بنيا بحجارة منحوتة متقنة . اكبرها البناء الشرقي ، واجهته الشرقية رتاج كبير وعلى كلا جانبيه باب صغير . لم نعثر على اعمدة ، ولكن وقع نظرنا على تيجان كورنثية بين الاطلال .

البناء الغربي اصغر من الاول ويختلف عنه في شكل بنائه . فهو بناء مربع ، وربما كان طول جانبه خمساً وعشرين قدماً . رتاجه المزخرف الى الجنوب . من هذا الباب يمتد قبو قنطرته

مستديرة ، وسط البناء الى الحائط الشمالي ، ويمتد قبو آخر ، يقاطعه في زوايا مستقيمة . لم نتأكد من وجود قبة سابقة فوق العقد .

بين البنائين عدد من النواويس الكبيرة الجديرة بالاعتبار . تقوم هذه النواويس على موازاة بعضها فوق قاعدة او دكة ارتفاعها خمس او ست اقدام . الناووس الذي في الغرب مزدوج ، فهو ناووسان مقدودان جنباً الى جنب في صخر ضخم يغطيهما غطاء واحد نقش عليه كفتا ميزان . والناووس الذي في الشرق يشبهه تماماً . الناووس الثالث مفرد وربما وجد رابع شغل قبلا الفراغ الموجود الآن بينها . كانت هذه النواويس مزخرفة باتقان من الخارج . ولكن عاديات الجو طمست الرسوم فلم نتمكن من تمييزها .

تركنا ينبوع قدس الساعة الثانية والدقيقة العشرين واتجهنا شمالاً وسط السهل المنخفض على طريق يغمرها الشوك . وصلنا الساعة الثانية والدقيقة الاربعين الى الآكام ، فدخلنا وادياً بينها آتياً من الشمال الغربي . بعد خمس دقائق من السير في الوادي وصلنا الى بئر لم ينضب ماؤها . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين كنا امام شعبة رئيسية منه ، آتية من اليسار . على عطفة في المنحدر الغربي ظهرت امامنا قرية بليدا . يقال ان البقعة الواقعة شرقي الوادي الآتي من عيثرون تنزح الى هذه الشعبة . صعدنا من الوادي في مرتقى كثير الانحدار على الجانب الغربي من شعبة صغيرة منه ، فخرجنا الساعة الثانية والدقيقة الخامسة الى صعيد جميل محروث ، بالقرب منه عدة شجرات بطم كبيرة [٤١٣] . تابعنا

صعودنا تدريجاً وسط هذا الصعيد باتجاه الشمال ، ثم هبطنا قليلاً فوصلنا الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين الى ميس ، وتسمى ايضاً ميس الجبل ، وهي قرية كبيرة متسعة يمر بها الطريق الآتي من عكا الى حاصبيا ويلتقي بالطريق الذي نحن فيه جنوبي القرية .

نصبنا خيمتنا على منخفض بين قسمي القرية الغربي والشرقي . في الجنوب الشرقي من القرية بركة يتجمع فيها ماء المطر ، يشرب منها سكان القرية ومواشيها ، مع وجود ينبوع عذب في واد الى شمالي القرية كما عرفنا . الاقليم ريف جميل ، واقع شرقي المقاطعة التي تحيط بتبنين ويتصل بها . القرية كبيرة ونامية ، تظهر على سكانها امائر الراحة والقناعة .

الخميس ٢٠ ايار . — تركنا ميس الساعة السادسة والدقيقة العاشرة ، وهبطنا رأساً الى سهل او حوض ارض واقع الى الشمال ، يمتد من الغرب الى الشرق . قيل انه يتحول الى بركة في الشتاء اذ لا منفذ لمائه . اما الآن فاعمال الحرث قائمة فيه .

الاقليم هنا لا يصلح لزراعة القطن لارتفاعه وشدة برده . التلال امامنا تكسوها اشجار السنديان . الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين والسادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وصلنا الى رأس واديين متجهين غرباً لينضما الى واد آخر يسمى وادي الجمل يجري الى الليطاني . الساعة السابعة انفسح امامنا الى الغرب منظر شاسع يشمل حصن تبنين [٤١٤] . تابعنا صعودنا فوصلنا الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة الى حاجب الوادي غربي حونين وهو يشرف على الحولة الظاهرة تحتنا الى اليمين [٤١٥] .

المنظر فخم جذاب . صنين في الافق البعيد لا يزال مكللاً

بالثلج . قبالتنا جبل الشيخ القريب يطل علينا من الشمال الشرقي ، يودع ثلجه وجليده فيجري من قمته الى بطون الاخاديد تحته .

امامنــا سهل الحولة المحروث حتى السفح ، وهو ارحب من المستنقع والبحيرة معاً .

لقد غلب على ظننا اننا من هذا الموقع المشرف نتمكن من اقتفاء آثار الجداول الكثيرة التي تجري وسط السهل ، وتعيين نقاط اتصالها بعضها بالبعض الآخر بدقة . وهكذا كان ، فقد دوّنتها كما لاحت لي ، ولكن النتيجة كانت عكس ما أملت ، فقد ألقت عليّ درساً قاسياً ، وعلمتني ان لا احكم او اعتمد على دقّة معلومات مثل هذه تؤخذ من موقع مرتفع يشرف على ريف متسع رحب . فقد ظهرت كل المعلومات التي دوّنتها مغلوطة ، بعد ان تجوّلت في سهل الحولة وتتبعت مجاري الجداول الى نقاط اتصالها ببعضها . امامنا ايضاً على الآكام الغربية حونين وآبل والمطلة .

استأنفنا السير الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين وهبطنــا باتجاه حونين فوصلناها الساعة الثامنة . شاهدنا اطــلال حصن كبير ، وبجوارها قرية حقيرة الى الجنوب . تقع الاطلال والقرية على تل رحب منخفض واقع على حزّ في الجبل يمتــد الى الشمال الغربي والجنوب الشرقي ، ويشقّ الجبل حتى نصف المســافة من اسفله تقريباً . والوادي الضيق الواقع الى الشمال الغربي يجري الى الليطاني . وفي الشرق وادٍ صغير يجري منحدراً باتجاه الحولة . تتبع حونين اقليم بلاد بشاره ، وقـد سكنها سابقاً فرع من عـائلة المشايخ الحاكمة ، ولكن منذ زلزال ١٨٣٧ لم يعد الحصن صالحاً للسكن ، فاستقرّ هؤلاء الزعماء الاقطاعيون في تبنين وجوارها ٤١٦ .

اما الحصن الاقدم فقد شغل مساحة أكبر شملت أكثر الأرض المبنية عليها القرية في الجنوب . والحصن التركي الذي وجد بعده ، وكان يشتمل على تسعة او عشرة ابراج مستديرة ، لم يشغل سوى ثلث المساحة نفسها في الشمال . وهذا ايضاً لم يبق منه سوى اطلال دارسة .

زاوية الحصن الشمالية الغربية وجداره الشمالي أسّسا على صخر صلد قُدّ الى عمق عشرين قدماً ومثلها عرضاً في بعض انحائه . والجدار الشرقي يمتد بجانب حاجب التل . لا وجود لآثار قديمة في هذا الجزء الشمالي سوى بضعة احجار منحرفة الزوايا في الجانب الشرقي . وبالقرب من الرتاج التركي ، في الجانب الجنوبي ، حجر ضخم منحرف الزوايا . وتوجد احجار منحرفة الزوايا متفرقة هنا وهناك ، وبعضها مبني في حيطان بيوت القرية . في القرية وخارج الحصن الذي بني فيما بعد ، رتاج قديم قائم بشكله الكامل تقريباً ، مبني من حجارة كبيرة منحرفة الزوايا وباقية في مكانها ولها اخاديد للابواب . وهو اجمل قطعة بين سائر الآثار . والخاصية التي تميز هذا الطلل هي ان في سائر جدرانه عدة اجزاء او قطع من حائط قديم مبني من حجارة غير منحوتة إلا من ناحية وجهها . ولا اذكر اني رأيت على شاكلتها في مكان آخر . والحصن كان قديماً غاية في المناعة ، اما شكله الحالي فقد خيّب املنا لانه لا ينطبق على ما وصلنا من اخباره . ومنه يمكن المرء ان يرى طرف البحيرة الشمالي الشرقي [٤١٧] . وقد زاره القس تومسون Thomson في السنة ١٨٤٣ [٤١٨] .

ومن الصعب تعليل موقع هذا الحصن ، إلا انه يشرف على

سهل الحولة تحته . أما انه كان موجوداً في عهد الاسرائيليين فما لا يحتاج الى سؤال . ولكني لا اعرف اسم مكان في العهد القديم يطابق هذا الاسم لا ترجيحاً ولا تلميحاً ، إلا اذا كانت بيت رحوب وتسمى رحوب ايضاً ، وهي مدينة ، وربما مقاطعة ، لا تبعد كثيراً عن مدينة دان . ويقال ان ستمائة من الدانيين اتوا الى لايش « الى شعب مستريح مطمئن » بعيداً عن صيدا ، في الوادي (سهل منخفض) « الذي لبيت رحوب » [٤١٩] . هناك بنوا مدينة واسموها دان . ولكن مدينة دان شيّدت عند تل القاضي كما سنرى [٤٢٠]. والراجح ان رحوب هذه هي التي عناها الجواسيس الذين ارسلوا من قادش برنيا بقولهم انهم تجسسوا الارض « حتى رحوب في مدخل حماه » [٤٢١] . ومن الصعب الترجيح ان الجواسيس تعدّوا حد فلسطين الشمالي في دان ، حيث الطريق المباشر الى حماه تمر على وادي التيم والبقاع [٤٢٢] . ويطابق مركز حونين كل هذه الحالات ، وربما لا نخطىء كثيراً اذا اعتبرنا انها تدل على بيت رحوب القديمة [٤٢٣] .

تركنا حونين الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين فعبرنا منخفضاً من الارض ، ثم صعدنا الى الشمال الشرقي في بقعة حرجية بين الجبل وأكمة وطيئة عن يميننا . وصلنا الى قمة المرتقى الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ، ثم هبطنا قليلاً في الاتجاه نفسه الى وادٍ بين العلّيق الاخضر وبقاع من القمح لم يتم نضجه بعد . تابعنا سيرنا في الاحدور في مستوى واحد على ارتفاع عظيم فوق السهل . لم نعد نرى اشجاراً في نزولنا . عبرنا عدة ظهور واودية ، منها واد ينحدر باتجاه آبل الى دردارة . ثم تسلقنا

الانحدور الشمالي فكانت آبل الى يميننا الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين على مسافة قصيرة تحتنا . تقع آبل على تل يسترعي الانتباه ببروزه الى الجنوب تحت القمة . وهي على جانب دردارة الايمن ، وهو الجدول الذي يأتي من مرج عيون . سكان آبل مسيحيون . من مكاننا نرى الهوّة العميقة الضيقة التي يجري فيها الجدول كأنها صناعية . ينبع الجدول من المرج شرقي المطلة ، ثم ينعطف كثيراً الى الغرب بين القريتين ، ويتابع نزوله غرب آبل التي تسمى احياناً آبل القمح نظراً لجودة قمحها .

وآبل هذه لا يبعد ان تكون آبل القديمة او آبل بيت معكة في هذا الاقليم كما نعرفها في الكتاب المقدس . والارجح انها سميت بيت معكة لوقوعها بقربها . هذا ما يميزها عنها [٤٢٤] . ومرة سميت آبل المياه [٤٢٥] . وقد ذكرت مرتين مع اماكن اخرى بترتيب من الشمال الى الجنوب . فقد ذكرت مرة مع « عيون ودان وآبل وكل كنروت » [٤٢٦] ، وثانياً مع « عيون وآبل ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد » [٤٢٧] . هذه الملاحظات تطابق موقع آبل . والمرجح ان هذا المكان هو موقع آبل الحقيقي المذكورة في الكتاب المقدس وليس آبل الهوا الواقعة على حرف بين مرج عيون ووادي التيم ، لسببين : احدهما ان الاولى تقع على تل مثل غيرها من المدن القديمة الحصينة ، والآخر لان التسلسل الواردة فيه « عيون ودان وآبل » كما ذكر اعلاه يظهر طبيعياً . وهذا لا يصح على آبل الهوا الواقعة الى الشمال الشرقي من عيون [٤٢٨] .

المطلة وآبل هما ابعد قريتين الى الجنوب في قضاء مرج عيون . سكان المطلة من الدروز الذين يسكنون حول جبل

الشيخ . تقع المطلة على التلة القائمة على حدود المرج الذي يشق فيه جدول الدردارة مجراه ، وتشرف على حوض الحولة الكبير . وقد اكتسبت اسمها هذا من موقعها المرتفع الذي يعني « المشرفة » ، وهي على ارتفاع مئتي قدم فوق المرج ، ولا ترى إلا من ناحية صغيرة منه .

نحن في سهل صغير مرتفع ينزح مـــاؤه الى وادٍ في الشمال الغربي . امامنا آبل والمطلة . ها نحن نقترب مـــن طرف الجبل الواقع عن يسارنا . الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين كنا نسرّح انظارنا عبر الليطـــاني ووادي الجرمق حتى الاقليم المرتفع حول جرجوع . بعد يسير من الوقت ، اطل علينا حصن الشقيف من وراء الجبل ، جاثماً على مرتفع يخاله الناظر اليه من هذه الناحية جداراً عالياً . لا يلبث الوادي ، الذي تنزح اليه مياه هذا الاقليم ، ان ينفرج عن وادٍ فسيح ، او بقعة محروثة ، تمد حتى الليطاني ، الى نقطة قريبة من الحصن جنوباً . والبقعة هذه مليئة بحقول القمح وادغال الزيتون . تقع قرية كفركلا الكبيرة في جنوبي هـــذه البقعة المحروثة ، وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين كانت شمالاً ٣٥ درجة غرباً وعلى مسافة نصف ميل منا . أبعد الى تحت في الجهة نفسها ، حيث الارض المرتفعة تنحدر باتجاه الليطـاني ، تقع قرية دير ميماس ، وهي اكبر من كفركلا ، وقد رأيناها قبلاً من الحصن . تنتهي في هذا الوادي الجبال الواقعة الى الجنوب ، اما في الشمال فليس هناك غير الآكام الاقل ارتفاعاً التي تحيط بالمرج .

امامنا الآن منحدر لطيف . الساعة العاشرة وصلنا الى ظهر المرج واشرفنا منه على اتساعه . وهو سهل جميل بيضي الشكل

تحيط به تلال قليلة الارتفاع . قطره الاطول من الشمال والشمال الغربي الى الجنوب والجنوب الشرقي نحو ثلاثة اميال ، وعرضه نحو ميلين . تفصله هذه الصفوف من التلال المحيطة به عن وادي التيم من الشرق ، وعن وادي الليطاني من الغرب . السهل كله مستوٍ كالارض المبلطة ، ريّه غزير واكثره محروث ، ترك قسم منه مراعٍ . وراء منتصفه غابة من الاشجار والعليق . توقفنا حيث نحن عشرين دقيقة طلباً للراحة .

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين نزلنا الى المرج ، ثم قطعنا الطريق الكبير الذي يسير من الحولة ماراً بالمطلة الى جسر الخردلة قرب الحصن الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين . اما الطريق الذي كنا نسير عليه فيؤدي رأساً الى الخيام الواقعة على الآكام الشمالية الشرقية .

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين عبرنا جدولاً صغيراً يجري من الغرب . والساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة كنا على جدول المرج الرئيسي . رأينا بعض الرجال يغسلون غنماً في بركة تجمع ماؤها من السد الذي بني في مجرى الجدول تحت الطريق لري السهل . لم نتمكن من عبور الجدول عند الطريق لعمقه ، فاضطررنا للصعود على ضفته الغربية وسط الحقول حيث الفلاحون دائبون على العمل . عثرنا على معبرٍ سهل حيث يخف المجرى ويكثر الوحل ، فعبرناه ورجعنا الى طريقنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين . أسفنا لضياع عشر دقائق في دورتنا هذه ، ولم نلبث ان وصلنا الى ينبوع حططنا عنده الرحال وجلسنا نتمتع بقليل من الراحة ونتناول طعام الظهر تحت ظلال

اشجار التين الوارفة .

نحن الآن قبالة مراعي المرج مع انحراف قليل الى اليسار . في المراعي خيل كثيرة ترعى معقولة ، ربما كانت تخص الحكومة . بالقرب منها عدة خيام للقائمين على حراستها . قطعنـــا قسماً من البقعة فأعجبنـا بوفرة المرعى ، والنفل الابيض الذي يبلغ علوّه في بعض الاماكن ثمانية انشات ، رأينا مثله البارحة حول قدس . ولاول مرة عثرنا على الحور الفضي الطويل في هذا الاقليم ، وهو يكثر في جوار دمشق .

الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين تابعنا سيرنا ، فصدفنا عن طريق الخيام واتجهنا الى اليسار عن طريق الجديـدة لزيارة التل الكبير في طرف المرج الشمالي الغربي . بعد عشر دقائق كنا قبالة ينبوع المرج الكبير الذي يقع (كما قيل لنا وللدكتور سمث في رحلة سابقة) ٤٢٩ في شمال غابـة الاشجار عن يسارنا . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة كان الى يسارنا حوض ماء كبير او بالحري جدار منيع او سد مهدم ، تحت ينابيع غزيرة تنبجس من تحت ضفة منخفضة ، يتضح من بنائـــه في تلك النقطة ان القصد منه دفع الماء الى علو كافٍ لادارة الطواحين او لري سائر انحاء السهل . مررنا بالمكان في الاسبوع التالي ، فعرفنا انه النبع الرئيسي ، بركة دردارة .

بعد بضع دقائق كنا نعبر السهل كيفما تسنى لنا اذ لم يكن امامنا طريق مباشر الى التل . الساعة الواحدة والدقيقـة الخامسة عبرنا بعد جهد ومشقة نُهيراً جارياً من لسان ضيق في السهل الى الشمال الشرقي . وصلنا سفح التل الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة ،

ويعرف باسم تل دبّين ، وهي قرية تبعد عنه قليلاً ، ويسمى ايضاً تل ناما . في الشمال والشمال الشرقي من السهل عند سفح التل ، آثار اطلال ، عثرنا بينها على قطع اعمدة . مرتقى التل من هذه الناحية شديد الانحدار . سطحه بقعة مستوية ، متسعة ، محروثة ، عليها آثار اكوام من الحجارة كأنها ابنية سابقة او ربما كانت جدراناً في الجهتين الشرقية والغربية . ارتفاع التل مئة وعشر اقدام فوق السهل حسب القياسات التي دوّنها الدكتور دي فورست [٤٣٠] . بجانب سفح التل الشرقي ، يمر الطريق الكبير الصاعد من جسر الخردلة الى صيدا فحاصبيا ودمشق . وهو اوفق واسهل طريق بين دمشق والساحل ، وربما كان الطريق الوحيد الذي يصلح ان يحوّل الى طريق للمركبات [٤٣١] .

يعلو سهل المرج في هذا الطرف المرتفع منه ١٨٢٢ قدماً عن سطح البحر ، كما دوّنه الدكتور دي فورست . يظهر السهل مستوياً ، لكنه ينحدر كثيراً الى الجنوب وينخفض نحو ثلاثماية وثلاثين قدماً باتجاه المطلة .

يصلح تل دبين ان يكون موقعاً فخماً لبناء مدينة عليه ، لانه يشرف على سائر سهل المرج ويتحكم بأحد الطرق العظمى بين شاطىء البحر والداخل . وتوجد آثار واضحة لا ريب بصحتها ، تدل على وجود مدينة في ازمنة غارقة في القدم . ربما لا نخطىء اذا اعتبرناها موقع مدينة عيون القديمة . وكلمة عيون اصيلة في اللغة العربية * ، وقد ذكرت مرتين انها بين هذه المدن المجاورة

* الملوك الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد العشرون . الملوك الثاني ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد التاسع والعشرون . الايام الثاني ، الاصحاح السادس عشر ، العدد الرابع . Josephus Anti. 8. 12. 4 .

لها هي في اقصى الشمال منها . ولما غزا تغلث فلاسر البلاد سبى اهالي عيون وآبل ويانوح وقادش وحاصور * ، ومنذ ذلك الحين لم يرد لها ذكر ، ولم يبق ما يدل على موقعها سوى تلتها وبضع بقع منها ** .

تركنا سفح التل الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة ، واسرعنا على طريق صيدا الى حاصبيا . صعدنا وسط لسان السهل الطويل الضيق المذكور سابقاً ، باتجاه الشمال الشرقي . الساعة الثانية كنا نصعد سهلاً آخر اكثر ارتفاعاً ٤٣٢ ، فعبرناه باتجاه الحرف الذي يفصله عن وادي التيم . خرجنا من السهل الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة ، فوصلنا الى واد يخترق الحرف وينحدر الى نهر الحاصباني . المنحدر الجنوبي في هذا الوادي مرتفع تكسوه الاشجار ٤٣٣ ، ويسير الطريق على جانبه الشمالي عالياً فوق اسفله . الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين تحوّلنا الى الشمال ودرنا حول كتف الجبل .

ها نهر الحاصباني ينساب تحتنا في واديه الصغير العميق ، وقبالتنا جبل الشيخ يشمخ بعظمة وجلال . لم اعرف قبلاً بوجود سلسلة منخفضة تمتد على موازاة الجانب الغربي من حرمون ، وتبلغ ثلثي ارتفاع السلسلة الرئيسية ، تفصلها عنها اودية عميقة يصعب كثيراً عبورها ان لم يكن ذلك مستحيلاً . لم يذكر احد من السياح هذه السلسلة المنخفضة ٤٣٤ . يقع وادي شبعا قبالة النقطة

* الملوك الاول اص ١٥ ، عدد ٢٠ . الايام الثاني ، اص ١٦ ، عدد ٤ .
** الملوك الثاني ، اص ١٥ ، عدد ٢٩ .

التي نقف فيهـا الآن ، وهو عبارة عن هوة هائلة ، يخترق هذه السلسلة المنخفضـة الموازية ويعبر منحدراً مفتوحاً في سفحها ثم يشق ثانيـة صف التلال الصخرية التي تحد نهر وادي التيم . ابعد الى الشمال ينفرج وادي الحاصبـاني الذي يظهر هنا ضيقـاً ، الى حوض من الاراضي المحروثة ، تكسو اسفلها اشجار الزيتون والتوت . منحدرها الغربي محروث حتى قمته ، بينا الجانب الشرقي صخري لا يصلح للحراثة إلا في بعض رقاع متفرقة .

هبطنا الى هـذا الحوض بانحدار شديد نحو الشمال ، فوصلنا الخان الكبير الخرب في سفح التلة الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين . والخان هذا مربع الاضلاع ، ابعاده ثمانون خطوة تربيعاً * . يُدخل اليه من الشرق والغرب من ابواب مزخرفة . يجتمع فيه القرويون من سائر القرى المجاورة لبيع وشراء مـا يحتاجونه من السلع . يقام هذا المعرض يوم الثلاثاء مـن كل اسبوع . والظاهر ان الخان لم يتسع للعارضين ، فأنشىء حوالي ستين دكة في صفوف على منحدر التلة جنوبي الخان ٤٣٥ .

تابعنا السير غربي الجدول ، فكانت كوكبا على يسار المنحدر فوقنا الساعة الثالثة ، على مسافة ثلاثة ارباع الميل . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين وصلنـا قسم الحوض الشمالي حيث يضيق الوادي ثانية . هنا عبرنا النهر الغزير الخارج من ينبوع لا يبعد كثيراً الى فوق . على ضفة النهر الغربية طاحونة وقناة توصل المياه اليها . صعدنا من المعبر شرقاً في وادي بصيص الى حاصبيا ،

* الخطوة خمس اقدام انكليزية . — المعرب .

وهو مفتوح ومتسع في اوله ، ثم ضيق وصخري . والطريق فيه جد شاقة والحجارة بركانية . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين كنا قبالة الناحية الغربية من البلد . تابعنا صعودنا في الوادي ودرنا حول التلة البارزة الواقعة عليها المدينة فوصلنا بيت الارسالية في الناحية الشرقية الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة .

وجدنا القس المستر تومسون من صيدا بانتظارنا منذ يومين او ثلاثة . يسكن البيت جون ورتبات John Wortabet مع والدته وشقيقته التي تثقفت في مدارس الارسالية . وهو تلميذ المرسلين ، سيم قسيساً وعيّن واعظاً في كنيسة حاصبيا البروتستانتية التي اسست منذ عهد قريب . تأخرت في بيت الارسالية اربعة ايام من جراء المرض الذي لازمني في رحلتي . هذه واوى لزاماً علي شكر هذه العائلة المضياف لما احاطتني به من العناية واللطف طيلة اقامتي بينها .

انتهت مهمة البغالين لدينا ، فدفعت اليهم ما استحق لهم من الاجر وصرفناهم ، فتخلصنا من مشاجراتهم ومشاحناتهم ، وابقينا واحداً منهم ليرافق الدكتور سمث الى بيروت .

الجمعة ٢١ ايار . — بكّر الدكتور سمث ورشيد بالسفر الى صيدا فوصلاها في المساء ، ثم تابعا السفر فوصلا بيروت بعد ظهر اليوم التالي . لم يبق معي من رفاقي السابقين غير بشاره الذي لازمني الى نهاية الرحلة ، اميناً ، نشيطاً ، مخلصاً . سيحل المستر تومسون محل الدكتور سمث في المرحلة التالية ، وسيصطحب معه رئيس خدمه ، فنعود الى ما كنا عليه من الترتيب والنظام .

لازمت فراشي اليوم والايام التي تلته عملاً بمشورة المستر ورتبات الذي درس الطب على اطباء المرسلين الثلاثة الموجودين وقتئذ في البلاد[436]، فعجّل ذلك بابلالي . لم اشعر بوطأة الوقت لاني صرفته بدرس العادات والاخلاق الوطنية وملاحظتها عن كثب، ومن اختبارات المرسلين في علاقاتهم اليومية مع الوطنيين .

في الرواق قفص ضم زوجاً من الحمام زبدي اللون جيء به من دمشق . هو من الفصيلة التي يسميها العرب « يا كريم » من سجعها المشهور الذي يصعب على الفرنجة فهمه . في المطبخ، اعشاش السنونو تشارك العائلة سكنها .

الاحد ٢٣ ايار . — تقام الصلاة للعموم في القاعة الكبيرة التي تقوم مقام الكنيسة في بيت الارسالية قبل الظهر وبعده . يعظ المستر ورتبات قبل الظهر والمستر تومسون بعد الظهر . عدد الحاضرين بين الثلاثين والاربعين واحياناً يبلغون المئة . حاولت حضور الصلاة فأغمي عليّ من الضعف، فاضطررت الى ملازمة فراشي . سار الاكتتاب الذي افتتح لبناء كنيسة للطائفة البروتستانتية سيراً موفقاً وانتهى بتشييد بناية كبيرة تفي بأغراض الطائفة وحاجتها .

كان مركز المرسلين في حاصبيا بادارة السيدين تومسون وفانديك . فيأتيان من صيدا حيث يسكنان، ويصرفان اياماً واسابيع في حاصبيا . اما تاريخ سلسلة الحوادث البروتستانتية في حاصبيا فله اهميته وفائدته، ولكنه معروف جيداً فلا فائدة ترجى من تكراره[437] .

الاثنين ٢٤ ايار . — شعرت ببعض التحسن في صحتي . ركبت

في المساء مع المستر تومسون لزيارة ينبوع الاردن . الطريق يسير منحدراً على ضفة الوادي الشمالية الى الجسر القوي المبني من الحجارة فوق النهر ، على بعد نحو نصف ميل من المعبر شمالاً حيث مررنا يوم الخميس . يبعد الينبوع نحو ثلاثين روداً * الى شمالي الجسر . يخرج الينبوع قوياً وغزيراً من سفح نتوء بركاني اسمه راس العوجه في طرف الحرف الذي يمتد نزولاً الى الشمال من حاصبيا ٤٣٨ . ويسمى هذا الينبوع نبع الحاصباني او راس النبع ، عبر الينبوع وتحته مباشرة ، بُني سدّ متين مركّز ، نشأ عن بنائه مقلب ماء تكوّنت منه بركة يجري ماؤها في قناة واسعة الى طاحونة . افسد هذا العمل على هذه البقعة سحرها وجمالها . لم يعد بالامكان رؤية الينبوع ، ولكن فوق السدّ يُرى الماء في غليانه الشديد على سطح البركة وانسيابه منها . تقلّ الاشجار كثيراً على ضفتها ، وعلى الجهة الغربية يقوم صخر كبير .

هذا الينبوع هو ابعد ينابيع الاردن الدائمة . صعدنا قليلاً في الوادي فرأينا جدولاً صغيراً جارياً ، قيل انه من ينابيع فوقه شحيحة في هذا الفصل من السنة . عبرنا الوادي بعد بضعة ايام فلم نرَ اثراً للمياه في الجداول . اما في فصل الامطار فتجري مياه غزيرة من اعالي وادي التيم ومرتفعات جبل الشيخ حول راشيا فتسبب فيضاناً هائلاً في الوادي . وعلى مسافة بضعة اميال فوق الينبوع يصبح الوادي ضيقاً وارضه صخرية . ولكن اعلى من ذلك ينفسح ثانية الى حوض واسع مدرج .

* الرود يساوي خمسة يردات ونصفاً . – المعرب .

تقدمنا الى آبار الحمّر الشهيرة الواقعة على الاحدور الغربي تجاه لمعبر وتبعد عنه نحو ربع ساعة . سطح الآبار مكون من راسب طيني (حوّارى) صاب يتخلله عقيدات من الصوان ، ولكن لا شيء يدل على وجود الحمّر . يوجد نحو من عشرين او ثلاثين بئراً بعضها بعمق خمسين قدماً . وغالباً ما يفتحون آباراً جديدة ويزيدون في عمق القديمة المهجورة . اما طبقات المعدن فتحفر افقياً ، ثم يستخرجونها بواسطة آلة لرفع الاثقال . والحمّر المستخرج صلب ، ويعد من احسن الاصناف . والارض والآبار ملك للحكومة تلزّمها لمن يرغب في العمل فيها . اما الآن فقد انتهى فصل العمل السنوي . ويباع اكثر الحمّر في دمشق ويستخدم في ابعاد الحشرات التي تتلف العنب . والحمّر يذوّب في حرارة شديدة ثم يمزج بقليل من الزيت وتطلى به الجفنة بالقرب من جذرها [٤٣٩] .

والناظر من آبار الحمر يرى الناحية الغربية من جبل الشيخ وحرفه المنخفض الموازي له . اما السلسلة الرئيسية العالية كما ترى من هنا ، ومن اي مكان آخر من ناحية واحدة ، فهي ذات قمتين ، اعلاهما الواقعة في اقصى الشمال الشرقي وهي تعلو عن الاخرى نحو الف قدم . وكلاهما يودعان الثلج والجليد الذي يجري قطعاً متألقة على جوانبهما [٤٤٠] . اما الحرف الموازي لها فهو ينخفض عنها بما لا يقل عن الفين او ثلاثة آلاف قدم ويمتد على طول جبل الشيخ بالقرب من راشيا الى الطرف الجنوبي قرب بانياس . وهو متلاحم غير منقطع الا مرة واحدة قرب قرية شبعا ، حيث الوادي الفوقاني الذي يبتدىء قرب الطرف الشمالي

الشرقي ويقطعه نزولاً حتى وادي التيم [٤٤١] . ويوجد مقلب مياه في الوادي العالي على مسافة قريبة من جنوبي تلك النقطة ، وهو ينحرف باتجاه الجنوب الغربي وينزل الى السهل الجنوبي بالقرب من غربي بانياس ماراً في هوة وادي العسل العميقة شرقي قمة مخروطية عالية .

ومن الآبار ايضاً يمكن الناظر رؤية نواحي حاصبيا المرتفعة. رجعت الى البيت بطريق مجاز النهر .

لجأ درزي مؤسس الديانة الدرزية في القرن الحادي عشر الى الوادي الشهير ، وادي التيم . فالوادي اذاً على صلة وثيقة بتاريخ هذه الامة الشهيرة المبكر [٤٤٢] . وقد ذكر هذا الوادي ابو الفدا والظاهري في القرنين الرابع عشر والخامس عشر [٤٤٣] .

يبتدىء الوادي القصير المختبئة فيه حاصبيا تقريباً ، على مسافة لا تبعد كثيراً عن شرقي البلدة [٤٤٤] . رأسه كالمدرج (امفيتياتر) تحيط به من جهاته الثلاث آكام عالية مدوجة تكسوها الكروم واشجار التين والزيتون الى قممها . القسم الغربي اكمة صخرية بنيت المدينة عليها وحولها . وهي تبرز من الآكام الجنوبيـة فينحصر الوادي ويصغر ، ويضيق على طول ناحيته الشمالية ، فتكتمل دائرة المدرج تقريباً . وتعلو الآكام الواقعة الى شمال هذا الوادي وجنوبيه ستماية او سبعماية قدم فوقه . والجهة الشرقيـة اكثر ارتفاعـاً من ذلك ، ولكن الغربية اكثر انخفاضاً . يقع قصر الامير واتباعه ، (كما يسمّونه) ، على قمة هذه الاكمة المنخفضة الناتئة فوق الوادي الضيق . ويقع الحي اليهودي تحت القصر على المنحدر الغربي . تقع بيوت البلدة وراء القصر الى جهة الجنوب ، وتنتشر

صعداً على جانب الاكمة العليا ، فتغطي فسحة كبيرة من الارض . وتمتد البيوت نزولا ايضاً على الجانب الشمالي الشرقي من الاكمة المنخفضة البارزة ، حتى بطن الوادي . وقد بدأت تمتد عبر الوادي ، الى الشمال الغربي حيث الارض منحدرة ، فتظهر بارتفاع البيوت في البلدة القديمة . بعد ان يخرج نهر البصيص من وهدته يتسع ويجري وسط بقعة متسعة ويصب في الحاصباني فوق المعبر بقليل . وترى حاصبيا جيداً من الاكمة الشمالية ، على الطريق المؤدي الى الجسر ، وهو الطريق الذي سرنا عليه يوم الاثنين . وهذا اقرب مكان يشرف على البلدة كلها . فترى البيوت منتشرة صعداً الى جنوبي قصر الامير والجنوب الغربي منه والى الشرق نزولاً الى مجرى الماء وعبره . وهذا الاخير هو حي البروتستانت . وترى حاصبيا مع المدرج من قرية عين قنيا الصغيرة التي تقع شرقيها مباشرة ، وعلى مسافة نصف ساعة منها على حاجب المدرج نفسه . ثمة منظر ثالث من الجهة المعاكسة ، ابعد من الاثنين السابقين ، وهو من الحرف المرتفع غربي وادي التيم . فاذا صعّد المرء بصره في وادي بصيص باتجاه بين الشرق والجنوب الشرقي ، تحيط عينه بكامل الوادي والمدرج والبلدة . ويرى المدرج من هذه النقطة على الخصوص كأنه حوض عميق غارق وسط سلسلة آكام واسعة تمتد منحدرة من جبل الشيخ نحو الغرب . وماء هذا الحوض ينزح الى الوادي الضيق ويجري الى الحاصباني . وتقع حاصبيا على ثلاث وثلاثين درجة وخمس وعشرين دقيقة وثلاث عشرة ثانية من خط العرض ، كما دوّنها اللفتنت لينتش Lieut. Lynch .

تكثر كروم العنب حول حاصبيا، والجفنات تغطي الاكمة الجنوبية . يُستهلك اكثر العنب للاكل او يصنع زبيباً ودبساً، وذلك بعد دوسه لاستخراج عصيره وغليه . خرجت بعد ظهر احد الايام برفقة المستر ورَتبات، وسرنا بجانب مجرى الماء الفوقاني في الحي الشمالي الشرقي ، فوصلنا الى معصرة لصنع الدبس . رأينا خابيتين * قليلتي العمق ، الواحدة بجانب الاخرى حيث يداس العنب ، ثم يخرج العصير الى قناة خارجية ويصب في ثلاثة دنان عميقة اصغر من الخابيتين حيث يترك وقتاً يكفي لرسوبه وصفاء لونه . وهذه الدنان كلها محفورة في الصخر الصلد . ثم ينقل العصير الى مرجل كبير تحتها ويغلى الى درجة من الكثافة الملائمة . واخيراً يضعونه في دنّين او ثلاثة اصغر كي يبرد .

امراء حاصبيا هم فرع مسلم من عائلة شهاب ، ولكنهم يختلفون عن اولئك الذين حكموا طويلاً في جبل لبنان . وزعيم العائلة هو حاكم قضاء حاصبيا بالوراثة ، ولكنه تابع للباشا في دمشق . والقصر ، كما يسمونه ، بناءٌ رثٌ ولكنه يغطي قطعة ارض كبيرة ، تسكنه فروع مختلفة من العائلة . ويعتبر الامير الحالي ضعيفاً ، قليل الوفاء ، ومواربًا ** . كان في هذا الوقت يُحسن معاملة المرسلين ويميل اليهم . وكان المستر ورتبات طبيب عائلته ، ولكنه كان دائم الاستعداد لمضايقة البروتستانت ، وهو الآن يرفض قبض الضرائب منهم إلا على اساس انهم اعضاء في الكنيسة

* يقصد بالخابية والدن النقرة في الصخر . — المعرب .

** استعمل المؤلف عبارة تؤدي معنى الموارية وهي « يزفر ساخناً وبارداً في آن واحد » . — المعرب .

الارثوذكسية ، وهذه مخالفة صريحة للقانون وللعرف المعمول به في اي مكان آخر .

يتوج اعلى قمة على التلة الواقعة فوق حاصبيا جنوباً ، معبدٌ او جملة معابد للدروز تسمى خلوات البياض . وهذه الخلوات تشيد غالباً منعزلة ، على رأس تلة ، او حافة جرف ، او على حدود غابة ، وهذا ما اكسبها اسمها الذي يعني العزلة . ومن الصعب تمييزها من امكنة السكن في كيفية بنائها وحجمها . وخلوات البياض هذه هي اشهر اماكن الدروز المقدسة ، نهبت العام ١٨٣٨ بعد معركة شبعا الفاصلة ، فاستبيح المخدع السري واستولي على الكتب المقدسة الموجودة في عدة صناديق ، فانتشرت في انحاء البلاد وفي العالم[٤٤٥] .

تبعد خلوات البياض نحو عشرين دقيقة عن حاصبيا ، وتقع على بضع رودات غربي الطريق المؤدي الى عين جرفا والعبادية . ويشرف مركزها على مرج عيون واقليم الشقيف حتى البحر تقريباً . ومن الجنوب يشرف على الحولة . ولا يضاهيها في جمال اشرافها واتساعه إلا بضعة مراكز[٤٤٦] .

تقع قرية عين قنية الصغيرة المذكورة سابقاً شرقي حاصبيا ، وتبعد عنها نصف ساعة . وقد اكتسبت اسمها من قناة صغيرة تنقل الماء من ينبوع فيها الى قصر الامراء[٤٤٧] .

تبعد قرية شويا خمس عشرة دقيقة عن عين قنية الى الجهة الفوقى على الاتجاه نفسه من حاصبيا تقريباً . سكانها دروز ، وتبعد نحو نصف ساعة عن خلوات البياض . وتقع على قمة اخرى من قمم هذا المدرج من الآكام ، واكثر ارتفاعاً من اية قمة ذكرت

سابقا . ويمتد منها النظر الى ابعد من تلك ، ولكن المناظر لا اهمية لها . في الشمال قرية عين عطا ، تدل عليها قبة بيضاء ، وهي واقعة في قضاء راشيا ، قرب سفح جبل الشيخ . ينحدر منها حرف عالٍ الى الحاصباني ويفصل بين قضائي راشيا وحاصبيا ، او كما يسمونهما وادي التيم العليا والسفلى . وبين هذا الحرف والبصيص يجري واديان الى الحاصباني . تقع قرية الكفير المسيحية الكبيرة ، على المنحدر الشمالي في الوادي الواقع في اقصى الشمال ، وقرية خلوات الكفير على منحدرها الجنوبي . اما الوادي الجنوبي فهو اكثر اتساعاً من الوادي الشمالي ويمكن اعتباره مقسوماً واديين بحرف منخفض تقع عليه قرية ميمس . وتقع قرية عين تنتا عالية على جانبه الشمالي . اما قرى كوكبا ولبّايا والنبي صفا او « ثلثاثا » والحيدثة ، فهي واقعة على منحدر الحرف الشرقي الذي يحدّ وادي الحاصباني من الغرب . ويفصل وادي ميمس عن وادي شبعا حرف ضيق واقع فوق شويا الى الشرق ، ويصل اكمة شويا بمؤخر الجبل . وعلى طول هذا الحرف ، يمرّ طريق من حاصبيا الى شبعا ، يتفرّع منه طريق صيفي الى دمشق[٤٤٨] .

يفصل وادي بصيص عن وادي ميمس حرف يمتد نزولاً من عين قنية في شمالي حاصبيا وينتهي في طرفه الادنى ببروز يدعى راس العوجه ، وقد ذكر سابقاً . وسجل الدكتور دي فورست ارتفاع عدة اماكن في حاصبيا وجوارها في العام نفسه بواسطة آلة ضغط الهواء ، وهي كما يأتي :

	قدم انكليزية
الخان	١٦٠٩

مجاز النهر	١٩٥٤
ينبوع الحاصباني	١٧٠٠
قصر حاصبيا	٢١٦٠
الطريق قرب خلوات البياض	٢٧١١

المصادر المتسلسلة

١ — Nau Voyage Nouv. de la Terre Sainte p. 550 sq.

٢ — رحلة صيفية ، المجلد الثاني ، ص ١٦ وما بعدها ، ص ٣٣ .

٣ — راجع تقريره في « المشنري هرالد » ، شهر تشرين الثاني، العام ١٨٣٧ ، ص ٤٣٥ وما بعدها .

٤ — راجع تقريره في « المشنري هرالد » السنة الاولى c. ص ٤٣٦ .

٥ — راجع تقرير الدكتور اندرسون الجيولوجي ، ص ١٢٨ ، عن هذه الفوهة . وقد عثر الدكتور اندرسون على فوهتين أخريين تشبهان هذه الفوهة بالقرب من طيطبة ودلاتا . التقرير نفسه ، ص ١٢٩ .

٦ — تقع صفد من هذه الفوهة ، جنوباً ، ٢٧ درجة شرقاً ، وتقع بنيت ، جنوباً ، ٦٥ درجة شرقاً . راجع الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثاني للمؤلف .

٧ — راجع الصفحة ٤٣٢ من المجلد الثاني للمؤلف .

٨ — راجع تقرير المستر تومسون في « المشنري هرالد » السنة الاولى c. ص ٤٣٥ . ويبدو ان المستر تومسون سار

على غير طريق، غربي الجش .

٩ — Joseph. B. J. 2. 20. 6. ib. 4. 1. 1. ib. 4. 2. 1–5.ib. c. 8.
Vita § 38. comp. §§ 10, 18. Reland Pal. p. 812.

١٠ — Hieron Comm. in Philem. 23 « Talem fabulam accepimus: Aiunt Parentes Apostoli Pauli de Gyscalis regione Judeae, » Reland p. 813.

١١ — See the Talmudic passages, Lightfoot Opera 11. p.593.
Reland pal. p. 817 ; comp. 813.

١٢ — Benj. of Tud. 1. p. 82.
Carmoly, pp. 833, 184, 262, 380, 452.
Hottinger Cippi Hebraici Ed. 2. p. 70.
يعزو مؤلف هذا الدليل الاخير بناء الكنيس الى ر. سيميون ابن جوشاي R. Simeon Ben Jochai

١٣ — Carmoly, pp. 262, 380. 451.
Hottinger Cippi Heb. pp. 68.

١٤ — منها فاره شمالاً ، ٨٥ درجة شرقاً . راس الاحمر جنوباً ٤٥ درجة شرقاً . الجش جنوباً ١٠ درجات شرقاً .

١٥ — في العام ١٦٧٤ م قضى نو وجماعته ليلة في يارون ، ويذكر اطلال دير وكنيسة على مرتفع مجاور ، وقواعد وقطع اعمدة كثيرة . ص ٥٥١ ، ٥٥٢ . والارجح انها « اطلال كنيسة من المرمر الابيض .» ذكرها ايضاً Monro ، ويظهر انه رأى الناووس المذكور اعلاه ، ولكني لم اتميز هذا الناووس من وصفه اياه ، م ٢ ، ص ١٧ . غربي هذه النقطة تغيرت طريقه عن طريقنا .

١٦ — See Sale's Koran, Prelim. Disc. c. viii

Voyage 11. p. 77 sq. Niebuhr Reisebeschr. 11. p. 426 sq. Volney

١٧ – راجع ص ٣٧١ من المجلد الثاني للمؤلف ، الملاحظة الثانية .

١٨ – Will. Tyr. 11. 5., "In montibus ··· ab eadem urbe Tyrensi quasi per decem distantibus miliaris, in locum cui nomen priscum Tibenine, castrum aedificare, cui... nomen indidit Toronum."

نقل جاكوب دي فيتري Jacob de Vitry ما كتبه وليم الصوري ، ولكنه اهمل التاريخ ، ص ١٠٧٢ ، c. ٤٣ . واقتبس ولكن Wilken عن جاكوب دي فيتري ، ولكن يبدو انه لم يطلع على ما كتبه وليم الصوري ، ولذلك فقد اقتصر على القول ان طورون بنيت قبل سقوط صور العام ١١٢٤ م.

Gesch. der Kr. V. p. 42. n.

١٩ – Will. Tyr. 17. 14. ib. 21. 27.

Wilken I. c. III. ii. pp. 8. pp. 13, 191.

راجع ص٤٤٢ من المجلد الثاني للمؤلف .

٢٠ – Will. Tyr. 22. 5. Jac. de Vitr. c. 93 p. 1117.

Wilken, 1. c. pp. 201, 255, 287.

قابل مع ص ٣٧٦ من المجلد الثاني للمؤلف .

٢١ – Bohaeddin Vit. Salad. pp. 71, 72.

Reinaud Extr. p. 202.

Wilken, I. c. III. ii. p. 295.

٢٢ – The particulars of this siege are given by Arnold of Lubeck, Lib. V. c. 4. sq. in Leibnitz Scriptor. Rerum

Brunswic. Tom. II. p. 706 sq.
Oliver. Scholast. in Eccardi corp. Hist. Med. Ævi,
Tom. II. p. 1391 sq.
Comp. Ibn el Athir in Reinaud Extr. pp. 380, 381.
See Wilken Gesch. de r Kr. V. p. 42—53.

٢٣ — Wilken ib. VI. p. 236, and Abu Shameh as there cited.

٢٤ — Reinaud l. c. p. 498.

Wilken ib. VII. p. 493.

٢٥ — Benj. of Tud. I. p. 108.
Comp. Hottinger Cippi Hebr. Ed. 2. p. 66.
Brocardus c. 3. p. 172.
Nau Voyage etc. p. 552.

٢٦ — يسمي المؤرخون العرب هذا الحصن شقيف ارنون تمييزاً له من حصون كثيرة غيره ، اقل منه شهرة اسمها الشقيف .

Abulf. Tab. Syr. p. 98.
Schultens Index in Vita Salad. art. Sjakyfum.

٢٧ — Will Tyr. 21. 29.
Wilken ib III. ii. p. 193.

٢٨ — Bohaeddin Vit. Salad. p. 89. sq. 113.
Reinaud Extr. pp. 237, 239, 240.
Wilken ib. IV. pp. 247, 255, 259, 274.

٢٩ — راجع الصفحة ٤٢٧ من المجلد الثاني للمؤلف . يذكر المؤرخون العرب في كلامهم عن هـذه الحادثة ، الشقيف وصفد. اما المؤرخون المسيحيون * فيقولون : بلفور وصفد.

Reinaud p. 440.

* يستعمل المؤلف كلمة المسيحين بدل كلمة الصليبين . — المعرب .

Abulf. Annal. A. H. 638. Tom. IV. p. 462.
Hugo Plagon p. 723.
Marin. Sanut. p. 215.
Comp. Wilken ib. VI p. 600.
Marin. Sanutus further describes the river el-Kasmeyeh (Litany) as flowing close under Belfort ; p. 245.

ويقول Marin. Sanut. ان نهر القاسمية (الليطاني) يجري من تحت بلفور تماماً .

٣٠ — Reinaud p. 441.
Wilken I. c. p. 603.

٣١ — Hugo plagon p. 736.
Marin. Sanut. p. 221.
Wilken ib. VII. p. 400.

٣٢ — Makrizi in Reinaud p. 504.
Marin. Sanut. p. 223.
Wilken ib. pp. 518, 519.

٣٣ — Abulf. Tab. Syr. p. 98. Rosenmüller Analect. Arab. III. p. 20. Arab. d. 41. Lat.

٣٤ — إلا اذا كانت El Kiff (ال كيف) التي ذكرها Sandys وقال ان فخر الدين حصنها تحصيناً قوياً ، ص ١٦٥ . سمع Burckhardt بالشقيف بينما كان ماراً من حاصبيا الى بانياس العام ١٨١٠ م، ص ٣٦ . وBuckingham مرّ بالقرب منها العام ١٨١٦ بطريقه من بانياس الى صيدا ، ولكنه يذكر الاسم فقط ، في كتابه « رحلات بين القبائل العربية » Travels among the Arab Tribes, 4 to. p. 407. في العام ١٨٣٥ مرّ بالقرب منها بطريقه من الحولة الى مرج عيون

وجزين . انظر اعلاه ص ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، وما بعدها . زرنا الشقيف العام ١٨٥٢ ، انظر المجلد الثالث ، الفصل الثاني ، التاسع من نيسان .

٣٥ – وليس الحديث كما جاء في الطبعة السابقة .

٣٦ – وربما كانت للتمييز بين الاثنتين ، فسميت قانا المذكورة في العهد الجديد قانا الجليل . يشوع ، الاصحاح ١٩ ، العدد ٢٨ .

٣٧ – Onomast. art. Cana.

اما ما كتبه Jerome فجد مشوش وغير واضح ، والراجح انه محرّف . ويظهر ان Euselius لم يميز بين قانا هذه وبين قانا الجليل .

في العام ١٨٣٧ بات في قانا بطريقه من صور الى صفد ، « المشنري هرالد » ، تشرين الثاني ١٨٣٧ ، ص ٤٣٤ .

Miss. Herald for Nov. 1837, p. 434.

وسمع بوكوك Pococke بهذا الاسم عند مروره على الشاطىء .

٣٨ – يقول Monro انه رأى رموزاً مصرية مختلفة منقوشة على الصخور ، على مسافة ميل شرقي القرية ، ص ٢٣ – ٢٥ .

II p. 23 – 25.

See in Vol. III. Sec. II, under April 10 th. penult.

راجع المقطع الاخير من المجلد الثالث ، بتاريخ العاشر من نيسان .

٣٩ – تكثر في آسيا الصغرى هذه القبور المشتملة على ناووس واحد ضخم .

Fellow's Journal in Asia Minor, Lond. 1839, pp. 48, 219, 248.

٤٠ – ذكره Monro الذي سار على الطريق الذي مررنا عليه . المجلد الثاني ، ص ٢٥ . وذكر القبر ايضاً المستر تومسون العام ١٨٣٧ ، ص ٤٢٥ .Ic .

٤١ – يصف Maundrell هذين الحوضين بقوله : « الواحد منهما اثنا عشر يرداً وعشرون يرداً الثاني تربيعاً » ، في Journal ٢١ آذار .

٤٢ – يظهر ان هذه القناة كانت قائمة في ايام فولني
Volney Voyage, II. p. 199.
ويذكرها Maundrell و Pococke بكل وضوح ، حتى ان Pococke يذكر وجود اثنتين ، Vol.II i.p. 81. ، والشبه قليل بين هذه البقعة ووصف Pococke لها .

٤٣ – يصف Maundrell في الحادي والعشرين من آذار هذا الحوض وصفاً دقيقاً ، وربما كان حقيقياً ، فيقول : « شكله مثمّن ، قطره اثنان وعشرون يرداً ، علوه عن الارض تسع يردات من الجهة الجنوبية ، وست يردات من الجهة الشمالية ، ويقال انه لا يمكن سبر غوره من الداخل . ولكن هذا الرأي دُحض اذ سُبر فوجد عمقه عشر يردات . جدرانه مزيج من الرمل والحصى الصغيرة ، ولكنها مقوّاة بالملاط القوي المتماسك ، حتى لتخاله قطعة واحدة قدّت من صخر . على حافته ممشى عرضه ثماني اقدام ، وهذا الممشى يتصل بممشى آخر تحته بينهما درجة واحدة في الغرب ودرجتان في الشمال ، عرضه احدى وعشرون قدماً . والقناة الآن جافة ، وتمتد نحو مئة

وعشرين خطوة الى الشرق حيث تقترب من الحوضين الآخرين . » اما ملاحظاتنا عن المواد المستعملة في البناء فتشير الى الحجارة الكبيرة التي بدأت تتفتت . ويقول Niebuhr بكل وضوح ان هذا الحوض بني بحجارة كبيرة رُبعت اطرافها .Reisebeschr, III, p. 78 وفي ايام Brocardus وجدت هنا ست طواحين c. 2. p. 170 .

٤٤ — ويذكر Hasselquist ان الصفصاف والرشراش والخروع تزرع هنا بكثرة ، وكذلك السولانوم Solanum الخ ،
Reise, pp. 187, 556.

٤٥ — يتبنى Maundrell ايضاً هذا الرأي ، في الكتاب نفسه .

٤٦ — Cant. 4, 15. The Vulgate corresponds still better;
" Fons hortorum, putens aquarum viventium, quae
fluit impetu de Libano."
So will. Tyr. 13. 3.
Jac. de Vitr. c. 43. p. 1071.
Brocardus c. 2. p. 170.
Quaresmius Elucidate. Tom. II. p. 904, etc. etc.

نشيد الانشاد ، الاصحاح الرابع ، العدد ١٥ : ينبوع جنات ، بئر مياه حية ، وسيول من لبنان .

٤٧ — Menander in Joseph Antiq. 9. 14. 2.

٤٨ — Will. Tyr. 13. 3. " et canamellas, unde Preciosissima usibus et saluti mortalium necessaria maxime, conficitur zachara : unde per institores ad ultimas orbis partes deporatur. "
Comp. also 7. 2. 2. Jac. de Vitr. c. 43. p. 1071.
Brocardus, c. 2. p. 170.
Marin. Sanut. pp. 160, 245.

٤٩ – انظر المجلد الاول ، ص ٥٦١ .See above, Vol. I. p. 561
المؤلف .

٥٠ – يذكر الظاهري المؤرخ العربي حوالى منتصف القرن الخامس عشر ، المعشوق مع صور ويقول انها مدينة مخربة ومقفرة وتكاد تكون قرية فحسب .

Rosenmüller's Analect. Arab. Pars III. p. 19. Arab. p. 41 Lat.

ويشير Sandys كذلك الى وجود قرية هنا العام ١٦١١ م . راجع رحلاته ص ١٦٦ .

٥١ – اشعيا، الاصحاح ٢٣ ، العدد ٨ . حزقيال، الاصحاح ٢٦، العدد ٤ و٥ . الاصحاح ١٢، العدد ١٤. الاصحاح ٢٧، العدد ٤ و٢٧.

٥٢ – هذه القياسات اخذها الكبتن نيوبولد Capt. Newbold العام ١٨٤٥ ، جريدة الجمعية الملكية الاسيوية ١٢ ، ص ٣٥٥ .

Journ. of the R. Asiat Soc. XII p. 355.

٥٣ – رأينا اعمدة مزدوجة مثلها في تل حوم ، ولكنها اصغر منها كثيراً .

٥٤ – Volney Voyage Tom. II. p. 196.

٥٥ – عظة Eusebius وما ذكره عن الكنيسة مدونة في مؤلفه التاريخي : Hist. Ecc. 10. 4. قابلها مع Maundrell ، العشرين من آذار .

٥٦ – Will. Tyr. 21. 9. يقول البعض ان وليم الصوري انكليزي ، والبعض الآخر يدعي انه افرنسي او الماني مولداً ،

Bongar's Praef in Gesta Die per Francos No. xi. His French continuator says expressly that he was born in Jerusalem; ibid.

Le Quien Oriens Chr. III. col. 1314.
Comp. Bibliographie Universelle art. Guillaume, etc.

ويقول ملازمه الفرنسي ، بشكل وضوح ، انه ولد في القدس .

٥٧ — غرق الامبراطور فريدريك الاول باربارو سا Frederic I (Barbarossa) في نهر كاليكادنوس Calycadnus ، والبعض يقول سدنوس (Cydnus) في كيليكيا ، في زحفه الى الارض المقدسة في العاشر من حزيران العام ١١٩٠ م . فنقل جثمانه اولاً الى انطاكية ووضع في الكاتدرائية امام مذبح مار بطرس.

Wilken Gesch. der Kr IV. pp. 139. 143.
Raumer Gesch. der Hohenstaufen II. pp. 436. 437.

اما المؤرخون الانكليز فيقولون ان لحمه وامعاءه فقط تركت في انطاكية .

"Viscera et cerebrum et carnem suam aqua coctam et ab ossibus separatam in civitate Antiochiae ;"
Roger Hoved. in Savile Scriptor.
Rerum Anglicar. p. 651.
Brompton Selden Script. Hist. Anglic. p. 1165.

ويقال ان عظامه فقط دفنت في صور .

Sicard. Chron. in Muratori Tom. VII. p. 612.
Dandoli in Muratori Tom XII. p. 314.

وقد انتشرت اسطورة ، والارجح انها من القرن السادس عشر ، ولكنها تحريف او تضليل مستغرب ذكرها الكثيرون من السياح ، وهي ان باربار وسا غرق في القاسمية شمالي صور تماماً . راجع :

Sandys' travels, p. 166.
Monconys I. p. 331.
Pococke II. i. p. 84.
Hogg's visit, to Damascus, etc, II. p. 184.

٥٨ – راجع الصفحة ٤٥٦ من المجلد الثاني للمؤلف .

٥٩ – Melia Azedarach of Linaensn called also pride of China·

ويقال ان اصل هذه الشجرة من سوريا .

٦٠ – في العام ١٨٠٦ م نزل سيتزن Seetzen ضيفاً على العلامة اسقف صور او صيدا في حاصبيا .

Zach's Monatl. Corr. XVIII. p. 341.
Reizen l. pp. 323. 327.
Burckhardt travels p. 33.

وقد ذكر بركهاردت في رحلاته ، صفحة ٣٣ ، انه حمل رسائل الاسقف نفسه .

٦١ – راجع تقرير المستر تومسون الذي طالما رجعنا اليـه في «المشنري هرالد» تشرين الثاني العام ١٨٣٧ م، ص ٤٣٤، ٤٤١ .

٦٢ – يشوع، الاصحاح ١٩، العدد ٢٩. صموئيل الثاني، الاصحاح ٢٤، العدد ٧ .

Jos. Ant. 8. 3. 1.
Justin Hist. 18. 3.

٦٣ – Jos. Ant. 8. 2. 7. ib. 8. 5. 3.

٦٤ – So (كتابة يونانية) Diod. Sic. 17. 40

Jos. Ant. 9. 14. 2.
Vetus Tyrus Q. Curt. 4. 2. 13.
Justin 11. 10. 11.

٦٥ – Menander in Joseph. Ant. 9. 14. 2.

٦٦ – Joseph. c.

Apion. 1. 21.
Antiq. 10. 11. 1.

٦٧ – Jos. Ant. 11. 8. 3.

Diod. Sic. 17. 40. sq. جملة يونانية

Quint Curt. 4. 2. sq. 18, " Magna Vis Saxorum ad manum erat,
Tyro vetere praebente."
Arian. Alex. 2. 16. sq.

٦٨ — Plin. H. N. 5. 17.
Strabo 16. 2. 23. p. 519. sq.

٦٩ — Math. 15, 21. Mark 7, 24. Acts 21, 37.
متى، الاصحاح ١٥، العدد ٢١. مرقس، الاصحاح ٧، العدد ٢٤.
اعمال الرسل، الاصحاح ٢١، العدد ٣٧ .

٧٠ — كان كاسيوس Cassius استقف صور حاضراً في مجمع قيصرية المنعقد نحو العام ١٩٦ او ١٩٨ م. راجع عنه وعن غيره من الاساقفة المراجع ادناه :

Reland Pal. p. 1054.
Le Quien Oriens Chr. ll. col. 801.
Hieron. Comm. in Ez. xxvi. 7, "quam hodie cernimus Phoenicis nobilissimam et pulcheriman civitatem." ib. xxvii. 2, " usque hodie perceverat: ut omnium propemodum gentium in illa exerceantur commercia."

٧١ — See generally Reland Pal. p. 1016 sq.
Cellarius Notit. Orb. ll. p. 881 sq.
Winner Bibl. Realworterb. art. Tyrus.
Rosenmüller Bibl. Geogr. Bd. II. i. p. 29 sq.
Hegstenberg de Rebus Tiriorum Berl. 1832. 8.

٧٢ — في العام ١١١١ م، حاصر الملك بولدوين الاول صور اربعة اشهر ولم يفز منها بطائل .

Albert. Aq. 12. 1-7.
Fulch. Carn. c. 37.
Will Tyr ll. 17.
Wilken Gesch. der Kr. ll. p. 227.

٧٣ — Will. Tyr. 13. 5.
Wilken Gesh. der Kr. ll. p. 505.

٧٤ — Will Tyr. 13. 14.

Wilken ib. p. 511.
See generally Will. Tyr. 13. 5-14.
Wilken ib. pp. 505-512.

٧٥ — Will Tyr. 13. 3.

Benj. of Tud 1. pp. 62. 63.
Reinaud Extr. p. 219.

٧٦ — Wilken ib. IV. p. 225-233 and the authorities there cited.

والمصادر التي استقى منها Wilken.

٧٧ — راجع ما جاء في تقرير مارسيليوس جيورجيوس Marsillius Georgius وهو رجل من البندقية كان حاكماً في سوريا.

Wilken ib. VII. pp. 371-387.

اما التنازع بين الاحزاب المسيحية المختلفة وبين الامراء للاستيلاء على صور ، فراجع عنه :

Wilken ib. VI. p. 623 sq.

٧٨ — Reinaud Extr. p. 503.

Wilken ib. VII. p. 516.

٧٩ — Wilken ib. pp. 474-478. 521 sq.

٨٠ — Wilken ib. pp. 735-770.

Reinaud Extraits p. 570 sq.

٨١ — Marin. Sanut. p. 231. c. 22.

Abulf. Annal. V. p. 98.
Wilken ib. VII. p. 771.

٨٢ — Marin. Sanut. p. 232.

Reinaud p. 573.

٨٣ — Brocardus c. 2. p. 170.

٨٤ — Abulf. Tab. Syr. p. 95. Edh-Dhahiri in Rosenmüller Analect. Arab III. p. 19. p. 41 Lat.

٨٥ — Cotovicus p. 190.
Sandys p. 168.

« ولكن صور هذه ، التي طارت شهرتها قديماً ، ليست الآن سوى ركام من الخرائب . اما منظرها الكئيب فيدعو الى الاحترام . وهي تلقي درساً قاسياً على المتأمل في انحطاطها وسقوطها . »

Quaresmius II.p. 906.

٨٦ — D'Avrieux Memoires, Par. 1735. Tom. I. p. 251.

٨٧ — Maundrell's Journal, March 20 th.

٨٨ — Pococke Description of the East, II. i. p. 82.

٨٩ — Reise p. 187.

٩٠ — Volney Voyage II. pp. 194. 196. 208.
Comp. Niebuhr. Reisebeschr III. p. 87.

٩١ — Turner's Tour, II. p. 101.

٩٢ — Strabo 16. 2. p. 521. كلمات يونانية

٩٢ — يتبع سترابو هنا الاتجاه من الشمال الى الجنوب ويذهب بعدها الى بطوليمي Ptolemais.

٩٣ — على مسافة ساعة ونصف جنوبي رأس العين ، خرائب في السهل دونها رفيقي ، ولكنها جد بعيدة . ويذكر مانغلز واربي « انها خرائب مدينة قديمة » . راجع رحلاتهما ، ص١٩٧ (٦١) .

٩٤ — راجع الصفحة ٤٦٧ وما بعدها من المجلد الثاني للمؤلف .

٩٥ — تسمى صور بالعبرية « تصور » (اي صخر) . وهذا الاسم

ينطبق تماماً على موقع الجزيرة ويخالف موقع المدينة البرية . واذا حللنا لفظة صور ، ونظر بعين الاعتبار الى براهين اخرى، امكننا القول ان المدينة الجزيرية هي المدينة الاصلية . ولكن اسم باليتيراس Palaetyrus الذي يطلق على المدينة البرية فحسب يخالف هـــذه النظرية . قابـل ما كتبه Hengstenb. de Reb. Tyr. c. I. ولازالة هذا الالتباس ، وعملاً بما يقوله فولني وروزنملر (Volney et Rosenmüller) وغيرهما ، قد يكون موقع باليتيراس على الاكمة الصخرية المعشوق ، فينطبق عندئذ عليها اسم تصور . ولكن هذه الاكمة واقعة الى الشرق او بالحري الى الشمال الشرقي من صور ، على مسافة تقل عن النصف ساعة ، فلا يمكن ان تكون لها علاقة بباليتيراس التي يذكرها سترابو.

Winer Bibl. Realworterb. Arab. Tyrus, note.
Rosenmüller Bibl. Geogr. II. i. p. 31.
Volney Voyage II. pp. 200, 201.

٩٦ – يظهر انه النبع عينه الذي يسميه بوكوك « Bakwok »
Pococke II. i. p. 84.

٩٧ – « هي عصا قديمة نقش عـلى مقبضها صورة كأس العشاء السري » . راجع رحلات ساندز ، ص ١٦٦ . ويذكر مونكونيز انه شاهـد رسم الكأس على لوحة حجرية .
Monconys I. p. 336.
قابله مع ما كتبه Nau صفحة ٥٤١ .

٩٨ – يصف دارفيو وموندرل في القرن السابع عشر جسراً فوق نهر القاسمية له اربع قناطر مهدمة ، لا يخلو المرور عليه من الخطر . مذكرات دارفيو الثانية ، ص ٥ . موندرل في

العشرين من آذار .

D'Arvieux Mémo. II. p. 5. Maundrell March 20 th.
Pococke II. p. 84.

ويذكر بو كوك في العام ١٨٣٧ انه وُجد جسر له قنطرتان ، وفي العام ١٨١٥ يتحدث ترنر Turner « عن جسر جديد جميل عرضه عشرون قدماً » Turner's Tour etc. II. p. 98.

٩٩ – يقول D'Arvieux العام ١٦٥٩ انه سمي هكذا لأنه يقسم حكومتي صيدا وصفد .

D'Arvieux Mémo II. p. 5. Paris 1735.

ويجعله Nau العام ١٦٧٤ ، فاصلاً بين اقليمي صيدا وصور ، ص ٥٤٨ . اما الآن فهو يكوّن الخط الفاصل بين اقليمي بلاد بشاره وبلاد الشقيف . اللفظة قَسَم تعني « القسمة » ، وقاسم هو « الذي يَقسم » ، وتُستعمل ايضاً اسم علم . ويظهر ان القاسميـة هي نسبة الى قاسم ، اي قاسمي ، مؤنثها قاسمية ، مشتقة من اسم العلم قاسم .

١٠٠ – راجع ما ذكر سابقاً ومـا علقناه على اسطورة غرق الامبراطور فريدريك بارباروسا Frederick Barbarossa في نهر القاسمية .

١٠١ – يصف الادريسي في القرن التاسع عشر نهراً يسمى نهر لانته Nahr Lanteh ، ينحدر من الجبال الى البحر بين صور وصرفند .

Edr. par Jaubert p. 349.
Reland Pal. p. 290.

والواضح ان هذا الاسم هو الاسم العربي لِ « ليونتز »

Leontes ، وهذا النهر لا يمكن ان يكون غير القاسمية، ولاسيما ان اسم الليطاني يطلق عليــه في مجراه في الجبـــال ، والراجح انه تحريف Leontes و Lanteh . لكن بتوليمي Ptolemy يضع نهر Leontes بين بيريتس (بيروت) وصيدا ، و Strabo يذكـر ايضـــاً مدينـــة باسم ليونتوبوليس Leontopolis بين تميراس Tamyras وصيدا .

Ptolem. 5. 4.
Strabo 16. 2. p. 520.
Reland Pal. p. 547. Cellarius Notit. Orb. II.
p. 377, 379.

وفي هـذه الحالة او الاستنتاج ، يكون نهر الاولي الحالي بوسترانوس The Bostrenus ، الواقع الى شمـالي صيـدا مطابقاً لـ Leontes . وهكذا يفترض Manert .

Phoenic. p. 294.

ويتحدث Strabo بوضوح عن نهر الى شمالي صور ، وهو بدون ريب نهر القاسميـة الحالي ، ولكنه لسوء الحظ لا يسجل اسمه . (عبارة باليونانية) 16. 2. 24. p. 758

١٠٢ – يذكر وليم الصوري هذا النهر مرتين ولكنه لا يسميه . ويقول Brocardus انه Eleutherns اليوثيروس .

Will. Tyr. 7. 22.
Brocardus c. 2. p. 171.

ويشاركه في رأيه Marinus Sanutus ص ٢٤٥ .

ويشاركه ايضاً Adrichomius ص ٣ ، الخ . الخ .

وقد اجمع الاقدمون على ان Eleutherus يقـع الى شمالي Tripolis (طرابلس) على حدود فينيقيا الشماليـــة او بالقرب منها .

Ptolemy 15. 4.
Strabo 16. 2. 12 p. 753.
Plin. H. N. 5. 20.

وهذا ما يذكره بتوليمي .

See Cellarius Not. Orb. 11. p. 374.
Mannert Geogr. von Arabien Palastina, etc. p. 308.
Leipz. 1831.

ويجعله Josephus نهراً فاصلاً يقع شمالي صور وصيدا ، وهذه النظرية تتفق مع كتاب المكابيين .

I. Macc. 11, 7. 12, 30.
Joseph. Apt. 15. 4. 1. B. J. 1. 18. 5.

وكان Maundrell اول من لفت النظر الى الانهر التي تقع شمالي طرابلس ، واكبرها هو النهر الكبير الذي يوافق كل الموافقة لما جاء عن Eleutherus . موندرل في التاسع من آذار . ومن رأيه ايضاً :

Pococke II. i. p. 204. sq.
Burckhardt p. 161.
Reland Palaest. p. 291.

ولا يوجد مبرر مطلقاً لافتراض وجود نهر ثانٍ بهذا الاسم في فينيقيا .

١٠٣ – تحدث الادريسي عن هذا المكان في القرن الثاني عشر . هذا ما ذكره عنه Jaubert ص ٣٤٩ . وهي بدون ريب ادنون * التي ذكرها Nau وادنو * التي ذكرها بوكوك .

Nau p. 548.
Pococke II. i. p. 84.

ويقول Strabo ان المدينة الصغيرة (اسمها باليونانية)

* الارجح انها عدنون وعدنو . – المعرب .

Orinthon (اورينثون) ، Orinthopolis (اورينثوبوليس)
بين صور وصيدا ، ولكن ليس لدينا معلومات تدل على
موقعها . قد تكون قرب عدلان او لا تكون ، والقبور
المجاورة تدل ، بدون ريب ، على وجود مدينة قديمة قبلًا .

Comp. Pococke I. c.
Strabo 16. 2. 24 p. 758.

١٠٤ – ذكر هذه القبور ساندز في رحلاته صفحة ١٦٦ .

Sandys' Travels p. 166.
D'Arvieux Mém. II. p. 85.
Pococke II. i. p. 84.

راجع رحلة Nau صفحة ٥٤٥ – ٥٤٨ .
راجع تقرير المستر تومسون عن رحلته الى صفد ، في « المشنري
هرالد » ، تشرين الثاني العام ١٨٣٧ ، ص ٤٤٢ .

١٠٥ – Will. Tyr. 19. 11. "Municipium quoddam nostrum, territorie Sidoniensi situm, speluncam videlicet inexspugnabi em, quae vulgo dicitur cavea de Tyro."

وهذا المعقل الذي احتله الصليبيون سُلم الى الجيش العربي
خيانة .

Wilken Gesch. der Kr. III. ii. p. 94.
Comp. Rosenmüller Bibl. Geogr. II. i. pp. 39, 40.

١٠٦ Joseph. 13, 4.

Comp. Rosenmüller l. c.

١٠٧ – ويذكر هيسيلكويست Hasselquist انه رأى الدفل اول
ما رآه بين صور وصيدا . اما نحن فقد رأيناه قبلًا بكثرة
حول وادي موسى وبحيرة طبريا . رايز REISE ص ١٨٨ .

١٠٨ – الملوك الاول ، الاصحاح ١٧ ، العدد ٩ ، ١٠ . عوبديا ،
العدد ٢٠ . لوقا ، الاصحاح ٤ ، العدد ٢٦ .

Joseph. Ant. 8. 13. 2.
Plin. H. N. 5. 19.
Cellarius not. Orb. II. p. 380.

١٠٩ – الملوك الاول ، الاصحاح ١٧ ، العدد ٩ – ٢٤ .

١١٠ – Onomast. Art. Sarepta.
Hieron. Epist. 86, Epitaph. Paulae p. 637. ed. Mart.

لم يُذكر الاسم في دليل هيرون ولا المسافة من صيدا ، ولكن الوصف مستوفٍ .

« Ibi Elias ad viduam ascendit et petiit sibi cibum ; » p. 583, ed. Wess.

١١١ – Sidonius Apoll. 17. 16.
Fulgent Mythol. 2. 15.
See the citations in full, Cellarius Not. Orb. II. p. 380 sq.
Rel. Pal. p. 986.

١١٢ – يقول وليم الصوري ان ساربتا Sarepta اسقفية ويذكر اسماء بعض الاساقفة .

Will. Tyr. 19. 14.

وقد سُجل بعد ذلك اسماء بعض الاساقفة . راجع :

Will. Quien Oe.
Le Quiens Oriens Chr. III. p. 1338 sq.

ذكر جاك دي فيتري الكنيسة . وذكرها كل من :

Jac. de Vitr. c. 44.
Marin Sanut. p. 165.
Phocas de Loc. Sanct. p. 7.
Brocardus c. 2. p. 171.

١١٤ – رحلات ساندز ، صفحة ١٦٦ .

Sandys' Travels p. 166.
Quaresmius, II. pp. 907, 908.
Nau, p. 544.
Pococke, II. i. p. 85.

لم يهتد المسيحيون الى موضع هذا الجامع . فقال البعض

انه في المكان الذي لقي فيه السيد المسيح المرأة السورية الفينيقية (الكنعانية) . راجع انجيل متى ، الاصحاح ١٥ ، العدد ٢٢ . مرقس ، الاصحاح ٧ ، العدد ٢٥ و ٢٦ .

راجع ايضاً المصادر ادناه :

Quaresmius ibid.
D'Arvieux Mémoires, II. p. 4. Paris 88, 1735.

١١٥ — Will. Tyr. 7. 22.

١١٦ — وقد ذكرت هذه الاضرحة مراراً . راجع المصادر ادناه :

Comp. D'Avrieux Mém. II. p. 4.
Pococke, II. i. p. 85.

١١٧ — رحلة مونكونيز، المجلد الثاني، الصفحة ٣٣٢. موندرل، ٢٠ آذار.

١١٨ — يظهر ان هذا ما قصه الفرنسيون المقيمون في صيدا . وقد تكون القصة صحيحة . راجع المصادر ادناه :

Nau p. 535.
Pococke II. i. p. 87.
Turner's Tour II. p. 87.
D'Arvieux Mém. I. p. 296.

١١٩ — D'Arvieux Mém. I. p. 298.

١٢٠ — Neibuhr Reisebeschr. III. p. 79.

١٢١ — Turner ib. p. 87.

راجع ما كتب عن الوكالة في المصدر ادناه :

See Lane's Mod. Egyptians, 88. p. 8. sq.

ولكن هؤلاء الكتّاب غالباً ما يخطئون في كتابة وكالة، فيكتبونها اوكالا Okella .

١٢٢ — ترنر ، المصدر نفسه ، ص ٨٨ Turner, ib. p. 88.

١٢٣ — تقرير المستر تومسون في Missionary Herald ، تشرين الثاني

العام ١٨٣٧ ، ص ٤٣٤ .

١٢٤ — Berggren Reisen, II. p. 217.

ويصف هيسلكويست Hasselquist القناة القديمة ، وهي باقية الى الآن تزود المدينة بالماء الذي يجري فيها من مسافة ميلين المانيين او اسوجيين ، اي اربع او خمس ساعات من الجبال ، رايز ، ص ١٩٢ Reise, p. 192.

١٢٥ — D'Arvieux Mém I. p. 332. Hasselquist Reise p. 188.

وخلا هذه ، يضيف عليها اشجار التوت وشجرة الدبق التي يُعمل من ثمرهـا الدبق للتصدير ، والسماق . ويقول ان الكروم لم تزرع حول صيـدا . ولكن دارفيو الذي سكن هنا قبله بقرن ، يقول ان الكروم كثيرة جداً تنتج عنباً لذيذاً للغاية ويُستخرج منه الخمر الابيض .

Mém. I. p. 328.

١٢٦ — وصفها موندرل ، في الثاني والعشرين من نيسان .

هيسلكويست رايز ، ص ١٨٠ .

Pococke, II. i. p. 87.

١٢٧ — سفر التكوين، الاصحاح ١٠، العدد ١٩، والاصحاح ٤٩، العدد ١٣ . الياذة هوميروس ٦ و٢٨٩، وفي المصدر نفسه ٢٣و٧٤٣ . الاوذيسة ١٥ و٤١٥ ، وفي المصدر نفسه ١٧ و٤٢٤ .

الاسم العبري يعني « محلًا لصيد السمك ». وهذا هو الاشتقاق القديم الذي احتفظ به يوستين Justin ١٨،٣ . ولكن يوسيفوس Josephus يقول انها مشتقة من صيدون ، ابن كنعان البكر . التكوين ، اصحاح ١٠ ، عدد ١٥ .

Joseph. Ant. I. 6. 2.

١٢٨ – راجع يشوع ، الاصحاح ١٩ ، العدد ٢٨ . القضاة ، الاصحاح الاول ، العدد ٣١ . الاصحاح ١٠ ، العدد ١٢ .

Josh. 19, 28. Judg. 1, 31. 10, 12.

Jos. Ant. 15. 4. 1. (كلمات يونانية)

١٢٩ – اشعيا ، الاصحاح ٢٣ ، العدد ٢ . حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، العدد ٨ . راجع ايضاً العبارات الهوميرية الواردة في الملاحظة الثالثة .

Virg. Æn. 4. 75.

Diod. Sic. 16. 41, 45. Strabo 16. 2. 24. p. 757. Plin. H. N. 36. 66.

وطلب ايضاً من مهندسي البناء الصيداويين ، الملوك الاول ، الاصحاح الخامس ، العدد السادس . الايام الاول ، الاصحاح الثاني والعشرون ، العدد الرابع . عزرا ، الاصحاح الثالث ، العدد السابع . ويعزو سترابو الى الصيداويين حذقهم في الفلسفة والفلك والهندسة والحساب والملاحة وسائر الفنون الحرة (I. C.) .

١٣٠ – Menander in Joseph. Ant. 9. 14. 2.

١٣١ – Diod. Sic. 16. 42. sq. 45.

١٣٢ – Jos. Ant. 11, 8, 3. Arrian. Alex. 2. Q. Curt. 4. 1. 15.

١٣٣ – Pompon. Mela 1. 12, "adhuc Oppulenta Sidon, antequam, a Persis capta, maritimarum urbium maxima."

١٣٤ – انجيل متى ، الاصحاح الخامس عشر ، العدد الواحد والعشرون . مرقس ، الاصحاح السابع ، العدد الرابع والعشرون . اعمال الرسل ، الاصحاح السابع والعشرون ، العدد الثالث .

١٣٥ – راجع لائحة الاساقفة في Reland Pal. p. 104.
Le Quien Oriens Chr. II. p. 811 sq.

١٣٦ – Onomast. art. Sidon, "urbs Phenices insignis."

١٣٧ – See generally Reland Palaest. p. 1010 sq. Cellarius Notit Orb. II. p. 379. sq. Winer Bibl. Realworterb art. Sidon. Rosenmüller Bibl. Geogr. II. i. p. 20. sq.

١٣٨ – Will. Tyr. 7. 22. Wilken Gesch. der Kr. I. p. 267.

ويسمي بعض مؤرخي ذلك العصر صيدا : ساكيتا .

Sagitta ; Alb. Aquens. 10. 8, 8, « urbs Sagitta, quae est Sidon ». Marin. Sanut. pp. 155, 245.

١٣٩ – Albert. Aquens. 10. 3, 4, 8, 45-50.
Ib. II. 31-34. Will. Tyr. II. 14. Wilken. ib. II. pp. 213, 216 sq. 221 sq.

١٤٠ – Bohaed. Vit. Sal. p. 72. Abulf.
Annal. A. H. 583. Reinaud Extr. p. 202. Wilken ib. III. ii. p. 295.

١٤١ – Wilken ib. V. pp. 33-35. والمصادر التي استقى منها :
Reinaud Extr. p. 380.

١٤٢ – Wilken ib. V. p. 41.

١٤٣ – Reinaud Extr. p. 453. Wilken ib. VII. p. 323.

١٤٤ – Wilken ib. VII. p. 323, etc. etc.
Marin. Sanut. p. 220.

ومن المؤكد انها القلعة الحالية الموجودة في البحر والمتصلة بالشاطىء بواسطة ممر .

١٤٥ – Wilken ibid. p. 333.

١٤٦ – Hugo Plagon p. 736. Marin. Sanut. p. 221. Wilken ib. pp. 400, 415.

١٤٧ – Wilken ib. pp. 771, 772. Reinaud p. 570. Comp.

above, p. 469.

١٤٨ — Brocardus c. 2. p. 171.

١٤٩ — Abulf. Tab. Syr. p. 93. Edh-Dhâhiry in Rosenm. Analect. Arab. III. p. 22. Lat. p. 47.

١٥٠ — Cotovic. p. 116. Sandys' Travels p. 164.

« ولكن هذه المدينة التي كانت متسعة قديماً والتي لا تبرح تتألم من جراء ما طرأ عليها من تقلبات الدول المتوالية عليها ، اصبحت الآن منكمشة ضمن حدود ضيقة ، ولا يظهر منها غير آثار عظمتها . » الخ. الخ.

١٥١ — D'Arvieux Mém. I. pp. 303, 312.

١٥٢ — D'Arvieux Mém. I. pp. 362, 363.

راجع المصادر ادناه عن حياة فخر الدين واخلاقه وصفاته :

Sandys' Travels pp. 164-166.
D'Arvieux Mém. I. p. 357 sq.
Volney Voyage, II pp. 38-45.

قضى الامير نحبه خنقاً العام ١٦٣٣ م في اسطمبول عن سبعين عاماً . اما ما جاء عنه في ما كتبه ساندز في رحلاته فليس مما يستحب ، وذلك فيما خص اخلاقه وآدابه على الاقل. وساندز هذا كان معاصراً للامير ، ويعتبر ثقة في ما كتب عنه * .

١٥٣ — D'Arvieux Mém I. pp. 380, 397 sq. 404.

* اختلفت روايات المؤرخين في سبب وفاة الامير فخر الدين . فمن قائل انه قتل ولم يعين طريقة القتل (كتاب « وطني لبنان » ، ص ٤١) ، ومن قائل ان رأسه قطع بأمر من السلطان مراد الرابع ، كما ورد في كتاب « رحلة في لبنان » ، ص ١٦ ، نقلاً عن كتاب الاب بولس قرألي ، ص ١٨ .— المعرب .

أما الباعث الى هـذا الخصام وتطوره واستمراره فتجده باسهاب في المذكرة المشار اليها في المجلد الثاني لمؤلف نفسه ، ص ٢٦١ و ٢٦٢ وما بعدها .

The occasion and progress of the quarrel are detailed in ib. pp. 261, 262.

١٥٤ — D'Arvieux Mém. Tom. I. pp. 294 sq. 331 sq. 463 sq. Tom. III. pp. 341-374.

كان عدد اليهود كثيراً في صيدا في ذلك العهد ، وكانوا يسكنون في عزلة في حي من المدينـة . وكانوا اذا امسى المساء يسلّمون مفاتيح الحي الى القاضي او الحاكم . راجع مذكرات دارفيو نفسها ، المجلد الاول ص ٣٠١ . راجع ايضاً رحلة Nau ، ص ٥٣٧.

١٥٥ — D'Arvieux ib. p. 464.

١٥٦ — Ibid. p. 311.

١٥٧ — Ibid. p. 331. Comp. p. 247 sq.

١٥٨ — Ibid. I. p 464 sq II. p. 465 sq.

وموندرل ايضاً سافر على هـذه الطريق ، في الخامس والعشرين من نيسان ، الخ.

١٥٩ — D'Arvieux Mém. I. p. 334 sq. 465 sq.

القنصل والتجار الفرنسيون سكنوا اولاً في دمشق ثم جاؤوا بعدها الى صيدا ، المرجع نفسه ، المجلد ٢ ، ص ٤٦٤ .

Ib. II p. 464.

١٦٠ — رافقه موندرل في رحلتـه العام ١٦٩٧ ، راجع يومياته ، التاسع عشر من آذار .

١٦١ — في العام ١٦٦٥ م وبعـده ببضع سنوات هبطت التجارة

الفرنسية كثيراً من جراء ما فرضه الاتراك من الضرائب ، وهذا من جملة الاسباب التي من اجلها رجع دارفيو الى فرنسا . راجع مذكراته ، المجلد الثالث ، ص ٣٤١–٣٧٤ . قابل مع رحلة Nau ، ص ٥٤٢ وما بعدها .

١٦٢ — Pococke Descript. of the East II. i. p. 87.

وصف بوكوك للشرق ص ٨٧ .

١٦٣ — Hasselquist Reise p. 190.

وكذلك المعلومات التي دونها Neibuhr العام ١٧٦٦ م . في ذلك الحين وجد هنا اربعة عشر تاجراً فرنسياً وجميعهم يسكنون في الخان .

Reisebeschr. III. p. 79.

١٦٤ — Volney Voyage en Syrie II. pp. 192, 391 sq.

رحلة فولني في سوريا الجزء الثاني ص ١٢٧ و٣٩١ وما بعدها .

١٦٥ — Brown's Travels 410. p. 369.

Olivier Voyages, etc. Tom. II. p. 231.

١٦٦ — يظهر انها البقعة التي ذكرها D'Arvieux بقوله انها موقع خان بناه فخر الدين على الشاطىء شمال المدينة ، ووراء نهير مباشرة . المذكرة الاولى ، ص ٣٢٦ . Mém. I. p. 326

١٦٧ — راجع المجلد الاول للمؤلف ، ص ٢٥٠ .

١٦٨ — يقول D'Arvieux ان الامير استقدم مهندساً ايطالياً لبناء الجسر . مذكراته الاولى ، ص ٣٢٧ . Mém I. p. 327

١٦٩ — بتدين هي الكلمة العامية لبيت الدين . وهذا التقلص الغريب ، او بالحري لفظ كلمة بيت بسرعة يجعل الحرف ب يحل محل الاحرف المحذوفة . وهذا التقلص او اللفظ السريع ،

يكثر استعماله في لبنان مثل : بشري ، بجنس ، بزمّار الخ .
ويوجد تقلص من هذا النوع في كلمة بيسان للكلمة العبرية
بث شان . راجع ملاحظات Gesenius على Burckhardt
ص ٤٩١ .

١٧٠ — Dionys. Perieget. Orbis. Descr. 905.

(ثلاثة اسطر باللغة اليونانية)

وقد ترجم هذه القطعة شاعران لاتينيان هما : Avieunus
و Priscianus كما يأتي :

Avienus :
Hic Tyrus est opulens, et Berytus optime Byblos,
Sidoniique lares ; ubi labens agmiue amnoeno
Cespitis irrigue Bostrenus jugera findit.
Priscianus :
Antiquamque Tyrum, Beryti et moenia gratae,
Vicinamque mari Byblum, Sidonaque pulcram,
Quam juxta liquido Bostrenus gurgite currit.

وقد اقتبس Reland, Palaest. سائر العبارات كما هي في
اصلها . راجع الصفحة ٤٣٧ وما بعدها .

ويعتقد مانارت Mannert ان نهر الاولي هو ليونتيز Leontes
الذي ذكره بتوليمي Ptolemy ، وهو على الارجح نهر القاسمية .
راجع الصفحتين ٤٧٢ و ٤٧٣ من المجلد الثاني للمؤلف ،
الملاحظة الاولى .

١٧١ — Plin. H. N 5. 20. « Sidon, artifex vitri .. a tergo ejus mons Libanus orsus, mille quingentis stadiis Simyram usque porrigitur.»

١٧٢ — يذكر دارفيو قرية الجيّة مع مقام الولي النبي يونس الواقع
بالقرب منها ، ويكتب اسمها « Gie » . راجع مذكراته .

أما بوكوك فيكتبها Jee . راجع ما كُتبه عنها في :
D'Arvieux Mém. II. p. 329.
Pococke II. i. p. 89.

١٧٣ — Itiner. Hiersol. ed. Wesseling p. 583.
Scylax. p. 100.

وقد اقتبسها Reland Palaestina كاملة ، الصفحة ٤٣١ :
راجع عنها المجلد الثالث للمؤلف ، الفصل الثاني ، الخامس من نيسان العام ١٨٥٢ .

١٧٤ — Pococke II. i. p. 89. fol.

١٧٥ — Polyb. 5. 68.
Reland Palaest. pp. 531, 957.

اعتبر الصليبيون ان حيفا هي بورفيريون القديمة Porphyreon ، ولكن لا يوجد اي دليل واضح على وجود مدينة باسم بورفيريون على خليج عكا . اما الملاحظات التاريخية فتتفق كلها على ان بورفيريون واقعة شمالي صيدا . وموقعها هنا لا ريب فيه . راجع المجلد الثالث للمؤلف ، الفصل الثاني ، المقطع قبل الاخير .

١٧٦ — مذكرات دارفيو ، الجزء الثاني ، ص ٣٢٩ وما بعدها .
D'Arvieux Mém. II. p. 329 sq.

هذا هو برج الدامور الذي ذكره بوكوك .
Pococke II. i. p. 89 fol.

١٧٧ — يذكر موندرل ان المستر سبون Spon ، وهو قريب السائح الدكتور سبون ، جرفه نهر الدامور قبل بضع سنوات فغرق .

راجع ١٩ آذار لموندرل . Maundrell March 19th.

١٧٨ – يطلق على نهر الدامور اسم نهر القاضي في الجبال . راجع بركهاردت ص ١٩٢ .

١٧٩ – (كتابة يونانية) Strabo 16. 2. 22. p. 726.

يكتب بوليبيوس Polibius الاسم باليونانية.

١٨٠ – تقدم انطيوقوس اكثر الى الجنوب ، وبعد تقدمه هـذا بقليل اخضع جبل تابور . راجع المجلد الثـاني للمؤلف ، ص ٣٥٧ . Polyb. Hist. 5. 68, 69.

١٨١ – (جملة يونانية) Joseph. Antiq. 16. 1. 2. sq.

١٨٢ – يظهر انها قرية الناعمة التي قال عنها الادريسي انها واقعة بين صيدا وبيروت . ويصفها بأنها موقع حصين ، معتدلة في اتساعها ، تحيط بها اشجار الخروب . وقد تكون سابقاً واقعة في السهل المجاور مثل صرفند .

راجع جوبير عن الادريسي ، ص ٣٥٥ .

Edrissi par Jaubert p. 355.

١٨٣ – يذكر بوكوك هذه النواويس ، ويقابلها مع الاضرحة التي عند إكسال Iksal قرب جبل تابور .

Pococke ll. i. p. 89. fol.

راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٣٢ ، الملاحظة الاولى . وذكرها ايضاً اوليفيه Olivier ، المجلد الثاني من رحلاته ، ص ٢٢٣ . راجـع ايضاً رحلات بكنغهام بين القبائل العربية ، الصفحة ٤٣٧ .

Buckingham, Travels among the Arab Tribes p. 437. 4 to.

١٨٤ — Itin. Hieros ed. Wesseling p. 583.
تقع هلدوى كما يذكر الدليل المذكور اعــلاه على بعد اثني عشر ميلاً رومانيـــاً من بيروت (بيريتس) ، وعلى ثمانية اميال رومانية من بورفيريون . وهذا لا ينطبق على موقع خان خلده ، ولكنه ينطبق اكثر اذا عكس ، اي ثمانية اميـال رومانية من بيروت واثني عشر ميـلاً من بورفيريون . ويشير بوكوك الى الشيء نفسه عن هلدوى وموقعها ، ولكن الظاهر انه لم يسمع باسم خلدة .

Pococke II. i. p. 89.

١٨٥ — من المتفق عليـه ان فخر الدين زرع حرش بـيروت ، وهذا ما يذكره مونكونيز في المجلد الاول ، ص ٣٣٤ . مذكرات دارفيو ، الجزء الثاني ، ص ٣٣٣ . موندرل ١٩ آذار . ولكن الادريسي ، في منتصف القرن الثاني عشر ، يصف بيروت ويذكر وجود حرش كبير من الصنوبر الى جنوبي المدينة يمتد حتى جبل لبنان . جوبير عن الادريسي ، المجلد الاول ، ص ٣٥٥ .

١٨٦ — المستر بيرد Bird هو اقدم اعضاء الارسالية السورية . رجع وعائلته الى الولايات المتحدة الاميركية . وقد استقيت من ملاحظـــاته الدقيقة القيّمة في وصف مواقع القرى وغيرها ، ورسومه عن جبل لبنان والساحل ، مادةً للمصوّر الذي رسمته لهذا الاقليم وجعلته ملحقاً بهذه اليوميات * .

* لم يلحق المؤلف اي مصور في يومياته هذه . — المعرب .

١٨٧ – ذكاء نادر وخلق عالٍ ، هذه هي السيدة هبرد التي توفيت في كانون الثاني العام ١٨٤٠ ، بعد ان عانت آلام داء لازمها طويلا . تركت وراءها ذكرى خالدة ، ليس في قلوب اصدقائها فحسب ، بل في قلوب العديد من العيال العربية والاولاد الذين كانت تحسن اليهم وتلاطفهم ، فكانت حياتها قدوة حسنة لهم .

١٨٨ – هذا ما وصف به مونكونيز بيروت وشوارعها في المجلد الاول ، ص ٣٣٥ :

« La ville est sombre et sale, les rues étroites, avec le ruisseau au milieu où vont les chevaux, et deux chemins de chaque costé relevés où marchent les hommes.»

« المدينة مظلمة وقذرة ، الشوارع ضيقة ، في وسطها قناة تسير فيها الخيل ، وعلى الجانبين ممشيان مرتفعان لسير الاناسي . » هكذا كانت حالة الشارع الضيق في القدس .

١٨٩ – راجع موندرل في السابع عشر من آذار .

Pococke ll. i. p. 92

Burckhardt p. 190.

The Latin inscriptions are given by Maundrell and Burckhardt.

وقد ذكر موندرل وبوركهاردت النقوش اللاتينية .

١٩٠ – Plin H. N. 5. 29.

Pococke ll. i. p. 91. fol.

لا مبرر مطلقاً لاعتبار الاسم ماغوراس Magoras تحريفاً للاسم تاميراس كما يعتقد مانيرت Mannert .

Geogr. von Palast. etc. 1831, p. 293.

١٩١ – Maundrell l. c.

Pococke ib. p. 91.

Turner's Tour etc ll. p. 61.

عُزيت الاسطورة الى هذه البقعة منذ الحروب الصليبية على اقل تقدير ، وغالباً ما يذكرها السياح . راجع المصادر الآتية :

de Suchem Itin. p. 102.
Reissb. p. 828.
Breydenbach in reissb. p. 124.
Quaresmius ll. p. 909.
Monconys l. p. 334. etc.

١٩٢ – يقال احياناً ان الاسم جاء من الثلج الدائم الذي يكلل الجبل ، ولكن الثلج لا يستمر دائماً بكمية كبيرة كافية تكسبه هذا المنظر الدائم .

١٩٣ – راجع المجلد الثالث ، الفصل الثالث عشر ، في السادس عشر من حزيران العام ١٨٥٢ .

١٩٤ – راجع المجلد الثالث ، الفصل الاول عن دير القلعة . احد الهياكل الاربعة التي رآها بوركهاردت يقع بالقرب من زحلة ، والباقي بالقرب من دير ديمتري في قضاء الكوره ، الى الجنوب الشرقي من طرابلس . الرحلات ص ٢٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ . في العام ١٨٥٢ زرت هياكل كثيرة تشبه هذه في لبنان وانتي لبنان والبقاع . راجع المجلد الثالث Passim.

١٩٥ – صموئيل الثاني ، الاصحاح الثامن ، العدد الثامن . حزقيال ، الاصحاح السابع والاربعون ، العدد السادس عشر . في العبارة السابقة يقال ان بيروت تخص مملكة صوبة ، (قابل العدد الخامس) ويظهر انها كانت تشمل حماة ، (قابل العددين تسعة وعشرة) . اخبار الايام الثاني ، الاصحاح

الثامن ، العدد الثالث . في العبارة الاخيرة (حزقيال ، الاصحاح السابع والاربعون ، العدد الخامس عشر والسادس عشر) ، يعيّن حزقيال في نبوءته حدود اسرائيل من البحر المتوسط مارة بحماة وبيروثة ، باتجاه دمشق فحوران . فتكون بيروثة ، المذكورة هنا ، مدينة داخلية .

١٩٦ – يذكر استرابو ان الرومان احتلوا بيريتس بعد ان دمرها تريفون Tryphon .

Strabo 16. 2. 18. 19. p. 755.
Ptolem. 15. 4.
Plin. H. N. 5. 20.

١٩٧ – Plin. ib. " Berytus colonia quae Felix Julia adpellabattur "
Joseph. B. J. 7. 3. 1.
Leg. 7, Dig. de Censibus : " Juris Italici sunt Troes, Berytus, Dyrrachium. "

١٩٨ – Joseph Antiq. 16. 11. 1–6.

١٩٩ – Ibid. 19. 7. 5.

٢٠٠ – Joseph. B. J. 7. 3. 1.

٢٠١ – Euseb. de Martyrib. Palaest. c. 4, de Appinano :
ثلاثة اسطر يونانية .
Socrat. Hist. Ecc. 4. 27, de Gregor. Neocaes
ثلاثة اسطر يونانية .
See too Cave Scriptorum Ecc. Hist. p. 82. Genev. 1705.

٢٠٢ – Nonnus Dionys. XLI, fin. اربع كلمات باليونانية

٢٠٣ – Reland Palaest. p. 216.
Le Quien. Oriens chr. II. col. 815. sq.
Hieron. Ep. 86, ad Eustoch. Epitaph. Paulae p. 672.

٢٠٤ — Agathiae Hist. Lib. II. p. 51. ed. Paris .
in here speaking of Berytus, Agathias remarks among
other things ثلاثة اسطر يونانية

٢٠٥ — راجع رسالة اثناسيوس الصغير المشكك التي عرضت في
مجمع نيقيا العام ٧٨٧ م. Act. IV. قابل Cave Scriptor.
التاريخ الكنسي، ص ٤١٦ و٤٢٨ وما بعد، طبعة جنيف ١٧٠٥.
Jac. de vitriac. c. 26. sq.
Quaresmius II. p. 910.
ويروي كواريسميوس Quaresmius القصة كاملة .

٢٠٦ — Albert. Aq. 5. 40.
Will Tyr. 7. 22.
Wilken Gesch. der Kr. 1. p. 267.
ويسمي الصليبيون بيروت احياناً بوريم Baurim . راجع
المصدر ادناه :
Alb. Aq. 5. 4. ib. 10. 8.

٢٠٧ — Alb. Aq. II. 15. 7.
Fulcher Carnot. c. 36.
Will. Tyr. 11. 13.
Wilken ib. II. p. 212.

٢٠٨ — Edrissi par Jaubert p. 355.
Jac. de Vitr. c. 26.

٢٠٩ — Will. Tyr. 14. 13. ib. 15. 16. ib. 16. 17. ib. 17. 1. ib. 21. 9.
Le Quien. Oriens Chr. 3. col. 1325 sq.

٢١٠ — Will Tyr. 22. 17, 18.
Bohaed. Vit. Salad. p. 49.
Wilken ib. III. p. ii. 212.

٢١١ — Bohahed. p. 72.
Jac. de Vitr. c. 95.

Wilken Gesch. der Kr. III. ii. p. 295.

٢١٢ – لما دُمرت عمارة صلاح الدين العام ١١٨٨ م ، فرت سفينتان ولجأتا الى بيروت . ويقال ان هاتين السفينتين اسرتا ما لا يقل عن اربعة عشر الف حاج في السنوات التسع التي تلت ذلك الحدث .

Wilken Geschichte der Kr. V. p. 33.
Comp. also ibid. IV. p. 232.

٢١٣ — Wilken ib. V. p. 32-39.

٢١٤ — Wilken ib. VI. pp. 529, 530.

٢١٥ — Marin. Sanut. p. 232.

Reinaud Extr. p. 570.
Wilken ib. VII. p. 772.

٢١٦ — Abulf Tab. Syr. p. 94.

Edh-Dhâhiry in Rosenmüller Analect. Arab. III. p. 22.
Lat. p. 47.

٢١٧ — Baugmarten in A. D. 1508; p. 225.

Willamont in 1589, p. 225.
Neitzschitz, in 1635 speaks expressly of the culture of silk p. 207.

يتكلم خاصة وبوضوح عن انتاج الحرير ، ص ٢٠٧ .

Monconys I. p. 335.

٢١٨ — D'Avrieux Mém. II. p. 337. sq.

اما قصر الامير في بيروت فيصفه موندرل وصفاً مسهباً في الثامن عشر من آذار . اما عن حالة بيروت عموماً وتجارتها من ذلك الحين الى مستهل القرن الحالي ، فراجع المصادر ادناه :

Neibuhr Reisebeschr. II. p. 69.

Volney Voyage ll. p. 169, sq.
Olivier Voyage, etc. ll p. 218

في العام ۱۷۷۲ م ، اطلقت عمارة روسية صغيرة قنابلها على بيروت ونهبتها . راجع المصدر ادناه :

Busching Erdsbeschr Xl. i. p. 362.
D'Arvieux ib. ll. p. 343.

۲۱۹ – كان للفرنسيين تجار في بيروت ، ولكنهم كانوا عملاء ووكلاء المؤسسات التجارية التي كانت في صيدا . راجع دارفيو اعلاه .

۲۲۰ – منذ ستين سنة تقريباً ، كان عدد سكان بيروت ستة آلاف نفس ، كما يقول Volney Voyage ll.p. 170. وبعد عشرين سنة قدّر عدد السكان بعشرة آلاف او اثني عشر الف نفس ، Ov. Richter's Wallfahrten p. 76. ويقول ايليوت Elliott ان عدد سكان مدينة بيروت والضواحي بلغ في العام ١٨٣٦ خمسة عشر الف نفس ، وهذا العدد اقرب الى الحقيقة ، على الارجح . وقد زاد العدد كثيراً في عهد الدولة المصرية . راجع Travels ll .p. 218 . وبعد سنة ، يقول شوبارت Schubert ان العدد تسعة آلاف نفس ، ولعله يقصد بذلك السكان الذين كانوا يقيمون داخل الاسوار فحسب ، راجع Reise lll.p 380.

تجـــارة بيروت

٢٢١ – لائحة الواردات والصادرات في بيروت العام ١٨٥٣ مع بواخر الامم المختلفة ، استحصلها للدكتور سمث المستر تابت ، ترجمان القنصلية البريطانية .

الواردات

جنسية البواخر	مشحونة	فارغة	اثمان المشحونات	
نمساوية	٣٦	١	٦ر٦٤٣ر٢٣١	فرنك
اميركية	١	٢	٢٥ر٠٠٠	»
افرنسية	٥٨	٦	٣ر٢٧٦ر١٥٧	»
القدس	٦	١	٩٢ر٠٤٢	»
يونانية	٩	١٥	١٦٢ر٣٧٠	»
انكليزية	٦٢	٢	٦ر٨٠٣ر٢١٢	»
نروجية	١	١	٦٧٥٠	»
هولندية	١		٥٨ر١٢٥	»
روسية	١	١		
سردينية	٨		٧٥٦ر٤٠٠	»
توسكانية	١		٥٧ر٠٠٩	»
تركية	٣٥	٤٣	١ر٦٢٧ر٠٠٠	»
المجموع	٢١٩	٧٢	١٩ر٥٠٧ر٢٩٦	فرنك

الصادرات

جنسية البواخر	مشحونة	فارغة	اثمان المشحونات
نمساوية	٢٩	٧	٥ر٤٦٥ر٧١٩ فرنك
اميركية	١	٢	١٢٠ر٠٠٠ »
افرنسية	٢٦	٣٨	١ر٧٤٩ر٣٧٥ »
القدس	٣	٤	٢٧٣ر٩٠٠ »
يونانية	٧	١٧	٥٣٩٥٧ »
انكليزية	٦٥		١ر٣٣٢ر٤٢٥ »
نروجية		٢	
هولندية		١	
روسية	١		٨٣٣٧ »
سردينية	٣	٥	٣٠٧٥٠ »
توسكانية	١		١٩٣ر٧٥٠ »
تركية	٢٧	٥١	١ر١١٧ر٧٥٠ »
المجموع	١٦٣	١٢٧	١٠ر٣٤٥ر٩٦٣ فرنك

٢٢٢ — D'Arvieux Mémoires, II. pp. 333, 37.

سمعت في بيروت انهم يرتابون في حقيقة ما يقال ان فخر الدين زرع حرش الصنوبر . ولكن بما ان دارفيو كان معاصراً للامير ، فلا داعٍ للشك بشهادته . راجع

المجلد الثاني ، ص ٤٩٠ ، الملاحظة الاولى ، ورقم ١٨٥ المتسلسل .

٢٢٣ — D'Arvieux Mém. II. p. 334.

٢٢٤ — D'Arvieux Mém. II. p. 340.

٢٢٥ — Monconys I. p 334.
D'Arvieux II p 373.
So too Maundrell March 17th.
Pococke, II. i. p. 90.

٢٢٦ — Mém. II. pp 377, 378.

٢٢٧ — راجع التاسع عشر من حزيران في المجلد الثالث للمؤلف .

٢٢٨ — يقول كاليه Callier بوجود ثلاثة صفوف من القناطر في الاصل . المجلة الاركيولوجية ايار ١٨٤٦ ، ص ٨٣ .

٢٢٩ — راجع تقرير الدكتور اندرسون Dr. Anderson الجيولوجي ، عن طبيعة الحجر الرملي في هذا الاقليم ، ص ١٠٠ وما بعدها .

٢٣٠ — راجع المقالة في كتاب المكتبة المقدسة العام ١٨٤٣ ، ص ٥٥٧ — ٥٦٣ .

٢٣١ — نقل هذه الكتابة سيتزن Seetzen العام ١٨٠٥ . راجع ريزن Reisen ، المجلد الاول ، ص ٢٥٧ . واول من نشرها فرانك Francke في برلين العام ١٨٣٠ .

راجع ليترون Letronne في المجلة الاركيولوجية ، ايار ١٨٤٦ ، ص ٧٨ . ثم نقلها الدكتور سمث العام ١٨٤٣ ، وشلز E. G. Schulz ، والمستر ويلدنبراخ Mr. Wildenbruchh راجع كتاب المكتبة المقدسة I. C. .

Monathsbericht der Ges. fur Edkunde in Berlin 1848. p. 144. sq. So too by Krafft in 1845; Topogr. Jerusalems.

ونشرها ايضاً بوخ Boeckh عن نسخة ويلدنبراخ في كتابه الذي اسماه Corpus Inscript. ، المجلد الثالث، ص٢٤٣.

٢٣٢ – لم تكن قراءة بوخ للكتابة سوى تقديرية او رجم بالغيب (سطران باللغة اليونانية) ، ولكن هذا لا يعطي اي دليل او يلقي ضوءاً على اللقب المعني بكلمة (بالماركوس).

٢٣٣ – سفر القضاة ، الاصحاح التاسع ، العدد الرابع .
سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الاول ، العدد الثاني .

٢٣٤ – من كلمة ماركودي Marcodi المجرورة ، اي الموجودة او الآتية بصيغة الجر ، يظهر ان اصل الكلمة فعل في اللغة الفينيقية وهو يطابق معنى قفزَ ، وثبَ ، رقصَ . ولم يُعثر على اثر آخر لهذا الاصل في الخرائب الفينيقية ، ولكنه موجود في اللغتين الكلدانية والسريانية . ففي اللغة الكلدانية يوجد اسم الفاعل ، راقص . اما الرقص الوثني فهو بالحقيقة انهماك باللذات (كلمة يونانية) . راجع كتاب المكتبة المقدسة I. C.

٢٣٥ – قرأ الرئيس وولسي Pres. Woolsey وليترون الكلمتين اليونانيتين الموجودتين في القسم الثاني من الكتابة اليونانية الطويلة (كلمتان يونانيتان) وهما تشيران الى قناة . ولكن الكلمتين لا تنطبقان على هذه القناة التي ليس لها قناطر وتسير على سطح الارض ، بل تصح موافقتهما للقناة التي في المضيق الى تحت ، وهي تمتد الى

بيروت ، ولم يزل هناك صفان او ثلاثة من القناطر في مكان واحد منها . راجع رسالة ليترون الى ت . د . وولسي في المجلة الاركيولوجية ، ايار ١٨٤٦ ، ص ٧٨ .

٢٣٦ – الصفحة ٧٨ وما بعدها .

٢٣٧ – راجع النص الكامل في كتاب المكتبة المقدسة ، آذار ١٨٤٦ ، ص ٣٩٠ – ٣٩٧ . راجع ايضاً قضية حكم بها في بيروت في Ann. Rep. of A. B. C. F. M. for 1847 p. 108
التقرير السنوي لمجلس المرسلين الاميركي للارسالية الاجنبية العام ١٨٤٧ ، ص ١٠٨ .

٢٣٨ – راجع هذا الامر الوزيري في « المشنري هرالد »، آذار ١٨٤٨ ، ص ٩٨ .
راجع ايضاً التقرير السنوي لمجلس المرسلين الاميركي للارسالية الاجنبية العام ١٨٤٨ ، ص ١٤١ – ١٤٣ .

٢٣٩ – راجع مجلة « المشنري هرالد » ، نيسان ١٨٥١ ، ص ١١٤ .
وايضاً التقرير السنوي لمجلس المرسلين الاميركي للارسالية الاجنبية ، العام ١٨٥١ ، ص ٧١ و ٢٢٤ .

٢٤٠ – راجع عن الخط الشريف وغيره من الوثائق ، كتاب « المسيحية في تركيا » تأليف دويت Dwight طبعة بوسطن Boston سنة ١٨٥٤ ، ص ٣٢٠ والملحق G .
راجع ايضاً مجلة « المشنري هرالد» نيسان ١٨٥٤ ، ص ١٠٦ .
راجع ايضاً الصحيفة اليومية للجمعية الشرقية الاميركية Am. Oriental. Soc. المجلد الرابع ، ص ٤٤٣ .

الأصل التركي مع ترجمته الى الالمانية تجده في :

Zeitschrift der morgenl. Ges. IX p. 843 sq. 241.

٢٤١ – راجع الرسالات التي تنعى اللفتننت ديل Lieut. Dale في كتاب المكتبة المقدسة، تشرين الثاني ١٨٤٨، ص ٧٦٩ و ٧٧٠.

راجع ايضاً تقرير لينتش الرسمي ، ص ٤٥ .4 to .

Lynch, s Official Report, 4 to p. 45.

راجع ايضاً حديثاً عنه الخ ، ص ٥٠٦ .

٢٤٢ – راجع عن هذه الجمعية ومكتبتها :

Zeitschrift der morgenl. Gesellschaft, B. II. 1848, p. 378 – 388.

الصحيفة اليومية للجمعية الشرقية الاميركية ، المجلد الثالث ، ص ٤٧٧ – ٤٨٦ . قابل مع المكتبة المقدسة ١٨٤٨ ، ص ٢٠٣ .

٢٤٣ – المواقع الساعة الرابعة : عبيه ٨٠ درجة . قرية الدامور ٨٦ درجة ، المسافة ميلان . الناعمة ٣٥ درجة . دير الناعمة ٤٢ درجة . المعلقة ٥٤ درجة ، المسافة ميل واحد .

٢٤٤ – المواقع عند مصب الدامور : البُوم شرقاً . مجرى النهر جنوباً ٨٠ درجة شرقاً . عبيه شمالاً ٧٥ درجة شرقاً . خلوة بَعورته شمالاً ٦٠ درجة شرقاً . دير الناعمة شمالاً ٣٥ درجة شرقاً . المعلّقة شمالاً ٣٥ درجة شرقاً . الدامور شمالاً ٥٠ درجة شرقاً . الدلقمية جنوبي النهر ، جنوباً ٦٥ درجة شرقاً . راس السعدية جنوباً ٦٠ درجة غرباً .

٢٤٥ – راجع المجلد الثاني ، ص ٤٨٨ .

٢٤٦ – راجع المجلد الثاني ، ص ٤٨٧ .

٢٤٧ – راجع المجلد الثاني ، ص ٤٨٧ . زار هذه الاضرحة ايضاً الدكتور ولسن . راجع في بلاد التوراة ، الجزء الثاني ، ص ٢١١ . المواقع من نبي يونس : برجا جنوباً ٥٠ درجة شرقاً ، المسافة ميلان . بعاصير جنوباً ٨٠ درجة شرقاً ، المسافة ميلان .

٢٤٨ – المواقع من صيدا : المغدوشه ١٦٤ درجة ، المسافة ثلاثة اميال . الميه وميه ١٣٥ درجة ، المسافة ميل وثلاثة ارباع . درب السين ١٧٠ درجة ، المسافة ميلان ونصف . حارة صيدا ١٠٧ درجات ، المسافة ميل واحد . الهلاليه ٧٥ درجة ، المسافة ميل وربع . البراميه ٦١ درجة ، المسافة ثلاثة اميال . روم ١٠٠ درجة . جباع ١٢٦ درجة .

٢٤٩ – في كانون الثاني من العام ١٨٥٥ نُبش ضريح في مكان ما يبعد نحو الميل الى الجنوب الشرقي من الطرف الجنوبي من صيدا ، على مثل هذه المسافة الى الجنوب الغربي من حارة صيدا ، بالقرب من البيادر ، وأخرج منه ناووس ضخم ومشهور لاحد ملوك صيدا ، عليه اطول كتابة فينيقية اكتشفت حتى الآن . وقد نقل الناووس الى باريس .

الصحيفة اليومية للجمعية الشرقية الاميركية ، المجلد الخامس ، ص ٢٧٧ – ٢٥٩ .

Dietrich, Zwei Sidonische Inschriften, Marburg 1855.
Roediger in Zeitschr. d. Morgen l. Ges, IX. p. 647. sq.
Journal of the Am. Oriental Soc. Vol V. pp. 227-259.

٢٥٠ – المواقع على الطريق ، الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة

والعشرين ، القرية جنوباً ٣٥ درجة شرقاً ، المسافة ميلان . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين : عين الدلب جنوباً ١٢ درجة شرقاً ، المسافة ميل وربع . الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين : عبرة شمالاً ١٥ درجة شرقاً ، المسافة ربع ميل .

٢٥١ – المواقع من مجدل يون : عين أون ١٨١ درجة . طنبوريت ١٩٢ درجة . مغدوشة ٢١١ درجة . الميه وميه ٢١٧ درجة . صيدا ٢٧٥ درجة . عبرة ٣٣٥ درجة . تقع القرى الآتية الى شمالي نهر الاولي ، الذي يجري هنا غرباً : علمون ٦ درجات . اسكندرونا ٣٩ درجة . شحيم ٥١ درجة . بقسطة ٥٢ درجة .

٢٥٢ – المواقع الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة : كرخا ٥٦ درجة ، المسافة ميلان . الشواليق ٨٢ درجة . لبعة ١٠٣ درجات . كفرفالوس ١٠٦ درجات . روم ٩٦ درجة . جباع ١٣٥ درجة . كفرجراح ١٦٣ درجة ، المسافة ميل واحد . جنسينيا ١٧٥ درجة ، المسافة ميل ونصف . صربا ١٥٨ درجة . كفر حتى ١٥٦ درجة . كفر ملكي ١٤٣ درجة . الى شمالي الاولي : شحيم ٣٧ درجة . ولي عينوت ٤٨ درجة .

٢٥٣ – المواقع الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين : دير المخلص شمالاً ٣٥ درجة شرقاً ، المسافة نحو اربعة اميال . وهذا الدير هو اكبر اديرة الروم الكاثوليك ، زاره الدكتور سمث العام ١٨٤٤ .

٢٥٤ – المواقع الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة : لبعة ٢٩٠

درجة . كرخا ٣٢٠ درجة . مـاروس ٦٦ درجة ، المسافة ميل ونصف . صفارين ٧٣ درجة ، المسافة ميلان . عينان ٨٥ درجة . جباع ١٥٠ درجة . صربا ١٨٧ درجة . بيصور ٢١٦ درجة ، المسافة ميل . الى شمـالي نهر الاولي : دير المخلص ١٩ درجة . شحيم ١٥ درجة . عينوت ٣٢ درجة .

٢٥٥ – المواقع من كفرفالوس : روم ٨٦ درجة . دير المخلص ٧ درجات .

٢٥٦ – المواقع الساعة السابعة والدقيقة العاشرة : برتي جنوباً ١٠ درجات غرباً ، المسافة ميل واحد .

٢٥٧ – يطلق العرب اسم الدبس على عصير العنب بعـد غليـه . والكلمة نفسها تعني بالعبرية عسلاً .

٢٥٨ – المواقع من جباع : صيدا ٣٠٧ درجات .

٢٥٩ – المواقع من هذه السلسلة دوّنها الدكتور سمث العام ١٨٤٤ : جباع ٥ درجات . رويسات روم ١٢ درجة . صربا ٢٦٣ درجة ونصف . خربة شاكر ٢٩١ درجة . جرنايا ٢٩٢ درجة . كفر ملكي ٢٩٦ درجة . عنقون ٣١٥ درجة . الى شمالي نهر الاولي : دير المخلص ٣٤٨ درجة ونصف . شحيم ٣٥٤ درجة ونصف .

٢٦٠ – جريدة الارسالية اليومية ، ايار ١٨٥٢ .

٢٦١ – المواقع من جرجوع : النبي سجد ١٠٩ درجات ، المسافة ميل ونصف . قلعة الشقيف ١٧٩ درجة . النبي علي الطاهر ١٨٥ درجة . النبطية الفوقا ١٩٨ درجة . النبطية التحتـا ٢٠٧ درجات . شوكين ٢١١ درجـة . تل حبوش ٢١٩

درجة . كفر جوز ٢١٧ درجة . الدوير ٢٤٠ درجة . البياض ٢٤٤ درجة . شلبعل ٢٤٨ درجة . دير الزهراني ٢٥٨ درجة . صربا ٣٠٤ درجات . عنقون ٣١٠ درجات . رومين ٢٨٩ درجة . راس الابيض ٢٣١ درجة . مصب الزهراني ٢٩١ درجة . صيدا ٣١٨ درجة . جرنايا ٣١٩ درجة . مصب سنيك ٣١٠ درجات . عرب صالم جنوباً ١٥ درجة غرباً ، المسافة ميل وربع .

٢٦٢ – جريدة الارسالية اليومية ، ايار ١٨٥٢ .

٢٦٣ – المواقع من تل حبوش : حومين ١٥ درجة . النبي صافي ٣٣ درجة . عرب صالم ٥١ درجة . النبي سجد ٥٥ درجة . قلعة الشقيف ١٦١ درجة . النبطية التحتا ١٩٢ درجة . حبوش ٢٤١ درجة .

٢٦٤ – المواقع من قرية النبطية التحتا : زبدين ٢٦٨ درجة ، المسافة ثلاثة ارباع الميل . قلعة الشقيف ١٤٧ درجة .

٢٦٥ – المواقع الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين : النبي علي الطاهر جنوباً ٨٠ درجة شرقاً ، المسافة ميلان . النبطية الفوقا شمالاً ٨٠ درجة غرباً ، المسافة ثمن الميل .

٢٦٦ – المواقع الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة : كفر تبنيت شرقاً ، المسافة ربع ميل . شوكين غرباً ، المسافة ثلاثة اميال .

٢٦٧ – المواقع من ارنون : النبي علي الطاهر شمالاً ٥ درجات غرباً .

٢٦٨ – احدى هذه القلاع تسمى الشقيف تيرون Tirun، واقعة بالقرب من صور . راجع Schulten's Index in Vita Salad Art. Sjakyfum

٢٦٩ – المواقع من قلعة الشقيف : النبي سجد ٦ درجات . هُوّة الليطاني ٤٤ درجة . قلاعات ٨٣ درجة . خيام ٩١ درجة . الخربة ١٠٣ درجات . قلعة بانياس ١٢٠ درجة . دير ميماس ١٦٠ درجة . زوطر ٢٦٨ درجة . الحمرة ٢٧٣ درجة . شوكين ٣٠٠ ودرجتان . ميفدون ٣٠٢ . ارنون ٣٣٢ درجة . كفر تبنيت ٣٣٢ درجة . النبي علي الطاهر ٣٤٧ درجة .

٢٧٠ – راجع ما كتب عن الشقيف مدة الحروب الصليبية وبعدها ، المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٥٣ و ٤٥٤ .

٢٧١ – (خمس كلمات يونانية) Jos. Ant. 5. 3. 1, قابل القضاة ، الاصحاح ١٨ ، الاعداد ٧ و ١٠ و ٢٧ و ٢٨ .

٢٧٢ – المواقع من الحمرة : شوكين شمالاً ٣٥ درجة غرباً . ميفدون شمالاً ٣٠ درجة غرباً .

٢٧٣ – المواقع الساعة الثالثة : الطيبة ١٥٢ درجة ، المسافة ثلاثة اميال ونصف . دير السريان ١٥٣ درجة ، المسافة ميلان ونصف . هاتان القريتان تقعان جنوبي الليطاني .

٢٧٤ – لم يكن هذا الجسر المشيد فوق الليطاني معروفاً من السياح الافرنج في رحلتنا الاولى . واول من لفت النظر اليه هو المستر ولكوت Wolcott العام ١٨٤٢ . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٣ ، ص ٨٢ .

٢٧٥ – المواقع من جسر قعقعية : قرية قعقعية شمالاً ١٥ درجة غرباً ، المسافة ميل واحد . جديدة شمالاً ٥٠ درجة شرقاً ، المسافة ربع الميل . الزفية جنوباً ٧٠ درجة شرقاً ، المسافة ثلاثة ارباع الميل . قُصير جنوباً ٤٥ درجة شرقاً ، المسافة

ميلان .

٢٧٦ – المواقع الساعة الثامنة : الزقية شمالاً ١٠ درجات شرقاً . القنطرة جنوباً ٤٥ درجة شرقاً ، المسافة ميل ونصف على الضفة الغربية . عيديب جنوباً ١٠ درجات غرباً ، المسافة ثلاثة ارباع الميل على الضفة الغربية .

٢٧٧ – انجيل متى ، الاصحاح الثالث عشر ، العدد ٢٥ وما بعده .

٢٧٨ – (اسمه باليونانية) « Infelix lolium, » Virg. Geor. 1. 154. وزوان بالعربية .

٢٧٩ – راجع سفر يشوع ، الاصحاح التاسع عشر ، العدد الخامس والعشرين . والاصحاح الحادي عشر ، العدد الاول . والاصحاح الثاني عشر ، العدد العشرين .

٢٨٠ – المواقع من قبريخا : طالوسية ١٤٢ درجة . مركبا ١٣٩ درجة . بني حيان ١٢٢ درجة ، المسافة ميل ونصف . دير سريان ٤٦ درجة . قلعة الشقيف ٤٢ درجة . عدشيت ٣٢ درجة ، المسافة ميل ونصف . القنطرة ٣٥٩ درجة ، المسافة ميل واحد . شوكين ٣ درجات . زوطر (غرباً) ٣ درجات . القصير ٣٥٠ درجة ، المسافة ثلاثة اميال ونصف . تولين ٢٦٧ درجة . البرج غربي وادي حجير ٢٨٦ درجة . تبنين ٢٢٣ درجة . الصوانة ٢٣٦ درجة . كساف ٦٥ درجة .

٢٨١ – المواقع من تولين : تبنين ٢٠٥ درجات . الصوانة ١٨٤ درجة ، المسافة ميل ونصف . قلعة الشقيف ٥٢ درجة . مجدل سِلِم ١٤٥ درجة ، المسافة ميلان وربع . جميجمة

١٨٤ درجة . المواقع غربي وادي حجير : خربة سلم ٢١٣ درجة ، المسافة ميل ونصف . قلاويه ٢٩٣ درجة ، المسافة ميل واحد . البرج ٣١٠ درجات ، المسافة ميل ونصف . ثويفة ٣١٧ درجة .

٢٨٢ – المستر ولكوت في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٣ ، ص ٨٢ .

٢٨٣ – في الطبعة الاولى من البحوث التوراتية ، ذكرنا سهواً ان هذه العائلة تسكن قلعة الشقيف . راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٥٠ و ٤٥١ .

٢٨٤ – المواقع من حصن تبنين : حداثة ٢١٩ درجة . عيتا الظط ١٩٥ درجة ، المسافة ميلان . بيت ياحون ١٧١ درجة . برعشيت ١٢٩ درجة . شقرا ٩٥ درجة ، المسافة ثلاثة اميال . صفد ٨١ درجة ، المسافة ميل واحد . جميجمة ٦٦ درجة ، المسافة ميلان . الحولة ٨٣ درجة . المنصورة (طلل) ١٨٣ درجة ، المسافة ميلان . قلعة الشقيف ٤٢ درجة . جبل الشيخ ، القمة الاكثر ارتفاعاً ٦٤ درجة . جرجوع ٢٤ درجة . اليهودية ٣٢٦ درجة ، المسافة ثلاثة ارباع الميل . الصوانة ٣٢ درجة . تولين ٢٥ درجة . قبريخا ٤٢ درجة . القنطرة ٣٢ درجة . علمون * ٢٣ درجة . دير السريان ٤٤ درجة . شوكين ١٨ درجة . زوطر ، الى الغرب ، ٢٢ درجة . زوطر ** ، الى الشرق ، ٢٦ درجة . خربة يانوح ،

* قد تكون علمان التابعة قضاء مرج عيون. – المعرب .

** يقصد المؤلف بذلك زوطر الغربية وزوطر الشرقية.. – المعرب .

على تلة فوق حداثا ، ٢٢٥ درجة .

٢٨٥ — Will Tyr. 11, 5. " nomen priscum Tibenin".

راجع الملاحظات التاريخية عن هذا الحصن في المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٥١ — ٤٥٣ .

٢٨٦ — يظهر ان هذه اللوحة هي التي وصفها مونرو ، وذكر انها على شكل النافذة ، قياسها يرد توبيعاً ومثل ذلك عمقها . وهي في اعلى الصخور الى يمين وادٍ ، بالقرب من ضفتيه الماويتين . ويأتي على ذكر اربعة اشكال او رسوم ، احدها مطموس تقريباً . ويقول ان فوق هذه الرسوم نقشت الكرة المجنحة . راجع جولته الصيفية الثانية ، ص ٢٣ . يجب اعادة النظر بهذه النقوش وفحصها فحصاً دقيقاً .

٢٨٧ — اخطأ دليلنا الغبي في اسم هذه القرية العام ١٨٣٨ ، فقد اسماها لنا آنذاك حديث . واخطأ ايضاً في اسم عينا الظط التي اسماها حولية .

٢٨٨ — المواقع من حرف الجبل عند حاريص : صور ٣٠٣ درجات . دير عميص * ٣٠٢ درجة . البياض ٣٠٠ ودرجتان . كفرا ٢٥٢ درجة ، المسافة ميل واحد . تبنين شمالاً ٧٥ درجة شرقاً . راجع المجلد الثاني للمؤلف، ص ٤٥٤ و٤٥٥ . (iii, 382, 388)

٢٨٩ — المواقع من سريبين : ارشاف جنوباً ، المسافة نصف ميل . رامة جنوباً ٥٥ درجة غرباً .

٢٩٠ — المواقع الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين : ارشاف جنوباً

* لعله يقصد دير عامص في قضاء صور . — المعرب .

٥٠ درجة شرقاً . القوزح جنوباً ٢٥ درجة غرباً . بيت ليف جنوباً ٥٥ درجة غرباً . صالحاني جنوباً ٦٥ درجة غرباً . رامة جنوباً ٥٠ درجة غرباً .

٢٩١ – المواقع الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين على الحاجب الشمالي : ارشاف ١١٩ درجة . سعسع ١٦٥ درجة . القوزح ١٩٧ درجة . رامة ٢٢١ درجة . بيت ليف ٢٢٠ درجة . يارون ١٤٩ درجة .

٢٩٢ – المواقع من ياطر : طير حرفا ٢٥٣ درجة . قلعة شمع ٢٧١ درجة . مجدل زون ٢٧٣ درجة . مريمين ٢٦٦ درجة . صور ٣٢١ درجة . دير قانون ٣١٩ درجة . قانا ٣٣٩ درجة . راس العين ٣١٨ درجة . يارون ١٤٧ درجة . سعسع ١٦١ درجة . القوزح ١٧٣ درجة .

٢٩٣ – المواقع من حزيرة : القوزح شمالاً ٦٠ درجة غرباً، المسافة ميل واحد . ارشاف شمالاً ٢٥ درجة شرقاً . حانين جنوباً ٨٠ درجة شرقاً ، المسافة ميلان . دبل شمالاً ٤٠ درجة ، المسافة نصف ميل .

٢٩٤ – سفر يشوع ، الاصحاح الحادي عشر ، العدد الاول والعاشر . الاصحاح التاسع عشر ، العدد السادس والثلاثون .

٢٩٥ – المواقع الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة : دبل ٧٢ درجة . عين إبل ٩١ درجة .

٢٩٦ – المواقع الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين : رامة شمالاً ٦٠ درجة غرباً . عيتة جنوباً ٣٠ درجة شرقاً ، المسافة ميل واحد .

٢٩٧ – سفر يشوع ، الاصحاح التاسع عشر ، العدد التاسع والعشرون .

٢٩٨ – اونوماست ، في مقاله عن راما Onomast. art. Rama.

٢٩٩ – المواقع من رامة : عيتة ١٣٠ درجة . القوزح ٦٩ درجة . سريبين ٤٧ درجة . حاريص ٤٦ درجة . خربة يانوح ٥٤ درجة . بلاط ٢٨٦ درجة ، المسافة ثلاثة ارباع الميل .

٣٠٠ – سفر يشوع ، الاصحاح التاسع عشر ، العدد الثامن والعشرون .
هذا ما اشار اليه شلز E. G. Shulz ، راجع :
Ritter Erdk. XVI. i. p. 478.
ولكن هذا الرأي لا يوثق به كثيراً .

٣٠١ – المواقع من بلاط : توشيحا ١٩٥ درجة . إكرت ٢٠٣ درجات . طربيخة ١٨٥ درجة . عيتة ١٢٠ درجة . رامة ١١٠ درجات . عين ابل ٩٦ درجة . القوزح ٨٥ درجة . عكا ٢٣٠ درجة . صور ٣٣٦ درجة . ذبكين ٢٤٣ درجة . فجوة وادي العزيّة ٣٢٧ درجة . مجدل زون ٣٠٨ درجات . قلعة شمع ٣٠٠ درجة . جبّين ٢٨٦ درجة . جبجين ٢٨٧ درجة . فجوة وادي حامول ٢٧٨ درجة . مريين ١٧ درجة . سعسع ١٣٨ درجة .

٣٠٢ – في تشرين الثاني من العام ١٨٥٤ ، قضى القس تومسون بضعة ايام في هذا الاقليم ، وزار خرائب قلعة قُرين . وجاء في رسالة كتبها بعد زيارته بقليل ما نصه : « تكثر في هذا الاقليم الذئاب ، الدببة ، الاغار ، الضباع ، بنات آوى ، الثعالب ، الارانب ، الاوبار * Hyrax

* جمع وبر ، وهي دويبة تشبه السنور لكنها اصغر منه ، دعجاء العينين ، لها

Syriacus اليرابيع ، وحيوانات كثيرة غيرها . وقد عاثت الخنازير البرية بسائر تلة القلعة (قرين) ففلحتها . وقد رأينا الاسراب الكثيرة من الحجل وقطعان الغزلان . »
ويأتي في رسالته ايضاً على وصف خرائب الحصن العظيم .
راجع كتاب المكتبة المقدسة العام ١٨٥٥ ، ص ٨٢٨ وما بعدها و ص ٨٣٠ .

٣٠٣ — Leitungen. des Hochsten Th. V. p. 271 sq.
Paulus Sammlung, Th. VII. p. 36 sq.

٣٠٤ — تسمى احياناً جِدّين Jiddin ، وهي في الاصل جَدين Jedîn .

٣٠٥ — Mariti Voyages, II. p. 136. sq.

٣٠٦ — Ritter, Erdk. Th. XVI. i. pp. 780-782.
عرفنا بعد ذلك ان المستر فان دي فالد Van de Velde الذي لقيناه في القدس ، زار بلاط قبل بضعة اسابيع كما زار قلعة قرين . وبعد قليل فحص القلعة الدكتور دي فورست . وذهب المستر تومسون الى هنالك العام ١٨٥٤ .

٣٠٧ — المواقع الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين : القوزح شمالاً ١٠ درجات شرقاً . عيتة شمالاً ٧٥ درجة غرباً .

٣٠٨ — المواقع من رميش : سعسع ١٥٩ درجة .

٣٠٩ — راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٤٧ (iii, 372) .

٣١٠ — المواقع الساعة الواحدة : كفر برعم جنوباً ٧٠ درجة شرقاً ،

ذنب متاه في القصر ، تدجن وتأنس في البيوت وتألف ، وهي من جنس بنات عرس . — المعرب .

سعسع جنوباً ١٠ درجات غرباً .

٣١١ — Ritter Erdk. XVI. i. 802.

Steph. Schulz, Leitungen des Hochsten, Th. V. p. 295. 300.

Paulus Sammlung Th. VII. pp. 112. 116.

٣١٢ — Benj. of Tudela, I p. 82.

Carmoly Itinéraires de la Terre Sainte, pp. 135. 184, 263, etc.

٣١٣ — المواقع من كفربرعم : بارون ١٣ درجة . مارون ٢٧ درجة . علما ٨٨ درجة . رأس الاحمر ١٠٠ درجة . الجش ١٢٧ درجة . سعسع ٢٣٢ درجة .

٣١٤ — المواقع الساعة السابعة والدقيقة الخمسين : سعسع شمالاً ٥٠ درجة غرباً . الجش شرقاً .

٣١٥ — راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٤٦ (iii, 370) .

٣١٦ — المواقع الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة : صفد ١٢٤ درجة . رأس الاحمر ٥٤ درجة . جبل الشيخ ٤٩ درجة . سعسع ٣١٩ درجة .

٣١٧ — يسمي ستيفن شلز هذا الجبل اداتير Adater .

Steph. Schulz. V. p. 300.
Paulus I. c. VII. p. 116.

٣١٨ — المواقع من ميرون : صفد ١١١ درجة . قديثا ٥١ درجة . الجش ١١ درجة . صفصاف ١٤ درجة .

٣١٩ — المواقع الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين : الجش ٢٦ درجة . بركة الجش ٣٩ درجة . رأس الاحمر ٣٩ درجة . قديثا ٦٠ درجة . طيطبة ٥٩ درجة . دلاتا ٦٠ درجة . عين الزيتون ٩٥ درجة . صفد ١٠٦ درجات .

٣٢٠ – المواقع الساعة الحادية عشرة : على حاجب جبل الجرمق شمالاً عشر درجات غرباً ، المسافة ميل واحد . بيت جن جنوباً ٧٠ درجة غرباً ، المسافة ميلان .

٣٢١ – القصة عنها الخ ، الثالث عشر من تموز .

٣٢٢ – S. Schulz Leitungen etc. V. p. 284.
Paulus Sammlung etc. VII. p. 106.

٣٢٣ – القبيعة تصغير القبعة في اللغة العربية ، وفي العبرية معناها شق او وادي او سهل بين التلال . راجع :
S. Schulz I. c. V. p. 270. 279.
Paulus I. c. VII. p. 130.

٣٢٤ – سمث E.Smith في جريدة الارسالية اليومية ، العام ١٨٤٤ .

٣٢٥ – S. Schulz I. c.
Bonar and Mc Cheyne heard of them at Jermuk.
بونار وماك شين سمعا بهم في الجرمق . الحديث عنهم ، الثالث عشر من تموز .

٣٢٦ – سمث في جريدة الارسالية اليومية ، العام ١٨٤٤ .

٣٢٧ – (سطران باللغة اليونانية) Jos. B. J. 2. 18. 11,
Comp. Ritter Erdk. XVI. i. p. 774.

٣٢٨ – المواقع الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين : الجرمق شمالاً ٣٠ درجة شرقاً . بيت حن شمالاً ٣٠ درجة غرباً .

٣٢٩ – المواقع من الحرف فوق الرامة : كفر عنان ١٣٩ درجة . قرن حطين ١٦٣ درجة . فرّادي ١٢٢ درجة . تل حازور ١٧٠ درجة . الرامة ٢٣٠ درجة . نهف ٢٦١ درجة . دير الاسعد ٢٦٣ درجة . عرّابة ٢١٩ درجة . سخنين ٢٢٧ درجة . الطرف الغربي من الكرمل ٢٥٦ درجة .

Joseph. B. J. 3. 3. 1, 2. — ٣٣٠
Reland Palaest. p. 127, 180 sq.
Ritter Erdk. XVI. i. pp. 685, 757.
Comp. Euseb. et Hiéron.
Onomast. art. Galilaea.

٣٣١ — المواقع من الرامة : سبجور ٢١٧ درجة ، المسافة ميل ونصف . نهف ٢٧٠ درجة . دير الاسعد ٢٦٧ درجة . تل حازور ١٥٠ درجة . دير حنا ١٨٨ درجة .

٣٣٢ — المواقع من مغار : خربة بملا ١٤٥ درجة ، المسافة ثلاثة اميال ونصف . عيلبون ١٩٠ درجة . دير حنا ٢٣٦ درجة . قرن حطين ١٥٩ درجة .

٣٣٣ — تعني مغارة بالعبرية ، قابل يشوع ، الاصحاح الثالث عشر ، العدد الرابع .

Marmont's Voyage, etc. III. p. 79. — ٣٣٤

G. de Vinisauf I. 26, 32; in Bohn's Chronicles of the Crusades, pp. 104, 112. — ٣٣٥
For other names of this hill see Wilken Gesch. d. Kreuzz. IV. p. 255. n.

راجع تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٠٤ و ١١٢ تأليف بون .

Gibbon, History of the Decline and Fall of the Roman Empire, ch. 51. — ٣٣٦

راجع تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، تأليف غيبون .

Raim. de Ag. in Gesta Dei, p. 173. — ٣٣٧
Wilken I. p. 267 sq.
Fulcher. Carn. c. 30, " nobis valde necessaria, quo- — ٣٣٨

niam inest ei portus adeo utilis, ut intra moenia secura naves quam plurimas sane concipere valeat."

— ٣٣٩ Fulcher. Carn. c. 23.
Albert. Aquens. 9. 18.
Wilken II. p. 194.

— ٣٤٠ Fulcher. Carn. c. 30.
Alb. Aq. 9. 27 - 29.
Will. Tyr. 10, 26.
Wilken II. p. 195 sq.

— ٣٤١ Comp. Benj. of Tud. I. 63 sq.

— ٣٤٢ See a list of those present, Will Tyr. 16. 1.
Wilken III. i. p. 236 n.

راجع اسماء الذين حضروا الاجتماع في اللائحة التي كتبها وليم الصوري .

— ٣٤٣ Bohaed. Vita Salad. p. 71.
Geof. Vinisauf I. 5., 6.
Wilken III. ii. p. 292.

٣٤٤ – راجع تاريخ هذا الحصار والمصادر المستقى منها في :
Wilken IV. pp. 253 - 357 .

— ٣٤٥ Wilken VI. p. 66.

— ٣٤٦ Wilken VI. p. 515.

٣٤٧ – يظهر ان الصليبين حرّفوا اسم عكا مبكراً فجعلوه أكر Acker او كما يكتب بالفرنسية Acre . راجع القصيدة الالمانية القديمة فريدنك Freydank كما رواها ولكن Wilken .
Wilken, VI. p. 515.
Benjamin of Tudela already wrote (كلمة عبرية)
thought with a wrong Hebrew letter; Asher's edit. I. p. 63; eb. p. 31.

كتب بذامين التودلي الاسم بالعبرية ولكنه اخطأ التهجئة.

٣٤٨ — Ritter Erdk. XVI. i. p. 782.

٣٤٩ — Wilken IV. p. 473. VII. p. 396.

٣٥٠ — Wilken, VI. p. 515.

٣٥١ — Wilken VII. p. 736.

٣٥٢ — Wilken VII. pp. 760-770.

٣٥٣ — Ludolf de Such. c. 26.

٣٥٤ — So Breydenbach (1483) in Reyssb. p. 118;
Zuallart (1586) V. c. 3;
Cotovicus (1598) p. 125.

٣٥٥ — رحلاتساندز، ص ١٥٩ و ١٦٠، «تدل الجيفة * على ان الجسم كان قوياً، محصناً بالمتاريس والابراج، لكل سور خندق مبطن بالحجـارة، تحت كل الابواب الخلفية السرية المتعددة. واذا أنعمت النظر بالاطلال تحسب ان المدينة كتلة واحدة من القلاع المتصلة بعضها ببعض، على تعدد انواعها، ولا تتميز اختلاطها بالمساكن الخاصة. فقد انقلبت الجدران الضخمـة والقـناطر المتينة رأساً على عقب، فأصبحت كالصخور المطروحة فوق الاسس.» ولا يشير ساندز الى اطلال معينة سوى «هيكل كبير فخم» بالقرب من طرف المدينـة الجنوبي كان سابقاً لفرسان المستشفى، ص ١٦٠.

* يقصد الكاتب بكلمة جيفة الاطلال، وبكلمة «جسم» المدينة نفسهـا، وذلك مبالغة في وصف الدمار الذي حل بعكا. — المعرب.

٣٥٦ — Eug. Roger. La Terre Sainte pp. 44-46.
Doubdan p. 545. sq.
D'Arvieux Mémoires, I. p. 269. sq.

٣٥٧ — D'Arvieux ib. pp. 270, 279.

٣٥٨ — D'Arvieux ib. p. 272. 275.

٣٥٩ — D'Arvieux ib. pp. 278.
Mariti II. p. 84.

٣٦٠ — D'Arvieux ib. p. 292.

٣٦١ — Nau Voyage, 5. c. 19.
Pococke II. i. p. 51. sq.
ويقول موندرل في الواحد والعشرين من آذار انك لا ترى هنا سوى الخان الكبير الذي ينزل فيه العملاء الفرنسيون ، وجامع ، وبضعة اكواخ رثة . اما ما بقي من المدينة فليس سوى خرائب مديدة متسعة .

٣٦٢ — راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٠٣ وما بعدها .

٣٦٣ — Neibuhr (1766) Reisebeschr. III. p. 72 sq.
Volney (1783) Voyage c. 25. Tom II. p. 84. sq.

٣٦٤ — Mariti II. p. 96.

٣٦٥ — كان ستيفن شلز في عكا العام ١٧٥٤ . وكان ظاهر قد انجز بناء صرحه الخاص مكان مستشفى فرسان مار يوحنا ، وسور المدينة الى جهة البر ، وقد استعمل في بنائه حجارة احدى الكنائس القديمة . وقد اعطى الشيخ رسائل الى شلز موجهة الى اثنين من اولاده ، كانا يومئذ حاكمين في طبريا وصفد . راجع :
Schulz Leitungen etc. V. pp. 181, 187, 227.
Paulus Sammlung. Th. VII. pp. 40, 45, 72.

٣٦٦ – لم اعثر على تقدير لعدد السكان في هذه الحقبة. ولكن نيبوهر يقول «هنا البيوت مرتفعة، والمكان كثير السكان»، ص ٧٢ في المكان نفسه.

٣٦٧ – ماريتي في المكان نفسه، ص ٩٨.

٣٦٨ – نيبوهر في المكان نفسه، ص ٧٦. فولني في المكان نفسه، ص ١٢٠.

٣٦٩ – روى هذه المعلومات الخاصة الدكتور كلارك Dr. E. D. Clarke بتفويض من الجزّار نفسه. اما ما هو نصيبها من الصحة فهذه مسألة اخرى. راجع رحلات كلارك في البلاد المقدسة، طبعة لندن، العام ١٨١٢، ص ٣٦٤ و ٣٦٥.

E. D. Clarke's Travels in the Holy Land, Lond. 1812, 4, to. c. 12. pp. 364, 365.

٣٧٠ – Volney, Voyage, II. p. 112. sq.

٣٧١ – Volney, ib. II. p. 125.

٣٧٢ – Volney, ib. II. p. 164. sq.

٣٧٣ – Volney, ib. II. p. 209. sq.

٣٧٤ – Brown's Travels. c. 23. pp. 366-370.

٣٧٥ – Thiers Hist. de la Révolution, X. pp. 402-410.
Sir Walter Scott's Life of Napoleon, I, c. 29.

٣٧٦ – المواقع من بيت الفا: دوهي ٣٣٢ درجة. تابور ٣٥٥ درجة. قومية ٣٦٦ درجة. الناعورة ٣٠٨ درجة. شطة ٥ درجات. خان ٩٧ درجة. تل بيسان ١٠٤ درجات. كوكب ٥٠ درجة. تل الشيخ حسن ٣١٣ درجة.

٣٧٧ – ولكن يظهر ان ليبتروت Liebetrut صعد على هذا الطريق الى جلبون ، على مسافة نصف ساعة وراء اعلى نقطة ، باتجاه جنين ، وعلى مسافة نصف ساعة شرقي فقوع .

Reise I. p. 253 sq.

٣٧٨ – Zeitschr. d. Morgenl. Ges. III. pp. 48, 49.

Ritter Erdk. XV. p. 413. sq.

عبر شلز الجبل من جنين ، وانحدر على الجانب الشرقي ، جنوبي مجدّع ، وتابع سيره في سفح الجبال الى الفا ، ثم رجع فعبرها ماراً بعربونة ودير غزال . ويظهر ان بين هذين الطريقين لا يوجد طريق مناسب .

٣٧٩ – المواقع من مجاز الجالود : تل الشيخ حسن ١٧٥ درجة . زرعين ١٥٧ درجة . قومية ٣٥٣ درجة .

٣٨٠ – يعتبر شلز ان قومية هي (كلمة يونانية) المذكورة في كتاب جوديث Judith كما جاء في :

Zeitschr. d. morg. Ges. III. p. 48

ولكن هذا لا يتلاءم مع موقع تيلوى الصحيح ، جنوبي سهل ازدراليون ووراء دوثان . هذا الاسم (اسم يوناني) (Judith 7, 3) غير موجود في اي مكان آخر . ايكون ترجمة الاسم القديم (في العبرية والكلدانية كلمتان) الذي يوافق كلمة فولة بالعربية الواقعة شرقي سهل ازدراليون ؟ كل هذه الاسماء (والكلمة اليونانية ايضاً) تعني فولة ، اي مكان الفول . ويقول الصليبيون ان فولة هي قلعة فابا Faba ، وبالفرنسية La Fève . راجع ايضاً المجلد

الثاني للمؤلف ، ص ٣٢٨ .

٣٨١ – المواقع من قومية : دوهي ٣٢٧ درجة . الناعورة درجتان . تابور درجتان . الطيبة ٥٣ درجة . شطة ١١٩ درجة . تل بيسان ١٢٧ درجة . تل ام عجرا ١٤٥ درجة . تل الشيخ حسن ١٧٤ درجة . الرحانية ١٩٠ درجة . زرعين ٢٦٨ درجة . كوكب ٧٨ درجة . مرصص ٩٨ درجة . وزر ٢٢٣ درجة . انظر الملاحظة التالية ، اي ٣٨٢ .

٣٨٢ – ليست مزار كما يكتبها شلز خطأ . راجع ريتر Ritter الخامس عشر ، ص ٤٢٢ . وقد تأكد رفيقي من صحة الاسم في قومية . راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣١٦ و٣١٩ (١٥٧ و ١٦٠ .iii) .

٣٨٣ – المواقع من ناعورة : كوكب ١٠٤ درجات . قومية ١٨٣ درجة . وزر ٢٠٠ ودرجتان .

٣٨٤ – المواقع من الحرف بالقرب من طمرة : وزر ٢٠٠ ودرجتان. نورس ٢٠٠ ودرجتان . قومية ١٨٩ درجة . الناعورة ٢٠٥ درجات . مرصص ١٤٣ درجة . اندور ٢٩٨ درجة ، المسافة ميل واحد . إكسال ٣١٠ درجات . دبورية ٣٤١ درجة . تابور ٣٥٧ درجة .

٣٨٥ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٥٥ (٢١٧ .iii) .

٣٨٦ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٦٨ وما بعدها (٢٣٦ .iii) .

٣٨٧ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٦٩ (٢٣٧ .iii) .

٣٨٨ – راجع المجلد الثاني للمؤلف، ص ٣٦٩ و ٣٧٠ (٢٣٦–٢٣٨ .iii) عن لوبية وجوارها .

٣٨٩ – راجع المجلد الثالث للمؤلف، ص ١٠٩. المواقع من لوبية: نِمرين شمالاً، المسافة ميلان. كفر سبت جنوباً، المسافة ميل ونصف. تقع نِمرين على منحدر عبر ارض منخفضة تواجه لوبية. راجع عن كفر سبت المجلد الثاني للمؤلف، ص ٣٦٩ (iii. ٢٣٧).

٣٩٠ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٦٩ (iii. ٢٣٧) يسمي بركهاردت هذه البقعة ارض الحمّي. رحلات في سوريا، ص٣٣٣.

٣٩١ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٧١ (iii. ٢٤٠).

٣٩٢ – راجع المجلد الثاني للمؤلف، ص ٣٩٦ (iii. ٢٧٦). المواقع من حجر النصراني : قرن حطين (الشرقي) ٢٩٥ درجة . صفد ٨ درجات . تل حوم ٤٥ درجة . مغار ٣٢٨ درجة . وادي الطواحين ٣٥٩ درجة . وادي ابو العمير شمالاً ٦٥ درجة شرقاً .

٣٩٣ – Adamnus ex Arculfo, 2. 24, 25.

رحلات رايت Wright المبكرة في فلسطين، ص ٩ .

راجع ايضاً المجلد الثاني للمؤلف، ص ٣٧١ وما بعدها . (٢٤٠ وما بعدها .iii).

٣٩٤ – المواقع من اربد : قرن حطين ٢٥٧ درجة . حجر النصراني ١٧٤ درجة صفد . ٨ درجات .

٣٩٥ – بركهاردت ، سوريا ، ص ٣٣١ . راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٣٩٨ (iii. ٢٨٠) . ولسن ، بلاد التوراة ، المجلد الثاني ، ص ٣٠٧ وما بعدها . يظهر ان التحصين الذي وصفه إربي ومانغلس هو على الجانب الشمالي الغربي من طرف الهوة الاسفل، ولا علاقة له بالمغائر . رحلات ، ص ٢٩٨ و ٢٩٩ ، (٩١) .

ويذكر بوكوك الشيء نفسه، ويعزوه بتحفظ الى فخر الدين .
راجع وصف الشرق ، المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٦٧ .

Descr. of the East II. i. p. 67.

٣٩٦ – Irby And Mangles : Travels p. 299 (91)

٣٩٧ – راجع المجلد الثاني للمؤلف، ص ٤٠٠ وما بعدها (iii. ٢٨٣ sq.) .

٣٩٨ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٠٢ (iii. ٢٨٦) .

٣٩٩ – يذكر هذا المكان بالاسم نفسه ، منية ، بهاء الدين في القرن الحادي عشر، ص ٩٨ bis .

٤٠٠ – في الترجمة الالمانية لبركهاردت خطأ مطبعي في الحديث عن هذا الينبوع ، نشر تحت اسم جاسانيوس Gesenius ص ٥٥٨.
فقد ورد هناك كما يأتي : " eint Quelle heissen Wassers "
اما الاصل الانكليزي فهو : « نهير من الماء العذب » ، ص ٣١٩ . ولا ريب ان المترجم الدكتور ريناك Dr. Rienecke كتب Süsses ، وهي في فن الخط (شيروغرافي) الالماني لا تختلف كثيراً عن heisses. وهذا الخطأ المذكور لم يُستدرك ولا أصلح . وقد جعل منه رومر Raumer اساساً للجدل او الحوار، ص ١١٨ من الطبعة الثالثة من Palast. .

٤٠١ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٠٥ وما بعدها (٢٩٦ وما بعدها iii.) .

٤٠٢ – المواقع الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين : طبريا ١٩٥ درجة . بيركرازة ٢١٧ درجة ، المسافة نصف ميل . مجدل ٢١٢ درجة . قرن حطين ٢٢٣ درجة . نحن الآن على صعيد مرتفع .

٤٠٣ – المواقع الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين : طبريا ١٨٤ درجة . خان ١٩٢ درجة .

٤٠٤ – المواقع من الجاعونة : فِرعم ٥ درجات . مغار ٢٥ درجة . طرف البحيرة الجنوبي ٥٤ درجة . تل الفرس وراء الاردن ٩٥ درجة . جبل الشيخ ٣٦ درجة . المنطر ٨٨ درجة .

٤٠٥ – المواقع من مغـــار : المنقلبة ١٥٥ درجة . المنطر ١٠٩ درجات . تل الفرس ١٠٠ درجة . طرف البحيرة الجنوبي ٦٠ درجة . طرف البحيرة الشمالي ٣٠ درجة . جبل الشيخ ٣٦ درجة . جبل صنين ٢٠ درجـة . تل الحرّاوة فوق عين الملاحة تماماً ١٩ درجة .

٤٠٦ – المواقع من قاسيون : ماروس ١٩١ درجة . طرف البركة العليا الجنوبي ٩٥ درجة .

٤٠٧ – راجع المجلد الثاني للمؤلف ، ص ٤٤٦ (iii. ٣٧٠)

٤٠٨ – المواقع الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والخمسين : الحرّاوة ١٢ درجة .

٤٠٩ – المواقع الساعة العاشرة والدقيقة العـــاشرة : شِفنتلة ١٤٤ درجة ، المسافـــة ميلان . هذان طللان بدويان بجانب الآكام المنخفضة التي تحد السهل من الجنوب .

٤١٠ – المواقع من تل خريبة : قدس ٤ درجات . الحرّاوة ٦٧ درجة . تل الفرس ١١٧ درجة . طرف البحيرة الشمالي ٨٧ درجة . طرف البحيرة الجنوبي ١١٦ درجة . علما ٢٤٢ درجة . وادي هنداج ، المجرى الاعلى ٢٤٢ درجة .

٤١١ – المواقع من قدس ، اخذت العام ١٨٤٤ : جبل الشيخ ٥٠

درجة . قلعة بانياس ٥٣ درجة . تل الفرس ١٢٢ درجة . الحريبة ١٨٦ درجة . بنيت ١٩٥ درجة .

٤١٢ — المكتبة المقدسة ، في المكان نفسه، ص ٣٧٥.

٤١٣ — المواقع الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة : الحرّاوة ١٥٤ درجة . تل الفرس ١٢٧ درجة . قدس ١٨٠ درجة . خربة ١٨٣ درجة . محيبيب غرباً . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين : خربة ١٨١ درجة .

٤١٤ — المواقع الساعة السابعة : تبنين ٢٧٤ درجة . مارون ٢٢٥ درجة . محيبيب ٢١٩ درجة . المالكية ٢٠٠ درجة . ميس ٢١١ درجة .

٤١٥ — المواقع الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة : حونين ٥ درجات . المطلة ٢٥ درجة . قلعة الصبيبة ، بالقرب من بانياس ٧٤ درجة . آبل ٣٢ درجة .

٤١٦ — .W. M تومسون في المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٦، ص ٢٠٣ .

٤١٧ — المواقع من حونين : قلعة بانياس ٨١ درجة . تل القاضي ٧٧ درجة . تل الفرس ١٣٨ درجة . طرف البحيرة الشمالي ١٥٤ درجة .

٤١٨ — راجع المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٦ ، ص ٢٠١ وما بعدها .
Ritter Erdk XV p. 242. sq.

٤١٩ — سفر القضاة، الاصحاح ١٨، العدد ٢٨. قابل العددين ١١ و٢٩ .

٤٢٠ — راجع السادس والعشرين من ايار في المجلد الثالث للمؤلف .

٤٢١ — سفر العدد ، الاصحاح الثالث عشر، العدد الواحد والعشرون .

٤٢٢ — جاء في سفر صموئيل الثاني، الاصحاح العاشر ، العدد السادس،

عبارة سوريبي بيت رحوب . أما في العدد الثامن فقد تغيرت العبارة الى سوريبي رحوب . قابل ريتر ، الخامس عشر ، ص ٢١٨ . ويظهر ان هذه العبارة (كلمات في اللغة العبرية) في سفر العدد ، الاصحاح الثالث عشر ، العدد الواحد والعشرين ، نقلت كما هي في معناها الضيق . بينا يأتي (يذهب) الرجال الى حماه ، كما جاء في الترجمة الانكليزية . اما في سائر العبارات الاخرى ، فالعبارة تشير الى نقطة واقعة في اقصى حدود فلسطين الشمالية . القضاة ، الاصحاح الثالث ، العدد الثالث . الملوك الاول ، الاصحاح الثامن ، العدد الخامس والستون . راجع الفصل الثاني عشر من المجلد الثالث للمؤلف .

٤٢٣ – وجدت مدينة رحوب اخرى في سبط اشير ابعد الى الغرب . يشوع ، الاصحاح ١٩ ، الاعداد ٢٨ و ٣٠ . الاصحاح ٢١ ، عدد ٣١ . القضاة ، الاصحاح الاول ، العدد ٣١ .

٤٢٤ – صموئيل الثاني ، الاصحاح ٢٠ ، العدد ١٤ و ١٨ .

٤٢٥ – الايام الثاني ، الاصحاح ١٦ ، العدد ٤ . قابل مع الملوك الاول ، الاصحاح ١٥ ، العدد ٢٠ .

٤٢٦ – الملوك الاول ، الاصحاح ١٥ ، عدد ٢٠ .

Jos. Antt. 8. 12. 4.

٤٢٧ – الملوك الثاني ، الاصحاح ١٥ ، العدد ٢٩ .

٤٢٨ – هكذا يرتائي .W. M تومسون في المكتبة المقدسة ، ١٨٤٦ ، ص ٢٠٤ . قابل مع ٢١٣ و ٢١٤ . ع . سمث في جريدة الارسالية اليومية ، ٢٥ نيسان ١٨٤٤ .

Ritter Erdk XV p. 24.

٤٢٩ – جريدة الارسالية اليومية، ٢٥ نيسان، ١٨٤٤ .

٤٣٠ – المواقع من تل دبّين : الجديدة شمالاً . توأم نيحا ١١ درجة . خيام ١٣٧ درجة . الحرّاوة ١٨٩ درجة . مشهد ٢١١ درجة . الحريبة ٢٢٨ درجة . قلاعات ٢٤١ درجة . مشهد قمة واقعة شمالي حونين، تشرف على مرج عيون، عليها مقام ولي .

٤٣١ – قابل مع W. M. تومسون في المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٦، ص ٢٠٧ .

٤٣٢ – المواقع الساعة الثانية : خلوات البياض ٧٢ درجة . ابل ١٣٥ درجة . تل دبين ٢٢٤ درجة . الحريبة ٢٢٦ درجة . قلاعات ٢٣١ درجة . الجديدة ٣٦٢ درجة. النبي سجد (?) ٣٢٤ درجة.

٤٣٣ – اخذت هذه المواقع العام ١٨٤٤ من ابل الواقعة على قمة الحرف، جنوبي هذه البقعة الحرجة : الجديدة ٢٩١ درجة . خيام ٢١٠ درجات ونصف . مشهد ٢٢٢ درجة . تل الحراوة ١٩٦ درجة . كفر شوبا ١١٨ درجة ونصف. كفر حمام ١٠٨ درجات . راشيا الفخار ٩٥ درجة ونصف . عين جرفا ٦٥ درجة . أبو قمحة ٥٢ درجة . النبي سجد ٣٢٥ درجة .

٤٣٤ – وصفها الدكتور اندرسون في تقريره الجيولوجي القيم الذي نشره في السنة نفسها ملحقاً بتقرير اللفتنت لينتش . راجع تقرير لينتش الرسمي، العام ١٨٥٢، ص ١١٢ وما بعدها.

٤٣٥ – راجع W. M. تومسون في المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٦، ص ١٨٦ .

٤٣٦ – حصل على رتبة دكتور فخرية في الطب من كلية

ييل Yale.

٤٣٧ – راجع التقارير السنوية لمجلس المرسلين الاميركي للأرسالية الاجنبية في عدة سنوات. راجع ايضاً مجلدات « المشنري هرالد ».

٤٣٨ – المواقع من راس العوجه، فوق الينبوع الكبير: خيام ٢٢١ درجة. مشهد ٢٢٣ درجة ونصف. كوكبا ٢٥٧ درجة. حاصبيا ١٥٦ درجة. عين قنية ١٢١ درجة. ميمس ٧٦ درجة. كفير ٦٩ درجة. الذنيبة ٥١ درجة. لبايا ٣٥ درجة. مجرى الوادي المذكور اعلاه ٥٨ درجة.

٤٣٩ – Seetzen's Reisen I. p. 324, 325, 329, 330.
Burckhardt Tarvel. in Syria p. 34.
Dr. Anderson's Geol. Report, in Lynch's Official Report, 1852, p. 116.

٤٤٠ – زار القس بورتر J. L. Porter من دمشق قمة حرمون في خريف العام ١٨٥٢. وهو يصف أعلى قمة فيه بقوله: انها حقيقةً مكوّنة من ثلاث قمم، بلصق بعضها، فترُى من تحت كأنها قمة واحدة. ويقول ان الحرف الممتد باتجاه بانياس اكثر انخفاضاً من تلك القمّة. وربما اشرف عليها بالطول فلم يتميز تماماً القمة الاكثر انخفاضاً المذكورة في المتن. راجع المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤، ص ٥٥.

٤٤١ – راجع ص ٣٧٦ من المجلد الثالث للمؤلف.

٤٢٤ – See De Sacy Exposé de la Religion des Druzes, I. p. cccIxxiii, sq. Biblioth. Sacra, 1843, p. 220. sq.

راجع كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٣، ص ٢٢٠، وما بعدها.

٤٤٣ — Abulf. Tab. Syr. ed. Kohler, p. 20.
يقول الظاهري ان وادي التيم مقاطعة من دمشق تشتمل على ثلاثماية وستين قرية ، راجع :
Rosenm. Analect. Arab. III. p. 22. Lat. p 46.

٤٤٤ — في كلامي عن حاصبيا والاقليم المجاور لها ، رجعت الى مخطوطة يومية للدكتور ع . سمث الذي صرف عدة اسابيع فيها العام ١٨٤٤ . ويظهر ان السياح المبكرين لم يزوروا وادي التيم . فقد مرّ بالقرب منها فيرر فون هيمندورف Fürer von Haimendorf بطريقه من الحولة الى البقاع فبعلبك ، العام ١٥٦٦ ، ص ٢٨٠ . نورنب .Nürnb ، العام ١٦٦٤ . سيتزن زار الاقليم ووصفه العام ١٨٠٦ . نشر عنه ريزن ، في برلين العام ١٨٥٤ ، المجلد الاول ، ص ٣٢٣ وما بعدها . Zach's Monatl. Corr. XVIII. pp. 340-344.
وتبعه بركهاردت ، رحلات في سوريا ، ص ٣٢ — ٤٣ .
قابل مع Ritter Erdk. XV. p. 152. sq. .

٤٤٥ — ع . سمث في « المشنري هرالد » ، ١٨٤٥ ، ص ٤٦ . والكاتب نفسه يتابع فيقول : « تمنع النساء عموماً من السكن في الخلوات ، ولكن غالباً ما تسكن عيال ساكني الخلوات في ابنية مجاورة . وقيل لنا ان النساء يأتين الى خلوات البياض من حاصبيا في الصباح ، فيطهين الطعام وينظفن الاماكن ويخدمن الرجال في النهار ، ثم يرجعن الى بيوتهن في المدينة مساء ، اذ لا يسمح لهن بالمبيت على التلة . » راجع المكان نفسه .

٤٤٦ – المواقع من خلوات البياض العام ١٨٤٤ : تل الحراوة ٢٠٣ درجات . خيام ٢٢٩ درجة . ابل ٢٣٨ درجة . جديدة ٢٥٦ درجة . قلعة الشقيف ٢٤٩ درجة . كوكبا ٢٨٩ درجة . النبي علي الطاهر ٢٦٤ درجة . النبي سجد ٣٠٠ ودرجة . لبايا ٢٧ درجة . عين قنية ٦٧ درجة . عين عطا ٦٣ درجة ونصف . شويا ٦٧ درجة . الهبارية ١٤٧ درجة . عين تنوره شمالاً . المحيدثة ٣٨ درجة .

٤٤٧ – المواقع من عين قنية العام ١٨٤٤ : المحيدثة ٣٤ درجة . خلوات البياض ٢٤٥ درجة . قلعة الشقيف ٢٤٨ درجة . حاصبيا ٢٧٠ درجة . النبي سجد ٢٩٢ درجة . توأم نيحا ، القمة الجنوبية ، ٣٢٩ درجة ونصف .

٤٤٨ – المواقع من شويا ، العام ١٨٤٤ . عين عطا ٥٦ درجة . عين تنتا ٣٥ درجة ونصف . لبايا ١١ درجة ونصف . الذنيبة ٢٠ درجة ونصف . ميمس ٥ درجات . النبي صفا ٢٠ درجة ونصف . المحيدثة ٣٢ درجة . كوكبا ٢٧٨ درجة ونصف . قلعة الشقيف ٢٥١ درجة . ابل ٢٤٦ درجة ونصف . خيام ٢٣٩ درجة . مشهد ٢٣٣ درجة ونصف . الهبارية ٢١٤ درجة . الفرديس ٢٤٧ درجة . عين جرفا ٢٥١ درجة . حاصبيا ٢٨١ درجة .

فهرست

اصلاح خطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٩	١٨٢٣	١٨٣٣
١١	١٢	قاديشا	قديشا
١١	١٣	اربعين	الاربعين
١١	١٧	قاديشا	قديشا
١١	٢٣	بيضوي	بيضي
١٥	٩	فرح	فاره
١٥	١٥	ثمان	ثماني
١٦	٣	والخمسون	والخمسين
١٩	٢	من بلاد بشاره	بين بلاد بشاره
٢٠	١٨	غيثا	عيثه
٢١	١٤	وسطه	وسط
٢٥	١٢	بروغة	باراغة
٢٧	٧	القرّيز	الفريز
٢٨	٦	مخشيقه	مخشكه
٣٠	٣	طبيغة	الطابغة
٣٢	٦	لا يمكن	لأمكن

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٦	٢	للحصول	الحصول
٣٦	٦	اصافيهم	اضافتهم
٣٦	١٧	إما	أما
٤١	١	مكوم	مكومة
٤٩	٤	بالوتيروس Paloetyrus	بالتيروس Palaetyrus
٤٩	٦	استرابون	استرابو Strabo
٥٠	١٢	الساعة الثامنة والخامسة والاربعين	الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين
٥٧	٢	من المكان القديم	من هذا المكان القديم
٦١	١٩	Necca	Necea
٦٣	٥	واعادوا بناءها ،	واعادوا بناءها .
٦٣	٦	قرن .	قرن ،
٦٣	٦	وفي	في
٦٣	١٤	قفراء	قفراً
٦٨	١٣	بيريقيتس Perieqetes	بيريغيتس Periegetes
٧٠	١	يعدها	بعدها
٧٠	٢٠	والدقيقتين	والدقيقة
٧٢	١٥	الجادية عشرة	الحادية عشرة
٧٨	٨	المبيّضة	المبيضّة
٧٩	٧	اعمدة	هياكل
٨١	١٥	Sephoris	Sepphoris
٩٠	٦	وتتفرغ طرق من المدينة	وتتفرع من المدينة طرق

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٤	١٥	طواحن *	مطاحن او طواحين * *
١٠٨	١١	وهي	وهو
١٠٩	١	الثامن عشر من ١٨ آذار	الثامن عشر من آذار
١١٢	٥	Couley	Cowley
١١٣	٣	الحظوة	الخطوة
١١٣	٢٢	بتأسيس	لتأسيس
١١٥	١٠	Heperd	Hebard
١١٩	٥	G. Hosford Smith	J. Hosford Smilth Esq.
١٢٠	٢	بودلين Paudlin	بولدينغ Paulding
١٢٠	٤	الدكتور بورتو	القس المستر بورتو
١٢١	١٤	جاهزة	جاهزاً
١٢١	٢١	مبرهن	فبرهن
١٢١	٢٣	وتغيرها	وتغييرها
١٢٢	٢٢	ونتيجة	نتيجة
١٢٣	٢	شملبدر Schmalpalder	شملكلدر Schmalkalder
١٢٣	١٣	March	Marsh
١٣٣	١٥	قربان	رَبان
١٤٠	١٧	بانحدارها	بانحدار

* طواحن جمع طاحنة وهي مؤنث الطاحن وليس هذا ما يعنيه المؤلف. — المعرب.

** يستعمل المؤلف كلمة Mill وهي ذات معنيين: ١ — الالة التي تطحن وهي الرحى او المطحنة ، ٢ — المطحنة ، وهي البيت المعد للطحن . واعتقد ان المؤلف يقصد المعنى الثاني اي المطحنة وجمعها مطاحن . — المعرب .

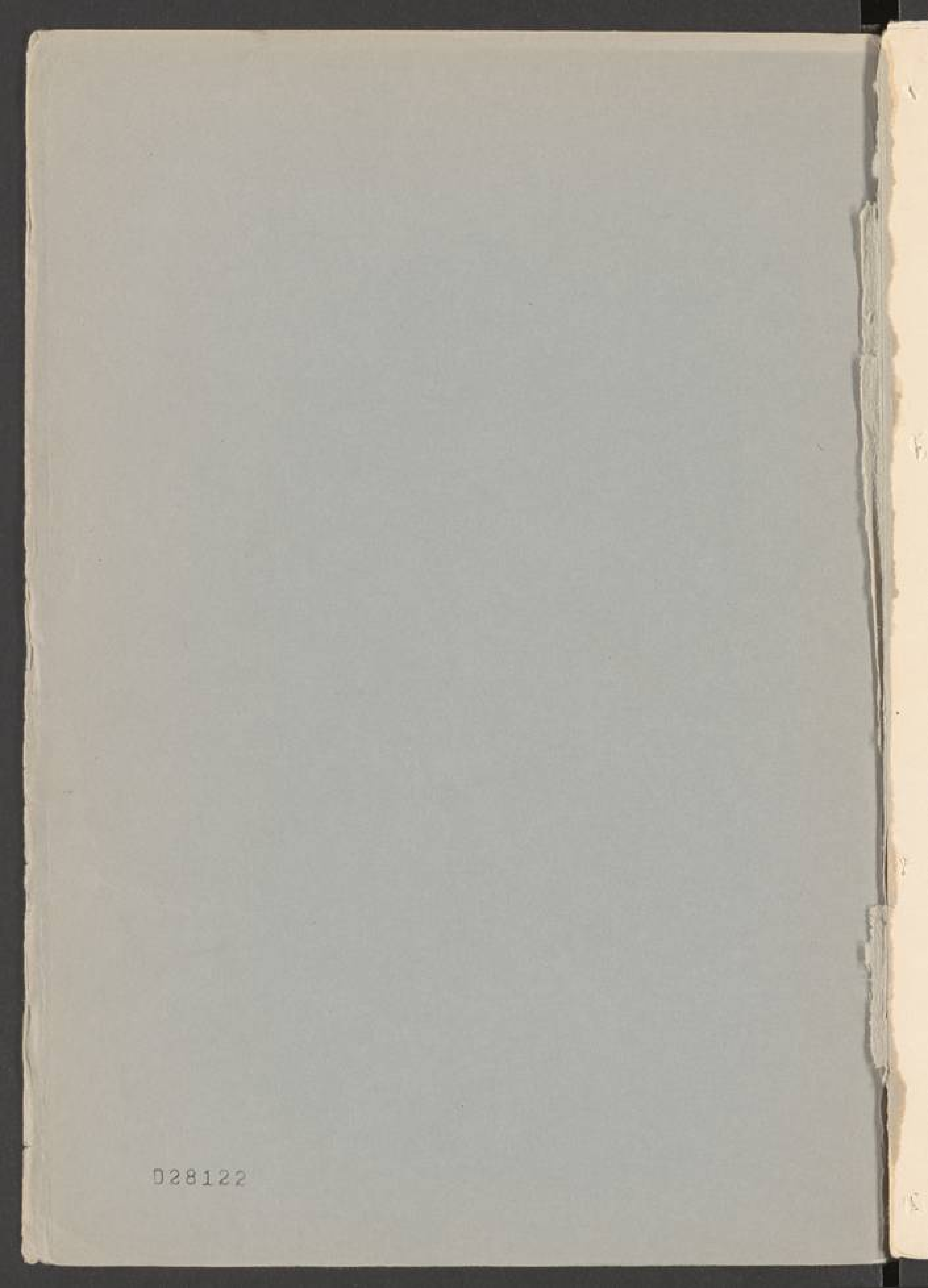
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٢	٥	تعد	تقدر
١٤٤	١٢	الهادي	الهاوي
١٤٦	٧	مطمع	مطمح
١٥٤	١١	لا	خلا
١٥٤	٢٣	فوقه	فوق
١٥٨	٥	الموصوفة	المرصوفة
١٥٩	١٨	شعيراً	زؤاناً
١٧٦	٢	Dorie	Doric
١٧٧	٥	الى عكا	وعلى عكا
١٧٨	١٢	كالير	لِكالير
١٨٠	١١	كورة الصغيرة	قرية كورة الصغيرة
١٨٠	١٩	راس	راساً
١٨٠	١٩	فاتهم	فاتُّهم
١٨١	١٥	الخامسة والعشرين	الخامسة والعشرون
١٨٤	١	Dorie	Doric
١٨٩	١١	ويشق	يشق
١٩٧	١١	الهوهنستفين	الهوهنستفيني
١٩٧	١٨	وبعد	بعد
٢٠٢	١٩	على مهاجمة	وهاجم
٢٠٦	٧	لا يجري	يجري
٢٠٦	١٨	بوجود	وجود
٢٠٧	١	صفد	صقر

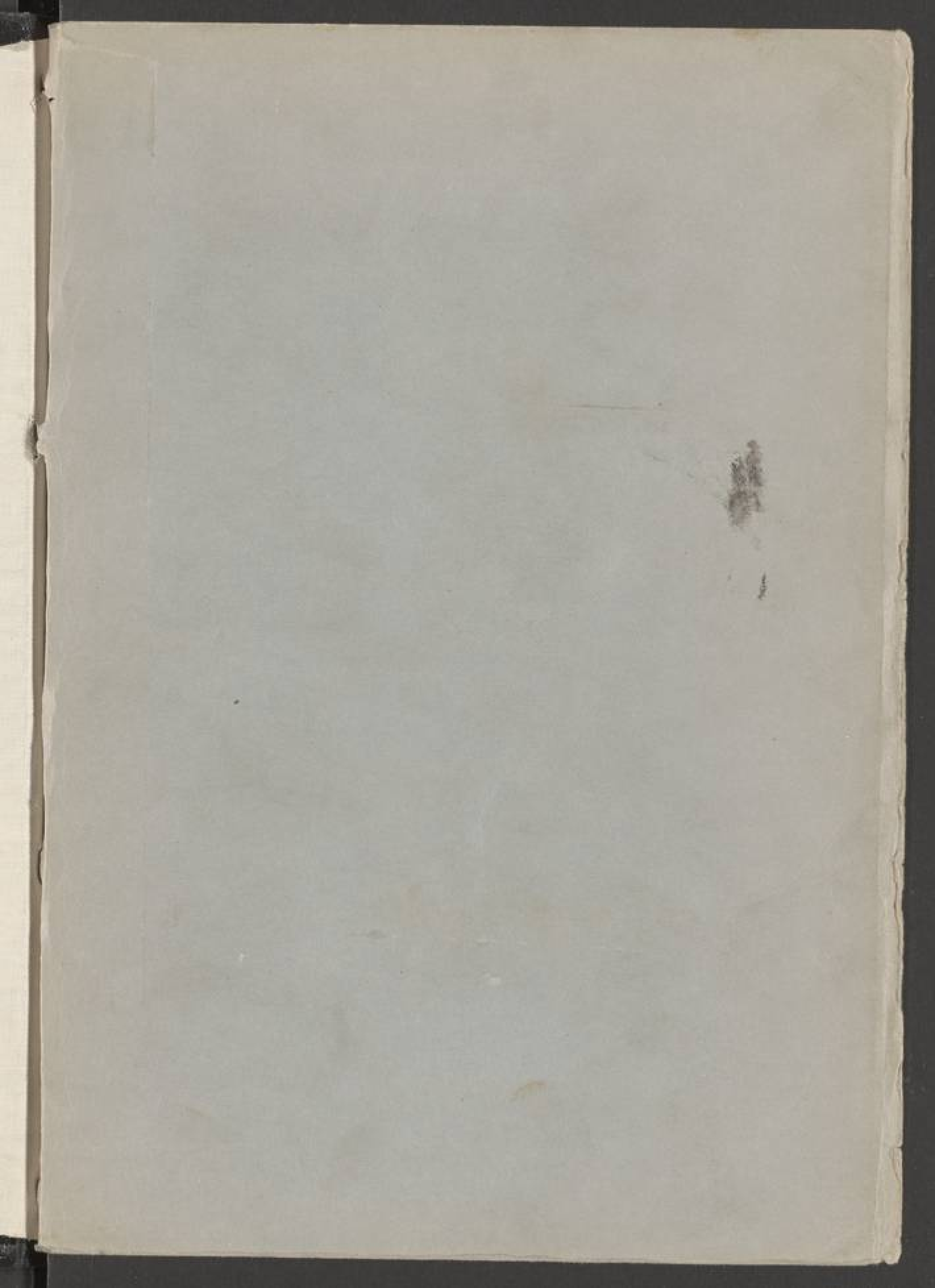
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٨	٢	فعبرنا الى مجرى الماء	فعبرنا مجرى الماء
٢٠٨	٣	فوصلنا	وصلنا
٢١٤	٤	المربضة	الربضية
٢١٤	٧	ينبوغ	ينبوع
٢٢٥	٢	فيجري	الجاري
٢٢٥	٨	املتّ	امّلت
٢٣١	١٧	دفع	رفع
٢٣٢	١٨	زبين	بين
٢٣٢	١٩	دل	تدل
٢٣٣	١٩	يكن ذلك مستحيلاً	يكن مستحيلاً
٢٣٥	١٢	في رحلتي . هذه	في رحلتي هذه ،
٢٣٦	١٧	وحاجتها	وحاجاتها
٢٣٨	٣	عفيدات	عقيدات
٢٣٨	١٩و٢٠	فهو ينخفض	فينخفض
٢٣٩	١٧	فينحصر	فينحسر
٢٤٦	٧	Judeae	Judaeae, " etc.
٢٤٦	٤	ابن	بن
٢٤٩	١٨	d. 41. Lat.	P. 41 Lat.
٢٤٩	٢٥	Travels في العام	Travels . في العام
٢٤٩	٢٦	مر بالقرب	مر المستر سمث بالقرب
٢٥٠	٩	Euselius	Eusebius
٢٥٠	١١	بات في قانا	بات المستر تومسون في قانا

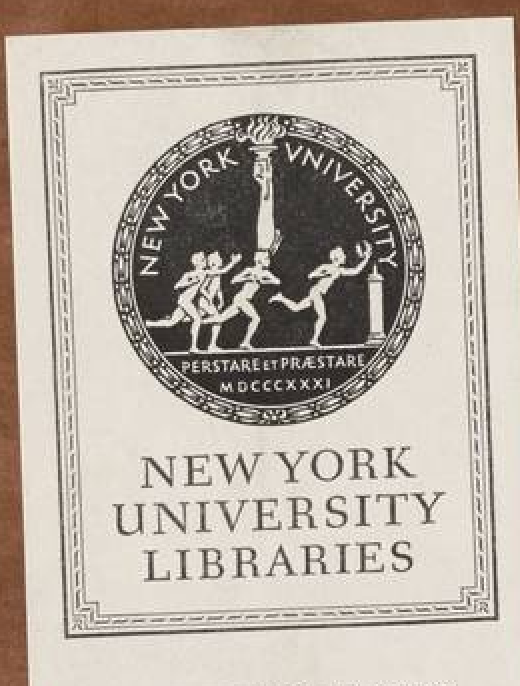
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٤	١١	Hohenstanfen	Hohenstaufen
٢٥٥	٢	Linaensn	Linnaeus
٢٥٥	٩و١٠	رسائل الاسقف	رسائل الى الاسقف
٢٥٦	٢٤	Hesgstenberg	Hengstenberg
٢٦٢	١١	Apt.	Ant.
٢٦٤	٢٠	Quien Oe.	
٢٦٤	٢٥		المصدر المتسلسل ١١٣
٢٦٨	٨	ساكيتا	ساغيتا
٢٦٨	٢٠	Peinaud	Reinaud
٢٧٣	٤	Hiersol	Hierosol
٢٧٨	١٤	Troes	Troas
٢٧٨		المصدر ٣٠٣	٢٠٣
٢٨٠	١٦	Baugmarten	Baumgarten
٢٨١	١٣	Ov.	O.v.
٢٨٤	٢٣	Wildenbruchh	Wildenbruch
٢٨٥	١	Edkunde	Erdkunde
٢٨٥	٥	Inscript.	Inscriptt.
٢٨٧		المصدر ٢٤٥،٢٤٦	للمؤلف
٢٨٨		المصدر ٢٤٧	للمؤلف
٢٩٤	١١	بيت ياحون	بيتحون
٢٩٧	١٣	ذبكين	زبقين
٢٩٧	١٥	جبجين	جبجين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٠	٧	القبيعة	البُقيعة
٣٠٠	٧	القبعة	البقعة
٣٠٠	٢٠	بيت حن	بيت جن
٣٠٢	٢٨	thought	though
٣٠٢	٢٩	eb. p. 31	Heb. p. 31

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع نصار
في اليوم الثامن والعشرين من تموز
سنة الف وتسعمائة وتسع واربعين .






NEW YORK VNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

